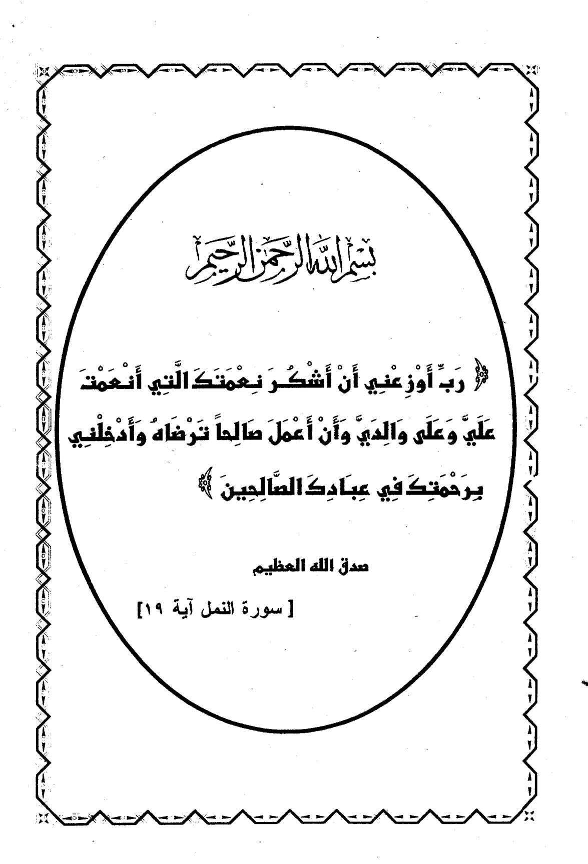
جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالمنصورة
قسم التاريخ والحضارة

تاريخ الخلفاء الراشدين

دكتور
مسعد سيد محمد كتبى
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
في كلية اللغة العربية بالمنصورة
جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة النمل آية ١٩]



المقدمـــــة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين .. ، ثم أما بعد .

فلقد بعث المولى – عز وجل – رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، وأتم له الرسالة ، ورضى له الإسلام ديناً ، وتوفاه المولى وقد قرت عينه بما خلف للأمة من تراث تليد ، تحمل أمانته أصحابه من بعده ، هؤلاء الكوكبه الطاهرة الذين رضى الله عنهم، وزكاهم فى كتابه الكريم ، حيث قال : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [١] ، وأثنى عليهم النبى محمد ﷺ حيث قال : " **أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء ، فأيها أخذتم به اهتديتم** ".

واختص المولى – عز وجل – من هؤلاء الصحابة الكرام ، العشرة المبشرين بالجنة ، الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ومن هؤلاء امتاز الخلفاء الراشدون الأربعة ، الذين نالوا الكرامة من النبى ﷺ ، والمحبة ، وصدق فيهم حديث الرسول ﷺ الذى قال فيه : "**الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضاً**"، وقد زكى الرسول ﷺ فترة حكم هؤلاء الخلفاء بقوله :

---

(١) الآية ١٠٠ سورة التوبة.

" إن أول ديـــنكم بـــدأ بنبوة ورحمة ، ثم يكون خلافة ورحمة ، ثم يكون ملكا وجبرية "[١].

وكان الخلفاء الراشدون عند ثقة النبى ﷺ فيهم ، فقد حافظوا علـــى الإســـلام ديناً ودولة ، وطبقوا المثل العليا التى تعلموها من معلمهـــم ﷺ ، فأقاموا حضارة عامرة ، ودولة مترامية ، حصنوها بـــالعدل ، وقووهـــا بـــالحق ، ونشروا الإسلام فى ربوع الدنيا ، فاعتدلـــت كفـــتها من بعد جور ، وترك هؤلاء الراشدون للبشرية نموذجاً يحتذى به ، وتجربة فريدة ، صالحة لكل زمان ومكان .

وشهد عصر الراشدين وضع اللبنات التى على أساسها قامت دولـــة الإســـلام ، وترعرعت وازدهرت ، وتم على منهجها بناء المجتمع الإسلامى المتميز ، وأرست دعائم النظم الإسلامية ، وكان لكـــل خلـــيفة مـــن الخلفـــاء الأربعة مميزات فريدة ، ظهرت فيها شخصيته ، كما ظهر فى جميعهم الحرص والتفانى لخدمة الإسلام، والقيام على شئون الأمة خير قيام .

وهـــذه أضـــواء على تاريخ الخلفاء الراشدين ، راعينا فيها إبراز أهم ملامح فترة حكم كل خليفة ،ومنهجه فى الحكم والإدارة ، وأهم إنجازاته ، مع الوقوف وقفة متأنية عند الشبهات ، التى أثارها المستشـــرقون ، والمغرضون ، للنيل منهم ، والطعن فيهم ، والرد علـــيها ، بمـــا يدحضها ، ويبين وجه الحق فيها ، وينزل السكينة

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٢ ، ١٣.

والطمأنينة فى قلب كل مسلم ، تجاه هؤلاء الصحابة الأجلاء ، من غير مغالاة فى المدح ، ولا تفريط فى الرد .

وأما عن مصادر الدراسة فكان جلها من المصادر الأصيلة ، كالطبقات الكبرى لابن سعد ت ٢٣٠ هـ ، وتاريخ الرسل والملوك للطبرى ت ٣١٠ هـ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ت ٦٣٠ هـ ، والبداية والنهاية لابن كثير ت ٧٧٤ هـ ، مع الحذر كل الحذر من روايات المغرضين ، والمشوهين ، والطاعنين فى تاريخ هؤلاء الراشدين ،وقد كان للعواصم من القواصم لابن العربى ت ٥٤٣ هـ، الباع الأوفى فى هذه المهمة ، لإجلاء الغمة عن هؤلاء الصحابة .

وأما المراجع الحديثة فكان مجالها الاستئناس برأى وجيه ، وافقته ، أو الوقوف على غير ذلك ، ومناقشته ، أو الاستشهاد باجتهاد لصاحبه ، ومن خيرة هذه المراجع : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ للدكتور شعوط ، وعبقريات العقاد ، ومؤلفات طه حسين عن الفتنة ، والخلفاء الراشدون لمحمود شاكر ، ولعبد الوهاب النجار ، وغير ذلك كثير .

وأما عن منهج الدراسة فكان منهجاً وصفياً موضوعياً حيث عرضنا لكل حدث مستقل فى مكانه مع جمع كل خيوطه ، وإن كنا قد أوجزنا فى بعض النقاط كالفتوح ولكننا توقفنا بالعرض والتحليل والنقد لجل ما يثار من شبهات حول تاريخ الخلفاء الراشدين قدر الإمكان ولم نترجم إلا للشخصيات التي لعبت دوراً فى الأحداث وأسهمت فى صنعها .

وأما عن خطة الدراسة فقد جاءت فى أبواب أربعة ، مسبوقة بمقدمة وتمهيد على النحو التالى :

المقدمة : تحدثنا فيها عن أهمية الموضوع ، ومصادره ، ومنهجه ، وخطته .

التمهيد : عرفنا فيه الخلافة ، وشروطها ، وحكم قيامها ، وطرق اختيار الخليفة من واقع تاريخ الخلفاء الراشدين .

الباب الأول : **خلافة أبى بكر الصديق ١١ – ١٣ هـ** .

واشتمل على فصلين :

الفصل الأول : **أبو بكر من الميلاد حتى الخلافة** ، فتناول نشأة الصديق ومرجحات توليه الخلافة ، واجتماع الثقيفة ، وحقيقة المشاورات التى دارت فيه ، والبيعة لأبى بكر ، وخطبته التى بين فيها منهجه فى الحكم ، وتوقفنا مع المعارضين لاستخلاف أبى بكر ، ثم أمطنا اللثام عن شبهات المستشرقين حول بيعة الثقيفة ، ورددنا عليها بالأدلة والبراهين ، وبينا وجه الحقيقة فيها .

الفصل الثانى: أهم الأعمال التى قام بها أبو بكر فى خلافته.

كإنفاذ سرية أسامة بن زيد ، ومواجهة المرتدين ، وبدء حركة الفتوح ، وجمعه للقرآن ، وأخيراً عهد الصديق للفاروق ، ثم وفاة الصديق .

الباب الثانى : **خلافة عمر الفاروق ١٣ – ٢٣ هـ** .

وتضمن فصلين :

الفصل الأول : **عمـــر من الميلاد حتى الخلافة** ، فتحدث عن نشأة الفاروق ، وحياته حتى توليه الخلافة ، والبيعة له .

الفصل الـثانى: **أهـم أعمـــال عمر بن الخطاب ، ومميزات حكمـــه** ، كوضـــع التاريخ الهجرى ، وإعمار الحرمين الشريفين ، وضـــوابطه لاختـــيار عمالـــه ، ومراقبتهم ، ثم تدوينه للدواوين ، وتنظـــيمه للقضاء، وورعه مع رعيته ، وتقشفه مع أهل بيته ، ثم الفتوح فى عهده ، وتمصيره الأمصار ، وأخيراً مقتله .

الباب الثالث : **خلافة ذى النورين عثمان ٢٣ - ٣٥هـ**

واحتوى أربعة فصول :

الفصل الأول : **عثمان من الميلاد حتى الخلافة** ، وفيه ألقينا الضـــوء علـــى نشأة عثمان ، **وحياته** ، **وقصة مجلس الشورى** ، وضوابط عمر لاختيار لاحقه ، **وأول ما نظر فيه عثمان من قضية** عبيد الله بن عمر ، ثم كتبه إلى **العمال** ، والرعية ، **والجنود** .

الفصل الثانى :**أهم الأعمال التى قام بها عثمان فى خلافته** ، ككتابة المصحف العثمانى ، وتوسيع الحرمين الشريفين ، واستكمال حركة الفتوح .

الفصل الثالث : **الفتـــنة فـــى عهد عثمان وأسبابها** ، حيث أســـهبنا فـــى تتـــبع تلـــك الأســـباب ، سواء كانت اقتصادية ، أو اجتماعـــية، أو أســـباب منسوبة لعثمان ، أو حالة الاضطراب فى الأمصار ، أو نشاط الجماعات المعادية للإسلام .

الفصل الرابع : موقف المدينة من الفتنة ، حيث عرضنا فيه

لموقف عثمان من الفتنة ،ومحاولاته الدؤبة للحيلولة دون تفاقمهما، ثــم خروج الثوار للمدينة ، ونفاذ أمر الله في عثمان ، وتوقفنا عند تحديــد مواقــف الصحابة وعثمان من جرأة الثوار على الخليفة ، وحصاره ، وقتله ، ومن يبوء بإثم ذلك كله .

الباب الرابع : **خلافة أبى الحسن على بن أبى طالب ٣٥ – ٤٠ هـ**

وانقسم إلى أربعة فصول :

الفصــل الأول : **علـــى من الميلاد حتى الخلافة** ، فتحدث عن نشأة على وحياته ، وكيفية اختياره للخلافة ، وظروف البيعة له.

الفصــل الثانى : **آثار مقتل عثمان على الإمام** ، وتناول أول المعضـــلات الـــتى واجههـــا على من المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان ، ثم عزله للعمال الذين كانوا سبباً في الثورة على عثمان ، وما ترتب على ذلك من وقوع معركة الجمل ، واجتهدنا في تحديد من المسئول عن نشوبها .

الفصــل الثالــث : **العلاقة بين على ومعاوية** ، وعرض لأسباب الصراع بينهما ، ثم نشوب معركة صفين ، وما ترتب عليها من الإتفاق على التحكيم ، وما يثار حول مواقف الصحابة منه ، وحقيقة ما دار فيه، وإخفاقه في إحلال السلام بين الطرفين: على ومعاوية ، واستمرار حالة العداء بينهما ، وظهور الخوارج على مسرح الأحداث إثر التحكيم ، وما دار بينهم وبين الإمام حتى مقتله .

الفصــل الرابع : **وقفة متأنية من أحداث الفتنة** ، حيث حاولنا معرفة من كان على الحق في الصراع ، على أم معاوية ، وموقف

المؤرخ المسلم من صراع الصحابة وتقاتلهم ، وأخيراً تزكية القرآن والسنة للصحابة الأجلاء .

وبعـد فهـذه محاولـة للاجـتهاد فى عرض تاريخ الخلفاء الراشـدين ، بذلـت فيها ما استطعت من جهد ، ووقت ، فإن كنت أصبت ، فهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء ، وإن كانت الأخرى ، فحسـبى إنى مجتهد ، والعمل البشرى لا يخلو من النقصان ، فما كان من توفيق فمن الله ، وما كان من خطأ أو نسيان ، فمنى ومن الشـيطان ، والله ورسـوله منه براء ، ورحم الله امرأ أهدى إلىَّ عـيوبى ، والله أسئل أن يتقبل هذا العمل ، ويجعله خالصاً لوجهه الكـريم ، وأن يجعلـه فى ميزان حسناتى ، يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن يرشدنى إلى ما فيه خيرى الدنيا والآخرة ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، وصلى اللهم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المنصورة فى ٢٣ شعبان ١٤٢٨هـ

٥ سبتمبر ٢٠٠٧م

دكتور/ مسعد سيد محمد كتبى

التمهيد
الخلافـــــــــة

الخلافة

الخلافـة : لغـة النيابة ، يقال : استخلف فلان من فلان أى جعلـه مكانه ، والخليفة الذى يستخلف ممن قبله ، والخليفة السلطان الأعظم وخلفه خلافة أى كان خليفته ، وبقى بعده ، والجمع خلائف، وخلفاء ، وعرف الماوردى الخلافة بقوله : الإمامة موضوعة لخلافة النبوة ، فى حراسة الدين ، وسياسة الدنيا .

وعرفها ابن خلدون بقوله : هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية ، والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا كلها ترجع عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين ، وسياسة الدنيا .

فالخليفة هو إذن القائم بحراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، نيابة عن النـبى ﷺ لأن أحـوال الدنـيا كلها ترجع عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة.

وكان للنبى ﷺ فى حياته وظيفتان :

الأولى : تبلـيغ ما أمره الله به إلى الأمة ، وذلك بحكم اختياره لأداء الرسالة .

الثانـية : كونـه إماماً للمسلمين ، ورئيساً أعلى لهم ، يوجههم نحـو الخـير ، ويبعدهم عن الشر ، وإليه المرجع فى كل ما يحدث بيـنهم مـن أمور ، وهو الذى يحكم بينهم بما أنزل الله ، وهو القائد

(١) المـاوردى : الأحكـام السلطانية ص ٥ ، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص ٧٥ – ٨١.

للدولة ، والوظيفة الأولى انتهت بانتقاله إلى الرفيق الأعلى بعد اكتمال الرسـالة والتشريع ، وليس لأحد من بعده إلا البناء على قواعد تلك الشريعة.

والوظيفة الثانية ظلت باقية وضرورية ، إذ لم يكن للمسلمين بد منها ، حتى لا يفشلوا ، وتذهب ريحهم ، وتدول دولتهم ، ومن ثم لم يـروا بـدا من إقامة خليفة للرسول ﷺ ، ليسوس المسلمين ، كما أن سنة الله في خلقه أن كل جماعة مهما قل عددها ، لابد لها من رئيس يدبر أمورها ، ويدير شئونها ، ويكون به قوامها ، وإلا فلن يقر لها قرار ، ولن يستقيم لها حال .

حكمها :

أجمـع جمهور أهل السنة على وجوب نصب الإمام العادل ليقيم فى الدولة أحكام الله ، ويسوسها بأحكام الشريعة ، التى جاء بها النبى ﷺ، كمـا تواتر المسلمون على إقامتها منذ الصدر الأول ، حتى جعلوها أهـم الواجبات ، وبدءوا بها قبل دفن الرسول ﷺ ، وكرهوا أن يبقوا بعض يوم من دون خليفة .

شروطها :

من أهم الشروط التى يجب توافرها فى المرشح لتولى الخلافة : الإسـلام والعلم ، والعدالة ، والكفاية ، وسلامة الحواس ، والأعضاء ممـا يؤثر فى الرأى ، والعمل ، واختلفوا فى شرط النسب القرشى ، والجمهـور يشـترطونه ، لإجمـاع الصـحابة علـيه يوم الثقيفة ، ولاحتجاجهم على الأنصار به ، وتسليم هؤلاء لأولئك .

كيفية اختيار الخليفة :

تـــرك لـــنا الخلفاء الراشدون نماذج عدة لاختيار الخليفة وهى بترتيـــب توالى الخلفاء ، فإما أن يكون الأمر شورى بين المسلمين ، كمـــا حدث فى خلافة أبى بكر ، وإما أن تكون بعهد من الخليفة لمن بعـــده . بعد استشارة المسلمين ، كما حدث فى خلافة عمر ، وإما أن تكـــون فى أعضاء مجلس للشورى ، يحدده الخليفة ، ليختاروا منهم واحـــدا ، كمـــا حدث مع عثمان ، وإما أن تكون باختيار أهل الحل والعقد ، كما حدث فى اختيار على ، ومبايعة كبار الصحابة، وأهل المديـــنة لـــــه ، والشرط الأساسى فى كل هذه الطرق ، هو موافقة جموع المسلمين ، ورضاهم عن الخليفة ، وإلا يحدث ذلك فلا خلافة، ولا بيعة لـــه على الأمة ، ولا حق له فى الطاعة ، وإن تم فسيبايعه جمـــوع المسلمين بيعة عامة ، ثم يخطب الخليفة فيهم خطبة عامة ، يبين فيها ملامح خلافته ، وإليك التفاصيل عن أول الخلفاء الراشدين .

الباب الأول

خلافة أبى بكر الصديق ١١ - ١٣هـ

الفصل الأول : **أبو بكر من الميلاد حتى الخلافة .**

الفصل الثانى : **أهم الأعمال التى قام بها أبو بكر فى خلافته**

الفصل الأول

أبو بكر من الميلاد حتى الخلافة

أولاً : نشأة الصديق وحياته :

اسمه :

عبد الله ، بن عثمان ، بن عامر ، بن عمرو ، بن كعب، بن سعد بن تـيم ، بن مرة ، بن كعب ،بن لؤى القرشى ، يلتقى مع رسول الله ﷺ فى جدهما مرة ، ولد أبو بكر بعد عام الفيل بسنتين وثلاثة أشهر ، وتوفى بعد وفاة الرسول ﷺ بمثل ذلك ، فكان مثله فى العمر .

ألقابه :

١- لقـب بعتيق قيل : لعتقه من النار ، حيث قال عنه الرسول ﷺ : " **مـن سـره أن يـنظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا** "، وقـيل: لعتاقة وجهه ، أى جماله ، وحسنه ، وقيل : لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به [١] ، وقال ابن حجر[٢] : إنه لقب بعتيق لأن أمه لـم يكن يعيش لها ولد ، فلما وضعته استقبلت به البيت فقالت : اللهم إن هذا عتيقك من الموت ، فهبه لى.

٢- لقـب بالصـديق : لأنه بادر إلى تصديق الرسول ﷺ ، يوم أخـبره بقصـة الإسـراء والمعراج ، وعرف عنه الصدق فى الجاهلية والإسلام ، فكانت صفة ، ولقبا ملازماً له[٣] ، وقد قال الرسول ﷺ ليلة

---

(١) ابن سعد : الطبقات ١٧٠/٣ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٣ .
(٢) الإصابة ١٥٢/٢.
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٥ ، ٣٦.

أسرى به : إن قومى لا يصدقوننى ، فقال جبريل : يصدقك أبو بكر وهو الصديق (١).

٣- الأواه لقب أبو بكر بذلك لرأفته ورحمته وخشوع قلبه(٢).

كنيته : تكنى الصديق بأبى بكر ، لأنه بكر وسارع إلى الإسلام ، أولا بنكارة الخصال الحميدة التى لم يسبقه إليها أحد (٣).

أبواه :

والده عثمان كان يكنى بأبى قحافة ، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب ، تكنى أم الخير ، وهى بنت عم أبيه (٤) ، وقد أسلما.

صفة أبى بكر الخلقية والخُلُقية :

كان أبو بكر كما وصلتنا صفاته ، أبيض البشرة ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، أجنا "منحنياً قليلاً " ، ومن شدة نحافته لم يكن إزاره لصيقا به ، بل كان يسقط أحياناً ، معروق الوجه ، فلحمه قليل ، حتى يكاد العظم أن يرى ، غائر العينين ، ذو نتوء فى جهته ، عارى الأشاجع (الأصابع) ، يخضب لحيته بالحناء والكتم (٥) ، وهو كما ترى ليس بالصورة التى قد يتخيلها المرء لهؤلاء الأبطال ، من القوة ، والضخامة ، ولكن ليست هذه هى المؤهلات لهؤلاء الرجال ، بل مؤهلاتهم صحبتهم وحبهم للرسول ﷺ.

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/١٧٠.
(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/١٧١.
(٣) السيد يونس : الدولة الإسلامية ص ٢٦ .
(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٧ .
(٥) ابن سعد : الطبقات ٣/١٨٨ ، المحب الطبرى : الرياض النضرة ص ٣٤ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩.

وأمـــا صـــفاته الخُلقية ، فقد كان أبو بكر رجلاً تألفه النفوس ، محـبـاً لغـيره ، سـهلاً فـي مخالطته ، ذا مرؤة ومعروف ، لعمله بالـتجارة، فكـان الناس يألفونه لعلمه ، وحلمه ، وتجربته ، وحسن مجالسته [١]، وكان أعلم قريش بأنسابها ، حتى إن حسان بن ثابت لما أراد مـدح الرسول ﷺ ، ومعرفة نسبه ، قال له ﷺ : " **لا تعجل وأت أبـا بكر ، فإنه أعلم قريش ، حتى يمحص لك نسبى** " ، بل وحينما خرج الرسول ﷺ لدعوة الحجيج الذين وفدوا على مكة قبل الهجرة ، اصـطحب معـه أبـا بكر ، الذى أحسن فى مخاطبتهم ، وسؤالهم ، وإخـبارهم عـن أصـولهم ، وفروعهم ، حتى سُر الرسول ﷺ من ذلـك[٢].

كمـا كـان الصـديق "رضى الله عنه " عفيفاً حتى عن قول الشـعر، فى الجاهلية والإسلام ، ناهيك عن اجتنابه أم الكبائر ، حيث سـئل هـل شربت الخمر فى الجاهلية ؟ ، فقال : أعوذ بالله ، كنت أصون عرضى ، واحفظ مروءتى ، فإن من شرب الخمر كان مضيعاً فى عرضه ومروءتى [٣].

عمله :

كانـت قبيلة تيم ممن تقوم على أمر الديات فى مكة ، وقد آلت هذه الوظيفة لأبى بكر حينما اشتد ساعده ، فتولاها ، وكان إذا احتمل شيئاً من أمر الديات ، وسأل قريشاً ، صدقوه ، وأمضوا حكمه فيها ،

---

(١) ابن حجر : الإصابة ١٥٢/٢.

(٢) المحب الطبرى : الرياض النضرة ص ٧٠ – ٧٢ .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٨.

وساندوه لأدائها ، وإن احتملها غيره خذلوه ، ولم يحتملوا معه شيئاً من الديات [١].

وكان أبو بكر ممن احترف التجارة ، إذ كان يحمل بين جوانحه صفاتها ، التي تؤهله للنبوغ فيها ، فقد كان ذا خلق ومعروف ، صادقا محبوباً من الناس لعلمه ، وتجاربه ، وحسن معاشرته ، ومجالسته ، وقام برحلات تجارية إلى بلاد الشام غير مرة ، واجتمعت لديه ثروة كبيرة ، ناهزت عند إسلامه أربعين ألف دينار ، أنفقها كلها فى سبيل الله [٢].

وقد أثنى عليه النبى ﷺ فى ذلك فقال : " **ما نفعنى مال قط ، ما نفعنى مال أبى بكر**" فبكى أبو بكر، وقال : " **هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله** ؟ " وبذل أبو بكر ماله فى عتق الرقيق المستضعفين فى مكة ، حتى إنه أعتق سبعة كلهم كان يعذب فى الله "[٣].

إسلامه :

ولد الصديق فى مكة بعيد ميلاد النبى ﷺ ، فكان تربا له ، وجمعت بينهما الصداقة منذ كانا صبيين ، فكان وصيفاً له فى شبابه، ونديماً له فى مجالسه [٤]. لأن صفاتهما وهوايتهما وطباعهما تكاد تكون متوافقة ،وكان "رضى الله عنه " أول من أسلم

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) ابن سعد:الطبقات ١٧٢/٣ ، ابن حجر : الإصابة ١٥٢/٢ ، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٣٧ .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٦ ، ٤٧.

(٤) المحب الطبرى : الرياض النضرة ص ٣٩.

بدعـوة النبى ﷺ من الرجال ، وقد أثنى عليه النبى ﷺ فى ذلك فقال: **"مـا دعـوت أحـدا إلى الإسلام إلا كانت لـه عنه كبوة ، وتردد ، ونظـر، إلا أبا بكر ، ما عتم (تلبث) عنه حين ذكرته ، وما تردد فيه "،** كمـا قـال ﷺ : **"مـا كلمت فى الإسلام أحداً ، إلا أبى علىّ ، وراجعنى الكـلام، إلا ابن أبى قحافة ، فإنى لم أكلمه فى شىء ، إلا قبله ، واستقام علـيه "** وقـال ﷺ : **" إنى قلت أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت "**[١].

فهـذه الأحاديـث تؤكـد أسبقية أبى بكر فى الإسلام ، وحسن طاعـته للنـبى ﷺ ، وتضحيته ، وبلاءه فى سبيل هذا الدين ، حتى جعل النبى ﷺ إيمان أبى بكر فى كفه ، وإيمان الأمة فى أخرى [٢].

وليسـت هـذه هـى المنقبة الوحيدة لأبى بكر ، بل دونها العديد، فمنها :أن الله أكرم والديه بالإسلام ، وكان لهما صحبة للنبى ﷺ ، كما رزق الصـديق بـأولاد أسـلموا ، وحسن إسلامهم ، وجاءوا لأبى بكر بأحفـاد ، أسـلموا ، وصـحبوا النبى ﷺ ، وشاهدوه ، فكان فى بيت الصديق أربعة أجيال ، أسلمت ، وصحبت النبى ﷺ ، وشاهدته ، وهذه منقبه لم تجمع فى بيت واحد من الصحابة إلا أبى بكر [٣].

ما انفرد به أبو بكر دون غيره من الصحابة :

انفـرد أبـو بكر الصديق بالعديد من المميزات التى لم يشاركه

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٢ ، ابن سعد : الطبقات ١٧٢/٣.

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٩.

(٣) المحـب الطـبرى : الـرياض النضـرة ص ٨٣ ، المظفرى : التاريخ المظفرى ص ١١٨.

فيها غيره من الصحابة ، وكانت هذه مكرمة من الله ، أو من رسوله" ﷺ "، منها ما يلى :

١- خصه الله بلقب الصديق ، ولم يسم به غيره ، وهو صاحب الغـــار مـــع رسول الله ، ﷺ ورفيقه فى الهجرة ، وأمره الرسول ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود .

٢- كان من أكثر الصحابة الذين شاورهم الرسول ﷺ فيما يعن له من أمور ، حتى لقب بوزير النبى محمد "ﷺ "[١].

٣- أنـــه أول مـــن حج بالناس بأمر النبى "ﷺ " وذلك فى العام التاسع للهجرة [٢].

٤- أنه أول من جمع القرآن الكريم بين دفتين .

٥- أنه أول من اتخذ بيت المال [٣].

٦- أنه أول من سمى خليفة ، وتولاها عقب وفاة الرسول"ﷺ "[٤].

صحبته للرسول" ﷺ ":

مـــنذ أســـلم الصديق وهو رفيق للنبى "ﷺ " ، وملازم له ، لم يفارقـــه إلا عن إذنه ، فكان من أشد المقربين للنبى "ﷺ " حتى قال فـــيه: " **لـــو كنـــت متخذاً خليلاً ، لأتخذت أبا بكر خليلاً** "[٥] ، وظل فى رفقـــته وصحبته له فى مكة ، حتى أذن الله لرسوله بالهجرة ، فنال هذا

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٧٢.
(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/١٧٧.
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٩١ ، ٩٢.
(٤) ابن الأثير : الكامل ٢/ ٤٢٤ .
(٥) ابن سعد : الطبقات ٣/١٧٦.

الشرف دون غيره ، وفى المدينة شهد المشاهد كلها مع رسول الله "ﷺ" مـا تخلـف قط ، فشهد بدراً ، وكان رفيقه فى العريش ، وشهد أُحداً ، وصمد مع المسلمين ، وشهد الأحزاب ، ورافقه الحديبية، وكان من أشد الصـحابة إيمانـا بقول الرسول "ﷺ" فى أنها فتح للإسلام ، وشهد فتح خيـبر ، وفـتح مكة ، وكان حامل لواء الرسول "ﷺ" فى تبوك ، كما أرسـله الرسـول "ﷺ" أمـيراً علـى إحدى سرايا نجد ، وكلفه بإمامة المسلمين فى الحج فى العام التاسع، كما عهد إليه بالصلاة بالمسلمين فى مرضه الذى توفى فيه[١].

وكان أبو بكر " رضى الله عنه " من أحب الناس إلى قلب رسول الله "ﷺ" ، حيـث سئل الرسول "ﷺ" عن أحب الناس ، فقال: أبو بكر [٢]، وبشـره النبى "ﷺ" بالجنة وذلك عندما كان الرسول " ﷺ "على أحد آبار المدينة ، واستأذن عليه أبو بكر، فقال لمرافقه:أئذن له وبشره بالجنة [٣].

وكـان الصـديق رجل الساعة القوى حين توفى النبى " ﷺ "، حيـث نعـاه للمسلمين ، وحين اختلفوا فى غسله ، أشار عليهم بقول الرسـول له : إن الأنبياء لا يجردون من ثيابهم ، وحين اختلفوا فى مكان دفنه ، قال سمعت رسول الله " ﷺ " يقول : ما من نبى يقبض، إلا ويدفن حيث يقبض [٤].

علم الصديق :

جمـع الصـديق جوامع العلوم ، فكان أعلم الصحابة بالقرآن ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ١٧٥ - ١٧٧.
(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/١٧٦.
(٣) الزبيرى : نسب قريش ص ١٠٢.
(٤) ابن هشام : السيرة ٤/ ٣٨٦.

واقرأهم له ، وأقدرهم على الفتيا فى حضور الرسول " ﷺ "، كما كان أعلمهـــم بالســـنة ، وعلـــى علم بتعبير الرؤيا ، كما كان عالماً بالتفسير ، وبالجملة فقــد كـــان أفقـــه الصحابـــة بعد رسول الله " ﷺ "[١] .

شجاعته :

على الرغم من البنية الجسدية الضعيفة لأبى بكر ، إلا أنه كان أشجع الناس ، ومن ذلك أنه كان أول من طلب من رسول الله إظهار الدعـــوة ، فأجابـــه ، فوقف بين مشركى مكة خطيباً ، غير مبال بهم ، وكـــان حارســـاً للنـــبى " ﷺ " فى غزوة بدر ، لئلا يهوى عليه أحد من المشركين ، وكان ممن ثبت مع الرسول " ﷺ " فى أحد [٢].

ثانياً : وفاة الرسول " ﷺ " :

بلَّغ النبى "ﷺ " الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فكشف الله به الغمة ، وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين ، فلقى ربه فى يوم الاثنيـــن ، الـــثانى عشـــر من ربيع الأول ، للسنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية ، وأصاب الوجوم والحزن جموع المسلمين فى المدينة المـــنورة ؛ بـــل وبلـــغ الأمر مبلغه من عمر بن الخطاب ، الذى لم يستوعب هذا الحدث ، وأنكره ، وتوشح سيفه خارج بيت النبى " ﷺ " وهو يقول : " إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله "ﷺ " قد توفى ، وإن رسول الله "ﷺ " والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى لقاء ربه ، كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم ، بعد أن قيل : قد مات، والله ليرجعن رسول الله "ﷺ "

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٩ - ٥١ ، ١٠٨ ، ١٠٩.

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٤ ، ٤٥.

كمـــا رجـــع موســـى ، فليقطعن أيدى رجال ، وأرجلهم ، زعموا أن رسول الله "ﷺ" مات "[١].

أمـــا أبـــو بكـــر الصديق ، فما إن وصله الخبر ، حتى أسرع بـــالقدوم من بيته بالسنح – فى إحدى ضواحى المدينة – ، ونزل عند بيـــت النبى "ﷺ" ، فوجد عمر بن الخطاب مازال يردد كلماته التى قالهـــا ، فأسرع الصديق بالدخول إلى بيت عائشة ، حيث كان جثمان النبى "ﷺ" فكشف الغطاء عن وجهه الكريم ، وقبل ما بين عينيه ، وخاطـــبه قائلاً : طبت حياً وميتاً يا رسول الله "ﷺ" أما الموتة التى كتـــبها الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً ، ثم خرج أبـــو بكـــر لمواجهة جموع المسلمين المحتشدة خارج البيت ، ووجه كلامـــه إلى عمر بن الخطاب قائلاً : على رسلك يا عمر ، أنصت ، بـــيد أن عمـــر مـــاانفك يواصل مقالته ، بنفى وفاة رسول الله "ﷺ" فتركه أبو بكر ، واتجه بخطابه للمسلمين ، الذين أقبلوا عليه ، فحمد الله ، وأثـــنى عليه ، ثم قال : : أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حى لا يموت " [٢] وتـــلا قوله تعالى : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَـــإِنْ مَـــاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَـــى عَقِبَيْـــهِ فَـــلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [٣].

كانـــت كلمـــات أبـــى بكـــر هى المنقذة للمسلمين من حيرتهم ، ودهشـــتهم، مـــن ذلك الحدث الجلل ، حتى أخذ الناس يرددون تلك الآية

---

(١)ابن هشام : السيرة ٤/ ٣٨١.

(٢) ابن هشام : السيرة ٤/ ٣٨١.

(٣) آية ١٤٤ سورة آل عمران .

الكريمة ، وكأنهم لا يعلمون أنها من كتاب الله – عز وجل – وكان عمر أشدهم تأثراً بها ، حيث سقط مغشياً عليه ، من لدن سماعها ، وأدرك أن حبيــبه رسول الله "ﷺ" قد جرت عليه سنة الله فى الأولين والآخرين ، حيث قال تعالى لرسوله : ﴿ إِنَّــكَ مَيِّــتٌ وَإِنَّهُــمْ مَيِّتُونَ ﴾ [١].وأصبح لا مناص من مواجهة تلك الحقيقة المرة، التى حلت بالمسلمين[٢].

وكما علمت فقد كان للرسول "ﷺ" فى حياته وظيفتان : "**الأولى** " التبليغ عن الله ، بحكم الرسالة التى اختير ليقوم بأدائها ، فهو بذلك مشــرع عــن الله – عز وجل – و" **الثانية**" كونه إماماً للمسلمين ، تجــتمع إليه كلمتهم ، يوجههم إلى الخير ، ويبعدهم عن الشر ، وإليه القضــاء فــيما يعــن لهــم من مشكلات ، بحسب ما يوحى إليه من الشــريعة، ثم هو يقوم بتنفيذ تلك الأحكام ، والوظيفة " **الأولى**" انتهت بانتقاله "ﷺ" إلى الرفيق الأعلى بعد أن كمل الدين، وارتضى المولى – عــز وجل – الإسلام ديناً للبشرية جميعاً ، ولم يكن لأحد بعد ذلك إلا البناء على قواعد تلك الشريعة ، والاستنباط منها [٣].

أمــا الوظيفة "**الثانية**" وهى إمامة المسلمين ، وإدارة شؤونهم ، فكان على الصحابة رضوان الله عليهم أن يبادروا إلى اختيار أحدهم ليســير فيهم على نهج النبى "ﷺ"وخاصة أنه لم يستخلف أحداً قبل مماتــه ، ولــم يــوص بهذا الأمر لواحد من المسلمين ، إلا أنه لمح برغبته فى أن يتولى أمر المسلمين من بعده أبو بكر الصديق ، وذلك فى غير مناسبة .

---

(١) آية ٣٠ سورة الزمر.

(٢) ابن هشام : السيرة ٤/ ٣٨١ .

(٣) الشيخ محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ص ١٦٧.

ثالثاً : **مرجحات تولى أبى بكر الخلافة** :

كانت هناك أشارات من النبى"ﷺ" ليكون أبو بكر خليفة له ، منها ما يلى :

١- روى جبير بن مطعم عن أبيه أنه قال : " **إن امرأة أتت النبى "ﷺ" ، تسأله شيئاً ، فقال لها : ارجعى إلىّ ، فقالت : فإن رجعت فلم أجدك يا رسول الله ؟ تعرض بالموت ، فقال لها رسول الله "ﷺ" ، فإن رجعت ، ولم تجدينى ، فألقى أبا بكر "[١]. فهذا تلميح من النبى "ﷺ" ، بأن أبا بكر سيكون خليفة له .**

٢- سُئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها "**يا أم المؤمنين من كان رسول الله "ﷺ" مستخلفاً لو استخلف ؟ قالت : أبا بكر ، ثم قيل لها : من بعد أبى بكر ؟ ، قالت :عمر ...**"[٢].

٣- **أن النبى "ﷺ" قال لعائشة لما مرض : " ادعو لى عبد الرحمن بن أبى بكر ، اكتب كتاباً ، لا يختلف عليه أحد من بعدى، ولا يختلف فيه المسلمون ، ثم قال: " دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر**"[٣].

٤- **أن النبى "ﷺ" قال:" لا أدرى كم بقائى فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدى ، وأشار إلى أبى بكر وعمر ، واهتدوا بهدى عمار، وما حدثكم به ابن أم عبد وصدقوه** "[٤].

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ١٧٨.

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ١٧٥ ، ١٨١.

(٣) ابن سعد : الطبقات ١٨٠ ، البلاذرى : أنساب الأشراف ١/ ٥٤٠.

(٤) البلاذرى : أنساب الأشراف ١/ ٥٤٠.

٥- عن ابن المسيب "رضى الله عنه" قال : "قال رسول الله "ﷺ" : " **إن تولوا أبا بكر تجدوه ضعيفاً فى بدنه ، قوياً فى أمر الله، وإن تولوا عمر تجدوه قوياً فى نفسه ، قوياً فى أمر الله..**"[١].

٦- أن النبى "ﷺ" قال فى مرض موته : " **مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة "رضى الله عنها" يارسول الله "ﷺ" إن أبا بكر رجل رقيق ، وإنه إذا قام مقامك لم يكد يسمع الناس، قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ،إنكن صواحب يوسف** " وقد صلى أبو بكر بالمسلمين ثلاثة أيام فى هذا المرض،ولما خرج النبى "ﷺ" فى إحداهن للصلاة ، تابع القراءة إماماً من حيث وقف الصديق[٢]، وغير ذلك من الأدلة على تلميح الرسول "ﷺ" باستخلاف أبى بكر من بعده كثير ، ولكننا نقتصر على ما أوردناه للاستدلال ، وليس للحصر .

رابعاً : اجتماع السقيفة ومادار فيه :

١- رأى الأنصار :

كان من الطبعى أن يختار المسلمون بعد وفاة الرسول "ﷺ" أبا بكر خليفة له ، فهو من السابقين فى الإسلام ، وله من الصحبة مع النبى "ﷺ" ما له ، ولكن الروايات التاريخية [٣] تقول : إن الأنصار بادروا إلى الاجتماع فى سقيفة بنى ساعدة ، والتفوا حول سيد الخزرج سعد [٤] بن عبادة ، لينصبوه خليفة على المسلمين ، فما بال

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف ١/٥٤٢.

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .

(٣) ابن هشام : السيرة ٤/٣٨٢.

(٤) سعد ، بن عبادة ، الخزرجى ، أحد النقباء ، وسيد الخزرج ، قيل : شهد بدرا ، ولما قدم النبى ﷺ المدينة ، كان يبعث سعد إليه فى كل يوم جفنة من=

الأنصـــار يُقدمُون على هذه الخطوة الجريئة ؟ من دون التشاور مع المهاجريـــن ، بل ومازال جثمان النبى "ﷺ" مسجى فى بيت عائشة ، هـــل أغمض الأنصار حق أبى بكر فى هذا الأمر ؟ أم كان لهم هوى فى تبوء منصب الخلافة ؟ أم غير ذلك ؟

هـــناك أكـــثر مـــن ســـبب دفع الأنصار إلى السرعة فى عقد الاجتماع ، واختيار سعد بن عبادة للخلافة ، إليك بعضاً منها :

١- أن الأنصـــار كـــانوا يخـــافون أن يلـــى أمر الخلافة أحد المهاجريـــن ، ممـــن قتل الأنصار آباءهم ، وإخوانهم ، فى غزوات الرسول "ﷺ"، ومن ثم يقوم الخليفة القرشى بنيل الثأر من الأنصار ، والانتقام منهم ، مما يحدث فتنة داخلية بين المهاجرين والأنصار ، قد لا تحمد عقباهـــا[١].

٢- شـــعور الأنصار بخطر المسئولية الملقاة على عاتقهم ، إذ كانوا هم القوة الضاربة ، التى تمكن بها الرسول "ﷺ" من توطيد نفوذ الإســـلام فـــى الجزيرة العربية ، ونشر الدين ، وكانوا أكثر عرضة للـــتهديد بعـــد وفاة الرسول "ﷺ"، من جانب القبائل التى لم تدخل فى الإسلام إلا بلسانها ، ولما يدخل الإيمان قلوبها [٢].

٣- أن الأنصـــار استشـــرفوا الخلافة بعد فتح مكة ، ورجوع

=ثريد اللحم ، فتدور مع النبى ﷺ حيث دار على أزواجه ، وكان يحمل لواء الأنصـــار فـــى غـــزوات الرسول ﷺ ، أثنى عليه الذهبى فقال : كان ملكاً، شـــريفاً، مطاعاً ، مات بحوران فى بلاد الشـــام سنة ١٦هـ ، الذهبى : السير ١٦٩/٣ - ١٧٤.

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ١٨٢ .

(٢) شاكر : الخلفاء الراشدون ص ٤٩ .

الرسول ﷺ، معهم إلى المدينة ، وتركه لمسقط رأسه ، وأحب البلاد إليه ، ثم موته ، ودفنه فى المدينة[١].

٤- ظن الأنصار أن المهاجرين ربما عادوا إلى مكة بعد وفاة الرسول ﷺ، إذ هم لم يهاجروا إلا لهجرته إليها ، أما وقد توفى ﷺ فقد يعودوا لمكة ، ثم يصبح أمر إدارة المدينة فى رقبة الأنصار ، ومن ثم أسرعوا للاجتماع فى السقيفة ، ورشحوا سعد بن عبادة لتولى أمور المسلمين [٢].

لكل هذه الأسباب ، أو لبعضها ، كان ما كان من الأنصار من سرعة اجتماعهم فى السقيفة ، حيث أخرجوا إليهم سعد بن عبادة وهو مريض ، فخطبهم قائلاً : " **يا معشر الأنصار لكم سابقة فى الدين ، وفضيلة فى الإسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إن محمداً ﷺ لبث بضع عشرة سنة فى قومه ، يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخلع الأنداد، والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ﷺ، ولا أن ينصرروا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عُمُّوا به ، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، ورزقكم الله الإيمان به ، وبرسوله ، والمنع له ، ولأصحابه ، والإعزاز له ، ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقله على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً ، وكرهاً ، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً ، حتى أثخن الله – عز وجل – لرسوله ﷺ الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض ، وبكم قرير العين ، استبدوا بهذا الأمر ، فإنه لكم دون الناس** "[٣].

---

(١) ماجد : التاريخ السياسى ص ١٤٢.

(٢) شاكر : الخلفاء الراشدون ص ٤٩ - ٥١.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل ٢١٨/٣ .

لاقــت خطبة سعد بن عبادة قبولاً من الأنصار ، فاستحسنوها، وأثنوا على زعيمهم ، وأعلنوا توليته أمر المسلمين ، فهو قائدهم فى الجاهلــية ، خليفــتهم فى الإسلام ، وأعلن بعضهم أن المهاجرين إن رفضــوا ذلك الأمر ، واحتجوا بأنهم صحابة رسول الله ، وعشيرته، وأوليائه ، فليكن الأمر مناصفة بين المهاجرين والأنصار، فمن هؤلاء زعــيم ، ومن أولئك آخر ، فأنكر سعد بن عبادة ذلك ، وقال : هذا أول الوهن "[1].

٢- رأى المهاجرين :

سـرعان ما وصلت أنباء ذلك الاجتماع إلى رؤوس المهاجرين الذيــن التفوا حول بيت النبى "ﷺ"، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، بيــنما انشغل آل بيت النبى "ﷺ" بتجهيزه ، فأرسل الفاروق إلى أبى بكر بســرعة الخــروج إلــيه ، لمشاركة الأنصار فيما أزمعوا القيام به، من البيعة لسعد بن عبادة ، فاتجها نحو السقيفة ، والتقى بهما فى الطريق أبو عبــيدة بــن الجــراح ، فسار ثلاثتهم حتى لقيهم ، رجلان من الأنصار وهما: معن [2] بن عدى ، وعويم [3] بن ساعدة ، فأخبراهم بنبأ السقيفة ، وطلبوا منهم الرجوع ، والبت فى هذا الأمر بعيداً عن الأنصار ، ولكن

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٣/ ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) معــن ، بن عدى ، الأنصارى ، شهد بدراً ، وكان حليف بنى عمرو بن عــوف ، وكان ممن يكتب العربية قبل إسلامه ، واستشهد يوم اليمامة سنة ١٢هـ ، الذهبى : السير ٣/١٩٩ ، ٢٠٠.

(٣) عويم بن ساعدة ، الأوسى الأنصارى ، شهد العقبة ، وبدراً ، والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ توفى سنة ٢٣هـ ، ابن كثير : البداية ٧/١٣٥ .

عمر صمم على المسير نحو السقيفة ، لمشاركة الأنصار فى رأيهم ، حتى لا تقوم فتنة بين الطرفين [١].

وصـــل المهاجــرون الثلاثة إلى السقيفة ، وكان عمر قد استعد لمحـــاورة الأنصـــار بشـــأن أمر الخلافة ، ولما هم بالكلام استمهله الصـــديق ، وبدأ هو بمخاطبة الأنصار . فحمد الله ، وأثنى عليه . ثم قـــال : " **إن الله بعـــث محمـــداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته، ليعـــبدوا الله ، ويوحدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ... فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصـــديقه ، والإيمـــان بـــه ، والمواساة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهـــم لهـــم ، وتكذيـــبهم إيـــاهم ، وكـــل الناس لهم مخالف ، ... فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، ... فهم أول من عبد الله فى الأرض ، وآمن بالله ورسوله ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا يـــنازعهم ذلـــك إلا ظالم ، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم فى الديـــن ، ولا ســـابقتهم العظـــيمة فى الإسلام ، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة زواجه ، وأصحابه ، فليس بعد المهاجريـــن الأوليـــن أحـــد بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لا تفتأتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الأمور**" [٢].

خطـــبة عصماء ، جمع فيها أبو بكر وأوفى ، وبين فيها سبق المهاجريـــن إلى الإسلام ، وتضحياتهم فى سبيله ، وشدة ما لقوه من قومهـــم ، كمـــا لـــم يبخس فضل الأنصار ، فى الإيمان بهذا الدين ، ونصـــرتهم للرسول ﷺ ، حتى اتخذ من المدينة موطناً ، وبين أحقية

---

(١) ابن هشام : السيرة ٣٨٢/٤ – ٣٨٤ ، الطبرى : تاريخ الرسل ٢١٩/٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٢١٩/٣ ، ٢٢٠ .

المهاجريـــن فى خلافة الرسول ، لأنهم أقرب الناس به ، وأولى بهذا الأمر من غيرهم.

٢- ثنائية الخلافة :

لـــم تـــرق هذه الخطبة للحباب [١]بن المنذر الأنصارى ، ووجد فـــيها انـــتزاعاً للخلافة من أيد الأنصار وهم أحق بها ، فوقف خطيباً وقـــال : " **يا معشر الأنصار ، املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس فى فيئكم وظلكـــم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكـــم ، أنتم أهل العز والثروة ، وأولوا العدد والمنعة والتجربة ، ذوو الـــبأس والـــنجدة ، وإنمـــا ينظر الناس إلى ما تصنعون ، ولا تختلفوا ، فيفســـد علـــيكم رأيكـــم ، وينتقض عليكم أمركم ، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم ، فمنا أمير ، ومنهم أمير**"[٢].

كلمـــات خطـــيرة نطـــق بها هذا الصحابى الجليل – الذى كان مشـــيراً علـــى النبى ﷺ فى غزوة بدر ، بأن يعسكر على ماء بدر ، ويغـــور مـــا خلفه من الآبار – يحص فيها الأنصار على الاستمساك بحقهـــم ، فهـــم أصـــحاب المديـــنة ، والمهاجرون وافدون عليهم ، والمســـلمون جميعاً ينظرون إلى ما يقوم به الأنصار ، ومقتدون بهم فـــى ذلك ، وحذر عشيرته من الفرقة ، والاختلاف ، حتى لا يضيع ذلـــك الأمر منهم ، فإن رفض المهاجرون فليكن أمر الخلافة مناصفة

---

(١) الحـــباب ، بن المنذر ، بن الجموح ، الخزرجى ، الأنصارى ، يقال له : ذو الـــرأى لإشارته على النبى ﷺ يوم بدر ، بالنزول على أدنى ماء لقريش، وتغويـــر مـــا وراءهـــم من الآبار ، فأصاب فى هذا الراى ، ونزل الوحى بتصديقه ، توفى سنة ٢٣ هـ ، ابن كثير : البداية ١٣٤/٧.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٢٢٠/٣ .

بيــن الرهطيــن ، وهذا ما كان قد اقترحه أحد الأنصار ، إثر خطبة سعد بن عبادة ، الذى علق عليه بقوله :" **هذا أول الوهن** " .

فمــا الــذى دفع الحباب بن المنذر إلى عرض قسمة الحكم بين المهاجرين والأنصار ؟ والتمسك بأهداب الخلافة ؟ يقول ابن سعد[١]: إن هــذا الصحابى خاطب وفد المهاجرين قائلاً : " فإنا والله ما ننفَسُ هذا الأمر عليكم أيها الرهط ، ولكننا نخاف أن يليها أقوام قتلنا أباءهم وإخوتهم ، أى الخوف من أن يقوم الخليفة القرشى بالفتك بالأنصار ، بعــد تولــيه الخلافة ، ثأراً منهم ، لقتلهم أبائه ، وإخوته حينما كان هــؤلاء القرشيون مازالوا فى ظلمات الشرك والضلال ، ولقد استبعد عمر بن الخطاب أن يصدر منه ، أو من أبى بكر ، أو أبى عبيدة مثل ذلك الأمر ، إذا ما ارتقى أحدهم الخلافة ، وطمأن الحباب بن المنذر باستحالة حدوث ذلك ، ولكن الحباب قال له : إذا ما مضينا إلى لقاء الله ، ومضــيتم فربما جاء من بعدكم يا معشر المهاجرين ، من ينسى للأنصار حقهم ، ووصاية النبى ﷺ بهم ، وهذا هو سبب الخلاف [٢]، والدافع للأنصار ليشاركوا المهاجرين فى أمر الحكم .

ثــم ســاق الأنصــار دليلاً آخر على نجعة اقتراحهم ، بجعل الخلافة ثنائية بين المهاجرين والأنصار ، حيث قال بعض هؤلاء : يا معشــر المهاجريــن ألــم يكــن الرســول ﷺ إذا استعمل رجلاً من المهاجريــن فــى مهمــة مــا ، قرن معه رجلاً من الأنصار ؟ قال المهاجــرون الثلاثة : بلى ، فقال الأنصار : **فليلى هذا الأمر رجلان، منا ومنكم** [٣]، **فإذا ما حاد أحدهما عن الحق رده الآخر** .

---

(١) الطبقات ١٨٢/٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات ١٨٢/٣.

(٣) الذهبى : السير ٤٨١/٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٨١.

لكــل هذه الأسباب كان الأنصار يطالبون بمشاركة المهاجرين فــى إدارة شــئون الدولــة الإسلامية ، وجعل الخلافة مناصفة بين الطرفيــن ، وهذا الرأى منهم يعد تراجعاً عما بدءوا به ، إذ كانوا قد اجــتمعوا فى السقيفة فور وفاة الرسول ﷺ، ورشحوا سعد بن عبادة للخلافة ، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق ذلك ، إلا أن حضور المهاجريــن الثلاثة حال دون ذلك ، إذ بينوا لإخوانهم الأنصار أنهم أحــق بهــذا الأمر منهم ، مما دفع جموع الأنصار إلى التنازل عن نظريتهم ، والمناداة بنظرية ثنائية الخلافة .

رفض عمر بن الخطاب عرض الحباب بقسمة أمر الحكم وقال: **"هيهات لا يجتمع اثنان فى قرن ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبــيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمنع أن تولى أمرها من كانت النــبوة فــيهم ، وولــى أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى من العــرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمــد وإمارتــه ؟ ونحن أولياؤه ، وعشيرته ، إلا مدل بباطل، أو مــتجانف لإثم ، ومتورط فى هلكة "** [١]، فها هو ذا عمر بن الخطاب يــرفض ما قاله الحباب ، ويتمسك بحق المهاجرين الكامل فى خلافة الرسول ﷺ فهم لهم الحجة والسند فى تولى هذا الأمر دون الأنصار ، وبذلك رجحت كفة المهاجرين على الأنصار فى هذا الحوار .

لــم يســتكن الحباب بن المنذر لمقولة عمر ، بل وقف يحرض الأنصــار علــى انتزاع حقهم ، ومهدداً فى الوقت نفسه المهاجرين ، فقــال : **" يا معشر الأنصار ، أملكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتموه ،**

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٣/٢٢٠.

فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين ممن لم يكن يدين ..."(١).

٤- حسم الأمر للمهاجرين:

وارتفعت وتيرة الحوار في السقيفة بين المهاجرين والأنصار، وكاد الأمر أن ينذر بشرارة تستطير من مقولة الحباب الأخيرة، فتحدث أبو عبيدة(٢) بن الجراح ملطفاً للأجواء فقال: "يا معشر الأنصار، كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير"(٣).

فلاقت هذه الكلمة قبولاً من الأنصار، وتراجعت النفوس عن الحدة، وأدركوا أن المهاجرين هم الأحق بهذا الأمر منهم، وأنهم سيتفقون في المدينة معهم، ولكن ما كان يحرج الأنصار هو أنهم بادروا إلى بيعة سعد بن عبادة قبل وصول المهاجرين، ومن ثم فإن الرجوع في هذه البيعة من الصعوبة بمكان، وإن كانت لا [illegible] فليكن الحل لهذا الخلاف أن [illegible] الأنصار [illegible] وليظهر المقترح في الخلافة(٤).

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل ٣/٢٢٠.

(٢) أبو عبيدة بن الجراح: عامر بن عبد الله بن الجراح، أحد السابقين الأولين، شهد له النبي ﷺ بالجنة، وسماه أمين الأمة، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وشهد بدراً وقتل فيها أباه، وشهد أحداً والمشاهد كلها، واستعمله النبي ﷺ على إحدى الغزوات، وأرسله أبو بكر فيمن أرسل من الجيوش لفتح بلاد الشام، ثم تولى القيادة العامة أبو عبيدة بعد اليرموك، وتوفي سنة ١٨ هـ، عن ثمان وخمسين سنة. الذهبي: السير [illegible].

(٣) الطبري: تاريخ الرسل ٣/٢٢١.

(٤) شاكر مصطفى: الخلفاء الراشدون ص ٥٣، ٥٤.

وقف بشير [١] بن سعد الأنصارى خطيباً فى الحضور فقال : " **يــا معشــر الأنصـــار ، إنـــا والله لنـــن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشــركين، وســـابقة فى هذا الدين ، ما أردنا بذلك إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، ... فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغى به من الدنيا عرضاً ، فإن الله ولى المنة علينا بذلك ، ... ألا إن محمــداً ﷺ من قريش ، وقومه أحق به وأولى ، .. فاتقوا الله ، ولا تخالفوهم ، ولا تنازعوهم "[٢].**

نزلـــت تلــك الكلمات برداً وسلاماً على قلوب الحاضرين من المهاجريـــن والأنصـــار ، وبها حسم الأمر ، بعد أن طالب بشير بن ســـعد الأنصارى بترك الحق لأهله ، وعدم منازعتهم فيه ، فبادر أبو بكــر إلى أخذ البيعة لعمر بن الخطاب ، أو لأبى عبيدة بن الجراح ، فأبـــيا ذلـــك ، وقـــالا : والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فأنت أفضل المهاجريـــن ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وخليفة رسول الله ﷺ، على الصلاة "[٣] ، فرضينا لدنيانا من رضى به رسول الله ﷺ، لديننا وأيكـــم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر بعد ذلك ؟ فقال الحضور: "نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر"[٤] .

---

(١) بشير بن سعد بن ثعلبة ، الخزرجى ، والد النعمان ، أول من أسلم من الأنصار ، وشهد بيعة العقبة الثانية ، وغزوة بدر ، والمشاهد كلها ، وكان أول مـــن بايع الصديق يوم السقيفة واشترك مع خالد بن الوليد فى معاركه، حتى قتل بعين التمر سنة ١٢هـ ، ابن كثير : البداية ٣٤٨/٦.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل٣/ ٢٢١.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل٣/ ٢٢١.

(٤) البلاذرى: أنساب الأشراف ٥٥٨/١ ، ٥٨٠ ، ابن عبد البر . الاستيعاب ٢٩٧/١.

" : ... قول عمر بن الخطاب حاول(1) مبايعة أبى عبيدة بالخلافة ثم مبايعة أبى بكر، فقال: ابسط يدك أبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ، فقال له أبو عبيدة: ما رأيت لك فهة قبلها منذ أسلمت، أتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين، ثم تقدما لمبايعة أبى بكر

البيعة الخاصة لأبى بكر فى السقيفة

استبق البشير بن سعد الأنصارى عمر وأبا عبيدة وبايع أبا بكر، ولما رأى الأوس ما قام به، وما تدعو إليه قريش، وما يريده الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر، فأقبل الناس يبايعون أبا بكر، حتى كادوا أن يطئوا سعد بن عبادة من شدة إقبالهم على أبى بكر(2)، وبذلك تم اختيار أبى بكر للخلافة وبايعه جل المسلمين فى السقيفة ولم يتخلف عن البيعة إلا سعد بن عبادة وآل بيته(3).

عوامل نجاح استخلاف أبى بكر

لا مراء فى أن هناك عوامل عدة أسهمت فى نجاح تطبيق المسلمين للشورى فى السقيفة واختيار أبى بكر للخلافة ومن هذه العوامل ما يلى :

توفيق المولى عز وجل:

وصف عمر بن الخطاب بعد حين من الزمن بيعة السقيفة وقال : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة، وتمت ألا وإن الله وقى شرها، فوالله

---

(1) الطبقات ٣ / ١٨١.

(2) الطبرى: تاريخ الرسل ٣/ ٢٢٢.

(3) الطبرى: تاريخ الرسل ٣/ ٢٢٢.

(4) [illegible]

مـــا وجدنا فيما حضرنا أمرا هو أوفق من مبايعة أبي بكر، فخشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد (١).

صدق الفاروق في أنها كانت فلتة، فلنا أن نتصور لو أن الأنصـــار اضطروا أن يستبدوا بهذا الأمر من دون المهاجرين، ولم يواطن هؤلاء إلا بالاستحواذ على الخلافة، فأي مسرح للثورة كانت تصبح مدينة رسول الله، لا سيما وجيش أسامة بن زيد في أحشائها، فيه المهاجـــرون والأنصار، وكلهم مدجج بسلاحه، وماذا لو أن المهاجريـــن الذين ذهبوا إلى السقيفة كانوا غير أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، ممن ليس لهم في نفوس المسلمين جميعا ما لوزيري رسول الله ولأمين الأمة من مكانة، لشجر الخلاف بينهم وبين الأنصار (٢).

٢- كرم الأنصار وسماحتهم:

وإن ننسى فلا ننسى فضل الأنصار فيما صارت الأمور إليه، فقد كانت لهم رغبة مستورة في تولية المهاجرين للخلافة، وما وقفوه مع زعيمهم سعد بن عبادة إلا قياما بحق المجاملة، فلم ينووا القتال لانتزاع الخلافة، وكانوا يدركون مغزى تقديم الرسول ﷺ لأبي بكر في الصـــلاة، ويعلمون حق العلم منزلة المهاجرين في القرآن، وتقدمهم عليهم، ولم يكن إيمانهم بحقهم في الخلافة إيمان من يغضب لفواتها، ولم يكن حرصهم على السلطان أشد من حرصهم على الدين ومصلحة المسلمين (٣).

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٧٩، ٨١.

(٢) هيكل: الصديق [illegible]

(٣) العقاد: عبقرية الصديق ص ٣٤، ٣٥، ٣٦.

٣- حسن عرض المهاجرين لحجتهم :

أن وفـد المهاجرين قد أحسن هو الآخر عرض حججه وأسانيده ، فقد خاطب أبو بكر الأنصار قائلاً : إن الله سمانا الصادقين فى قوله تعالى : ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّـــهِ وَرِضْـــوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[١] وسماكم المفلحين فى قولـــه تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَـــنْ هَاجَـــرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُســـهِمْ وَلَـــوْ كَـــانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَـــنْ يُـــوقَ شُـــحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[٢]. وقد أمركم أن تكونوا معنا ، حيث كنا فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِيـــنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[٣]. فتذكرت الأنصار ذلك ، وانقادت لبيعة أبى بكر [٤].

وهكـــذا ماتـــت فتنة الخلاف فى السقيفة فى مهدها لأنها كما يقول العقاد[٥] : ولدت بعلة الموت ، فماتت ، وما اصطدمت بأكثر مـــن ثلاثـــة رجال ، لم يستعدوا لها بأكثر من استعداد الساعة، بل لعلهم أفلحوا فى القضاء عليها ، لأنهم كانوا أولئك الثلاثة بعينهم ، ولـــم يكونوا جمعاً حاشداً من المهاجرين المناظرين ، فلاحوا للقوم هداة ينصحون ، ولم يلوحوا لهم غزاة يقتحمون ، وكان ذلك أدعى أن يستمعوا إليهم ، كما يُستمع إلى الضيف الناصح ، دون أن تثار فى الأنصار نخوة الغاضب المطروق عليه فى عقر داره .

---

(١) آية ٨ سورة الحشر .

(٢) آية ٩ سورة الحشر.

(٣) آية ١١٩ سورة التوبة .

(٤) **ابن العربى : العواصم من القواصم متن وحاشية ص ٤٤ ، ٤٥.**

(٥) **عبقرية الصديق ص ٣٣ ، ٣٤.**

ومــن يــوم السقيفة لم يبق للأنصار في ولاية المسلمين مطمع أو مارب ، فقد كانت بيعة عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ولم يكن للأنصار من ذلك كله إلا نصيب سائر العرب ، وكأنما أمنوا بما قاله أبو بكر من أن العرب لن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش.[1]

أثر استخلاف أبي بكر في مكة

ولما وصل نبأ وفاة النبي ﷺ إلى مكة حتى ارتجت لها ، فســأل أبو قحافة والد أبي بكر عن سبب ذلك؟ فقيل له: قبض رسول الله ﷺ فقــال: فمن ولي الناس بعده؟ قالوا: ابنك، قال: أو رضيت بذلك بنو عبد شمس وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم، فقال: فإنه لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطى لما منع.[2] وما كان الجميع يــتوقع نــزاع القرشيين أنفسهم في أمر الخلافة، ولكن المولى سلم فكانت البيعة لأبي بكر بعيد وفاة الرسول ﷺ وهو مازال مسجى في بيته لم يدفن بعد.

خامساً: بيعة أبي بكر وخطبة الخلافة

لقد كانت البيعة لأبي بكر في السقيفة بيعة خاصة، وهي التي اصطلح علماء النظم على تسميتها بالبيعة الخاصة، فهل تكفي لتبوأ أبي بكـر هـذا المنصـب ؟ كلا ، بل كان لابد من متابعة جموع المســلمين له ، حــتى يتحقق لها ما يشبه الإجماع ، وهذا ما كان في الــيوم الــتالى ، وهو يوم الثلاثاء ، حيث جلس أبو بكر بجوار منبر رسول الله ﷺ ثم وقف عمر فى الناس خطيباً ، فحمد الله ، واعتذر

(١) هيكل : الصديق ص ٦٢ ، أحمد إبراهيم شريف : دور الحجاز ص ١١٣.

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/١٨٤.

عـن مقالـته التى قالها فور وفاة الرسول ﷺ ، وأنها لم تكن من كتاب ولا سنة ، ولكنه كان يرجو أن يعيش الرسول ﷺ حتى يكون آخـر المؤمنيـن لحوقا بربه ، ويشهد عليها بآخر أعمالها ، أخذاً بقولـه تعالي : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾ [١]. ولكن المولى اختار لرسـوله ما هو خير له ، فإن يكن رسول الله ﷺ قد مات، فقد أبقى لكم كـتاب الله الذى هدى الله به رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم ، وإن الله قـد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ﷺ ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوا ، فتقدم الناس للبيعة لأبى بكر مصافحة ، حتى تم لـه الأمر [٢].

ثـم تقدم أبو بكر لمنبر رسول الله ﷺ ، فارتقاه وتأخر عن الدرجة الـتى كان الرسول ﷺ يخطب عليها ، ثم حمد الله ، وأثنى عليه وقال : **"أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعيونني ، وإن أسـأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عـندى حتى آخذ له حقه ، والقوى ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق ، إن شـاء الله تعـالى ، لا يـدع أحد منكم الجهاد ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضـربهم الله بـالذل ، أطيعونى ماأطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ..."** [٣].

---

(١) من الآية ١٤٣ سورة البقرة.

(٢) ابـن هشام : السيرة ٣٨٥/٤ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤٨٣/٢، ابن كثير : البداية ٢٩٤/٦.

(٣) ابن هشام : السيرة ٣٨٥/٤ ، ابن الأثير : الكامل ٣٣٢/٢.

أهم ملامح خطبة أبى بكر :

خطـبة جامعة مانعة ، استهل بها أبو بكر خلافته ، وبين فيها منهجه ، وصارت سنة لمن بعده من الخلفاء ، وقد تناول فيها أبو بكر أمـوراً هامـة ، تكاد تكون هى المعالم الرئيسة لفترة خلافته ، ومن أهمها ما يلى :

١- أن الخلافة عقد بين الحاكم والمحكوم ، وأنها تكليف وليس تشريف ، وأن الأمة لها حق إبداء النقد ، بل وتقويم الخليفة إن أساء التصرف، فيما تولى من أمور المسلمين .

٢- التمسك بمكارم الأخلاق ، من الصدق ، والبعد عن الرذائل، إذ هى قوام حياة المجتمعات ولا صلاح ولا فلاح إلا بوجودها .

٣- المساواة بين أفراد الرعية فى الحقوق والواجبات ، ونصفة المظلوم ، والوقوف فى وجه ظالمه ، حتى يرد الحق لأصحابه .

٤- حـض المسلمين على الجهاد ، إذ هو ذروة سنام الإسلام ، كما قال الرسول ﷺ ، والتحذير من الدعة ، والركون إلى السلم.

٥- أن طاعـة الأمة للخليفة مرهونة بطاعته هو لله ولرسوله، فإذا انتفت هذه ، فلا وجوب لتلك .

سادساً : المعارضون لاستخلاف أبى بكر :

ذكـرت الروايات التاريخية أن بعضاً من المهاجرين والأنصار لم يبايعوا لأبى بكر بالخلافة واعترضوا على ذلك ومن هؤلاء:

١- سعد بن عبادة :

تخلـف بعـض الصحابة – رضوان الله عليهم – من البيعة لأبى بكر الصديق ، وكان على رأس هؤلاء سعد بن عبادة الأنصارى ، الذى

غضـــب لمـــبايعة أبى بكر دونه فى السقيفة ، فاعتزل فى بيته أياماً، ثم أرسل إليه أبو بكر ليتقدم للبيعة ، فإن جموع المسلمين ، بايعت ، فأبى ، وقـــال لا أبـــايعكم حتى أعرض على ربى ، وأعلم ما حسابى ، وطلب عمـــر من أبى بكر إجباره على البيعة، ولكن الصحابى الجليل بشير بن ســـعد حال دون ذلك ، حتى لا تنشب الفتنة بين المسلمين بسببه ، إذ هو لـــن يـــبايع إلا كـــرها، كما أنه فرد واحد ، وليس بضار المسلمين فى شـــىء، فاعتكف سعد بن عبادة فى بيته طيلة خلافة أبى بكر، ثم غادر المدينة إلى بلاد الشام ، حتى لقى ربه فى خلافة عمر بن الخطاب [1].

٢- على بن أبى طالب والزبير :

ومن الذين اختلف المؤرخون حول بيعتهم لأبى بكر الصديق، الزبير[2] بن العوام ، وعلى بن أبى طالب ، حيث ذكر اليعقوبى[3] أن رهطاً من آل بيت النبى ﷺ، وعلى رأسهم على بن أبى طالب ، تخلفوا عن البيعة ، لأنهم كانوا يظنون أنهم أحق بالخلافة من أبى بكـــر ، وأن هـــؤلاء النفر اجتمعوا فى بيت فاطمة بنت النبى ﷺ، واعتصـــموا بـــه ، ممـــا دفع أبا بكر وعمر إلى الهجوم عليهم ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٣٢٢/٣ ، ٣٢٣ / ابن الأثير : الكامل ٢/ ٣٣١ .

(٢) الزبـــير، بـــن العوام ، بن خويلد ، حوارى رسول الله ﷺ ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول مـــن سل سيفه فى سبيل الله ، قال عنه النبى ﷺ : لكل نبى حوارى ، وحواريـــى الزبـــير بـــن العوام ، جمع لـــه الرسول ﷺ أبويه يوم الخندق ، وأعطاه يوم فتح مكة لواء الأنصار ، وأمد عمر بن الخطاب عمرو بن العاص بالزبـــير عند فتح مصر ، واستشهد فى معركة الجمل سنة ٣٦ هـ، الذهبى : السير ٢٦/٣ – ٤٢ .

(٣) تاريخه ١٢٣/١ – ١٢٦.

واقتحام البيت ، فصاحت فاطمة وقالت : " والله لتخرجن ، أو لأكشفن شعرى ، ولأ عجّن إلى الله، فخرجوا ، وظل المعتصمون فيه أياماً ، ثم تتابعوا فى الخروج، والبيعة لأبى بكر ، وأما على فلم يبايع إلا بعد ستة أشهر .

لا مراء فى أن هذه الرواية أوهن من بيت العنكبوت ، إذا تفرد بها – فيما وقفت عليه من مصادر – اليعقوبى ، وهو ذ هوى شيعى ، ناهيك عن استحالة اعتصام على ، وآل بيت النبى ﷺ،فى بيت فاطمة ، والتخلف عن أمور المسلمين ، فلو كان هناك حق لعلى فى الخلافة ، بتصريح من النبى ﷺ، أو تلميح لما تخلف عن المطالبة به ، وكيف يجرؤ أبو بكر وعمر على اقتحام بيت فاطمة " رضى الله عنها" ، وهى من هى حبيبة رسول الله ، ولا يخرجون إلا بعد أن هددتهم بكشف شعرها ، إن هذه أمور لم يكن العرب يقومون بها فى جاهليتهم ، فكيف بهم وهم على بعد أيام من وفاة الرسول ﷺ .

وقبل هذا وذاك ، أن كل المصادر الأخرى التى وقفت عليها، قد أجمعت على مبايعة على والزبير لأبى بكر الصديق ، وإن كانت هذه البيعة قد تأخرت أياماً ، مما دفع أبى بكر إلى دعوتهما ، والاستفسار عن سبب تأخرهما ، وذلك من على منبر رسول الله ﷺ، فأقبل الزبير بن العوام ، فقال له أبو بكر : ابن عمة رسول الله ، أردت أن تشق عصا المسلمين ، قال الزبير : لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله ﷺ، فقام فبايعه، ثم دعا أبو بكر عليا ، فقال له: ابن عم رسول الله وختنه على ابنته ، أردت أن تشق عصا الطاعة ، قال على: لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله ﷺ ، فقام فبايعه[١].

---

(١) الذهبى : السير ٢/٤٨١ ، ابن كثير : البداية ٦/ ٢٩٤ ، السيوطى تاريخ الخلفاء ص ٨١ .

فـإذا كـان هذا موقف على من البيعة لأبى بكر الصديق ، فلماذا تأخر عنه حتى أرسل أبو بكر إليه هو والزبير؟ .

أسباب تأخر على عن البيعة :

تشير المصادر التاريخية إلى أن هناك غير سبب لذلك منها ما يلى:

١ - أن علـيا ، وآل بيت النبى ﷺ ، وجدوا على أبى بكر ، لأنه لم يستشرهم فى ذلك الأمر ، بل طلب منهم المبايعة كسائر المسلمين، ولأبى بكـر عذر فى ذلك ، لأن هؤلاء الرهط قد انشغلوا بتجهيز رسول الله ﷺ لدفـنه ، بينما كان الأنصار قاب قوسين أو أدنى لمبايعة سعد بن عبادة بالخلافة ، ومن ثم كانت السرعة فى استخلاف أبى بكر[١] .

٢- أن عليا توقف عن البيعة لأبى بكر لما أصابه من الكآبة والحزن لفقد رسول الله ﷺ ، فلما نظر فى الأمر ، ظهر له الحق ، دخل فيما دخلت فيه الجماعة [٢].

٣- أن علـيا بعـد وفاة الرسول ﷺ التزم بيته ، وأقسم ألا يخـرج منه ، ولا يرتدى قميصاً ، حتى يجمع القرآن ، كما أُنزل على رسول الله ﷺ [٣].

أدلة مبايعة على والزبير لأبى بكر:

ومما يؤكد بيعة على بن أبى طالب لأبى بكر الصديق طواعية، أنـه قال هو والزبير : **إنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بالخلافة ، إذ**

---

(١) ابن كثير : البداية ٦/ ٢٩٥ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٨٢.

(٢) المقدس : الرد على الرافضة ص ١٣٧.

(٣) البلاذرى : أنساب الأشراف ١/ ٥٨٧.

هو صاحب الغار ، وهو من قدمه ﷺ للصلاة ، فرضينا لدنيانا ، من رضـــى رسول الله ﷺ لديننا [1] ، كما قال على: **خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبـــو بكـــر رضـــى الله عنه ، ثم عمر** ، وقال أيضاً : **لا أوتى بأحد يفضـــلنى علـــى أبـــى بكر وعمر – رضى الله عنهما – إلا جلدته جلد المفترى** ، كما قال عن خلافة أبى بكر وعمر : **والله ما تقدمانى إلا بأمر الله عز وجل ، وأمر رسول الله ﷺ ، وما ظلمانى حقا لى** [2].

فكـــل هذه الأدلة تنفى عن على تهمة التخلف عن البيعة لأبى بكر، وتؤكد حبه لمن سبقه من الخلفاء ، وهذا ما دعى ابن كثير[3] إلى الثناء عليه فقال : " **وهذا اللائق بعلى – رضى الله عنه – والذى يدل عليه الآثار ، مـــن شـــهوده معه الصلوات ، وخروجه معه إلى ذى القصة بعد موت الرسول ﷺ ، ... وبذله لـــه النصيحة، والمشورة بين يديه**".

وحســبك بعد هذا وذاك دليلاً على ما قدمناه ، أن أبا سفيان[4] بـــن حـــرب قدم المدينة بعد البيعة لأبى بكر ، وحاول أن يشعل نار

---

(١) ابـــن سعد الطبقات : ١٨٣/٣ ابن كثير : البداية ٣٩٥/٦ ، الكاندهلوى: حياة الصحابة ١٧/٢.

(٢) المقدسى : الرد على الرافضة ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧.

(٣) البداية ٢٩٥/٦.

(٤) أبو سفيان : صخر ، بن حرب ، بن أمية ، القرشى ، كان أسن من النبى ﷺ بعشـــر ســـنين ، وهو من دهاة العرب ، ومن أهل الشرف فيهم ، تأخر إســـلامه حـــتى فتح مكة ، فأسلم مكرها ، ثم حسن إسلامه ، وشهد حنيناً مع الرسول ﷺ وأعطاه مائة من الإبل ، وكان والد أم حبيبة زوج الرسول ﷺ ، قلعـــت إحدى عيناه يوم الطائف ، والأخرى يوم اليرموك ، وشهد فى حياته ولديه : يزيد ومعاوية ، وهما أميرين على الشام ، وأصبح له شأن كبير فى خلافـــة عـــثمان ، وتوفى سنة ٣١ هـ ، عن نحو تسعين سنة ودفن بالمدينة ، الذهبى : السير ٤١٧/٣ ، ٤١٨.

الفتـــنة بين على وأبى بكر فقال : " يا على بايعتم رجلاً من أذل قبيلة مـــن قــريش ، أمـــا والله لئـــن شئت لأضرمنها عليه من أقطارها ، ولأملأنها عليه خيلا ورجالاً ، فقال له على : إنك طالماً غششت الله، ورســوله ، والإسلام ، فلم ينقصه ذلك شيئاً ، إن المؤمنين وإن نأت ديارهم وأبدانهم نصحة بعضهم لبعض ، وإنا قد بايعنا أبا بكر، وكان والله أهلاً لها " [١] ، فهذا كله يجزم بعدم تخلف على عن البيعة لأبى بكر

خلط المؤرخين بين بيعة على لأبى بكر ، وطلبه ميراث فاطمة:

يبدو أن المؤرخين خلطوا بين أمرين : الأول مبايعة على لأبى بكر، والـــثانى طلب فاطمة بنت الرسول ﷺ ميراثها من رسول الله ﷺ من أبى بكر ، فخلطوا بينهما ، وزعم بعضهم على إثر ذلك أن عليا لم يبايع ، فإذا كنا قد أمطنا اللثام عن الأمر الأول، فلنعرج إلى الأمر الثانى .

روت عائشـــة – رضــى الله عنها – أن فاطمة بنت النبى ﷺ ســألت أبـــا بكــر ، بعد وفاة الرسول ﷺ ، أن يقسم ميراث أبيها ، ويعطيها حقها منه ، فقال لها الصديق : إن أباها ﷺ قال : " **لا نورث ما تركناه صدقة** " فغضبت فاطمة ، ووجد علىٌ على أبى بكر لذلك ، ثـــم مرضت فاطمة ، حتى شارفت على الموت ، فزارها أبو بكر ، وترضـــاها ، حتى رضيت [٢]،ثم ماتت بعد الرسول ﷺ بستة أشهر ، فقـــام على بتجديد البيعة لأبى بكر ، لإزالة ما علق بذهنه من وحشة بسبب ميراث فاطمة [٣].

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف ٥٨٨/١.

(٢) الذهبى : السير ٤٨٨/٢ ، ٤٨٩ ، ٤٢٦/٣ ، ٤٢٧.

(٣) ابن كثير : البداية ٢٩٥/٦.

ويؤكـد طه حسين (١) هذه الحقيقة فيقول : " ما كان على وبنو هاشـم لـيفارقوا جماعة المسلمين ، وليتلبثوا حتى تموت فاطمة ، ثم يكون إقبالهم على البيعة " .

فكـل مـا سـبق ينفى عن على بن أبى طالب تأخره ، عن البيعة للصديق فور استخلافه ، ويرد على من طعن فى ابن عم رسول الله ﷺ ، ويؤكـد أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الخلق بعد رسول الله ، ولم يكن ليصدر منهم ما يفرق جماعة المسلمين ، ولم يمكن لهم مطمع فى تـبوء أريكة الخلافة ، إلا لمن يستحقها ، ألا وهو الصديق ، الذى رزقه الله إيمـان دونه رواسى الجبال ، ووحنان ثابت لا تنال منه الخطوب ، ثم خلـق كريم جميل، ومنطق بليغ ، يتنزل على القلوب ، وبهذا جمع الأمة إلى لوائه ، ورأب الصدع ، ووحد الصفوف (٢).

سابعاً : المستشرقون وبيعة السقيفة :

كدأب المستشرقين دائماً يحاول هؤلاء الطعن فى رموز الإسلام والمسـلمين ، بـدءاً بالرسول ﷺ ، ومروراً بالصحابة الأجلاء حتى يشـككوا الأمـة فـى مؤسسيها ، ويبرزونهم لها فى ثوب الطمع ، والاحتـيال ، والـتآمر ، فـإذا ما انطلت أقوالهم على ذوى العقول الضـعيفة ، والقلـوب المريضـة ، حققوا ما أرادوا من الطعن فى الإسلام ، وإذ لم يتحقق أملهم كله ، تركوا المسلمين فريسة للشكوك، والطعون ، التى قد تفترسهم بعد حين ، ومن تلك الشبهات التى ساقها المستشرقون حول بيعة السقيفة .

---

(١) الشيخان ص ٣٩.

(٢) مؤنس : تاريخ قريش ص ٦٠٢.

الشبهة الأولى : المؤامرة الثلاثية :

إذ يقــول ولـــيم موير ، وفليب حتى ، وديفلرى ، وغيرهم من المستشرقيين : بوجود مؤامرة ثلاثية ، بين أبى بكر الصديق ، وعمر بـــن الخطاب ، وأبى عبيد بن الجراح ، وتواطؤالسيدة عائشة معهم ، من أجل الاستحواذ على الخلافة ، بعد وفاة الرسول ﷺ ، وجعلها فى ثلاثتهم ، وحرمان من بقى من المهاجرين والأنصار منها[١] ،ويستدل هؤلاء بأدلة .

الأدلة على وجود هذه المؤامرة :

١- أن هــؤلاء الــرجال الــثلاثة اتفقــوا على الاستيلاء على الخلافــة، وتعاقــب الحكم فيما بينهم ، واحداً بعد واحد ، أبو بكر ، فعمـــر ، فأبو عبيدة ، وقد حدث ذلك ، فتولاها أبو بكر ، ثم استخلف قــبل وفاته عمر ، وحينما طعن الفاروق قال : لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته .

٢- أن هــؤلاء الثلاثة هم وحدهم من المهاجرين الذين أسرعوا إلى السقيفة ، ليدركوا الأنصار قبل أن يختاروا واحداً منهم، وحتى لا تفشل مؤامرتهم .

لا جــرم فى أن هذه الأقوال التى روجها المستشرقون قد لاقت قــبولاً مـــن الأوربيـــن ، لأن هــذا شبيه بما عهدوه فى أمثال هذه المواقف، من أحاديث التدبير ، وروايات التواطؤ والتآمر[٢].

---

(١) العقـــاد : عبقرية الصديق ص ١٩ ، محمد ياسين : الهجمات المغرضة ص ٩٣ - ٩٦.

(٢) العقاد : عبقرية الصديق ص ١٩.

الرد على هذه الشبهة :

لا سـند لهـذه التهمة من التاريخ ، ولا من المعهود من أخلاق هـؤلاء الرجال الثلاثة ، الذين عزيت إليهم تلك المؤامرة بغير بينة ، ولا دليل قاطع لما يلى :

١- لـيس فى شىء من خلائق أبى بكر ، وعمر ، وأبى عبيدة التى عهدها الناس منهم فى حياة الرسول ﷺ ، أو بعد وفاته ، ما يأذن لمتوهم أن يتوهم فيه التآمر على الخلافة [١]، فالأول صديق ، والثانى فاروق ، والثالث أمين هذه الأمة ، هذه هى النعوت التى وصفهم بها رسول الله ﷺ ، أفتراهم لا يستحقونها ؟ أم تظاهروا بذلك حتى نالوها من رسول الله ﷺ ؟، كلا وحاشا .

٢- لـيس فى سيرة أبى بكر وعمر بعد أن وليا الخلافة ما ينم علـى طمـع فى السطوة ، وحرص على الحكم ، بما يتنافى مع ثقة النبى ﷺ فيهما [٢]، بل كانا أبعد ما يكون عن هذا المنصب ، راغبين عنه ، لا راغبين فيه ، فقد قال أبو بكر فور استخلافه : **"قبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة"** [٣] .

٣- أن استخلاف أبى بكر كان مفاجئاً للجميع ، من دون تدبير، أو تشاور بين هؤلاء المهاجرين الثلاثة ، حتى أن أبا بكر كان خارج المدينة فى ذلك اليوم ، بعد أن استأذن فى صبيحته الرسول ﷺ ليلحق بأهله فى منطقة السنح – خارج المدينة – فأذن له ، فلو كانت هناك

---

(١) العقاد : عبقرية الصديق ص ٢١ .

(٢) العقاد : عبقرية الصديق ص ٢١ – ٢٤.

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٨٣.

أدنى شبهة بين الأطراف الثلاثة ، لظل أبو بكر بجوار النبى ﷺ وهو مريض ، حرصاً على تنفيذ هذه المؤامرة فور وفاته ، وأما عمر بن الخطـــاب فقد دهش لموت النبى ﷺ دهشة دفعته لإنكار ذلك - كما بيّـــنا آنفاً - ، فلو كانت هناك مؤامرة ، لبادر بتأكيد الوفاة ، والسعى لإنفاذ المؤامرة .

٤- أن أبا بكر وعمر خرجا للقاء الأنصار فى الثقيفة فور علمهما، على غير اتفاق ببينهما فيما يقولانه ، حتى كان عمر يخشى شدة أبى بكر ، فأعد كلاماً يقوله ، وكان الصديق يخشى حدة عمر ، فاستمهله حينما وصلاً للســقيفة ، ليكون الصديق هو المتحدث ، كما أنهما لم يلتقيا بأبى عبيدة إلا مصادفة ، وهما فى طريقهما .

٥- أن عمـــر بن الخطاب أراد مبايعة أبا عبيدة بالخلافة ، لما رجحت كفة المهاجرين فى السقيفة ، مما دفع أبى عبيدة إلى القول له: أتبايعنى وفيكم ثانى اثنين ، فهذا ينفى ما قيل عن وجود مؤامرة ثلاثية لمبايعة أبى بكر ثم تعاقب الخلافة بعده فى عمر ثم أبى عبيدة [1].

٦- وأمـــا مـــا قاله المستشرقون : من أن أبا بكر عهد بالخلافة لعمـــر بعده ، فهذا الاستخلاف كان عن رضا أعلام الصحابة ، وحسن ثنائهم على عمر ، ثم إمضاء جموع المسلمين لهذا الاستخلاف فى حياة الصديق وبعد وفاته ، فلو كانت هناك أدنى شبهة لمؤامرة بين الشيخين لوقـــف المسلمون من عمر موقفاً معارضاً ، ولما أمضوا عهد أبى بكر لـــه ، وأما ما قيل : من تمنى عمر حين طعن حياة أبى عبيدة ليستخلفه، فهـــذا مـــردود عليهم ، بقول عمر أيضاً : الذى تمنى أن يكون خالد حيا

---

(1) العقاد : عبقرية الصديق ص ٢١- ٢٤.

فيستخلفه ، أو سالم مولى حذيفة حيا ليستخلفه ، أو معاذ بن جبل[1].

٧- هـل يعقـل أن يجتمع هؤلاء الصحابة الأعلام للتآمر فى حياة الرسـول ﷺ ، حـول من يخلفه فى الأمر ، ثم ينتظرون اللحظة الحاسمة لموتـه لتنفـيذ ذلك ، فمن أدراهم حينئذ أن الوحى لا ينزل على النبى ﷺ لفضح مؤامرتهم ، ومن أدراهم أن النبى ﷺ لا يفارق الدنيا ولا يوصى فى أمر الخلافة بوصية يشهدها الناس عامة ، وتخالف ما اتفقوا عليه .

إذا فخلاصـة القـول : إنـه لم يكن هناك اتفاق مدبر على أى صـورة من الصور ، وإنما كانت بيعة واستخلاف الصديق كما قال عمر : " فلته ... ألا وان الله وقى شرها ... " [2].

الشبهة الثانية : انقسام المسلمين أحزاباً بعد وفاة الرسول :

يقول المستشرقون : إن المسلمين انقسموا بعد وفاة الرسول ﷺ إلى طوائف ، ومجموعات متناحرة فيما بينها ، وهذه الأقسام ما يلى :

١- المهاجرون ، الذين دبروا للاستحواذ على الخلافة .

٢- الأنصار ،الذين حاولوا مبايعة سعد بن عبادة فى السقيفة .

٣-أصحاب النص والتعين ، والذين نادوا بعلى بن أبى طالب خليفة.

٤- الارسـتقراطيون المكـيون من بنى أمية وغيرهم ، الذين كـانوا يـرون لأنفسـهم شرفاً ومكانة لدى المجتمع العربى ، ويحلمون بحكم الدولة بعد وفاة الرسول ﷺ [3].

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٥/٣، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ١٥٨.

(٢) العقاد : عبقرية الصديق ص ٢١ - ٢٤.

(٣) محمد ياسين : الهجمات المغرضة ص ٩٣.

الرد على هذه الشبهة:

إن مـا ذكـره المستشـرقون مـن هذه التقسيمات ، وخاصة المهاجرين ، والأنصار ، لا يصح أن يذكر إلا فى مقام المدح والثناء علـيهم ، فالمهاجـرون الـذى أثنى عليهم المولى فى كتابه ، بأنهم أخـرجوا مـن ديـارهم . وتـركوا ما يملكون فى سبيل هذا الدين، والأنصـار الذيـن اسـتقبلوا هؤلاء المهاجرين ، أثنى عليهم القرآن بقولـــه : ﴿ وَيُؤْثِـرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [١]، وهؤلاء ، وأولئك ، آخى بينهما رسول الله ﷺ مواخاة تامة ، حتى فى الميراث ، وحتى غزوة بدر وأصبحوا بنعمة الله إخواناً فالإسلام ألغى ما كان فى قلوب الطرفين من التنافس ، والتباغض، ومحا ما كان فى صدورهم من أضغان الجاهلية ، فغريب ان تعود إليهم جاهليتهم بكل مـا كـان فيها من الحقد ، والحسد ، فى اليوم نفسه الذى قبض فيه رسول الله ﷺ [٢].

أمـا الفـريق الثالـث : وهـم أنصار على بن أبى طالب فإن ماذكـرناه مـن مبايعته لأبى بكر ، ينفى وجود هذا الفريق ، وحتى مسمى هؤلاء الشيعة لم يظهر إلا فى عصر خلافة الإمام على .

وأوهـن مـن هذا وذاك ، وجود الفريق الرابع ، وهم المكيون الذيـن دخلوا فى الإسلام عند فتح مكة ، فما كان هؤلاء يطمعون فى تـبوء منصـب الخلافـة ، بـل كان كل همهم ، أن يعوضوا قصر صحبتهم لرسول الله ﷺ ، بحسن البلاء فى ميادين الجهاد .

---

(١) من الآية ٩ سورة الحشر.

(٢) طه حسين : الشيخان ص ٣٥.

هدف المستشرقين من ترويج مقولاتهم :

إن مـــا يبثه المستشرقون من سموم فكرية ، حول بيعة السقيفة، ومـــا تمخـــض عـــنها ، يهـــدف إلى الإيحاء بأنه كان صراعاً بين الصـــحابة، وتكالـــب على الدنيا ، ونزاع على السلطة ، والمنصب ، والهـــدف من هذا كله هو تشكيك المسلمين فـــي صحابة رسول الله ، وإظهـــارهم بمظهر لا يليق بهم ، ثم يقوموا بعد ذلك بتناول كل واحد مـــنهم على حدة ، بالطعن فيه ، والتجريح لـــه ، ثم بعد هذا وذاك ، يقولـــون للمسلمين : انظروا إلى أجدادكم ، وبناة مجدكم ، كانوا على هـــذه الدرجة من الحرص ، والطمع ، والتآمر ، والتكالب على حطام الدنيا[١].

ومـــن واجبنا حيال ذلك أن نطرح هذه الأقوال وراء ظهورنا ، بعـــد تفنـــيدها ، ونوقـــن أن الصحابة – رضوان الله عليهم - كانوا يعلمون تمام العلم ، أن الحكم فى الإسلام ليس وجاهة ، وصدارة ، أو مغـــنما ، وإنما هو تبعات جسام ، ومسؤليات ثقال ، وأمانة عظمى ، يسألون عنها أمام الله تعالى يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، كمـــا أن هؤلاء الصحابة الأجلاء كانوا يعيشون فى هذه الدنيا بالقليل مـــن المتاع ، وكانوا يؤمنون بأن ما عند الله خير وأبقى، فعملوا على التزود منه [٢].

---

(١)شـــعوط : أباطيل يجب أن تمحى ص ١١٣ ، ١١٤ ، الخطيب : دراسات تحليلية ص ٨١.

(٢) الخطيب : دراسات تحليلية ص ٨١

المنصفون من المستشرقين :

أمـــا المنصـــفون من المستشرقين ، والباحثين ، فقد أثنوا على اســـتخلاف أبى بكر ، وطريقة اختياره ، وشبهوا مشاورات الصحابة واجتماعهم فى السقيفة ، بأنهم كانوا يعقدون أهم اجتماع أو مؤتمر فى تاريخ الإسلام كله ، وما أشبهه بجمعية وطنية ، أو تأسيسية ، تبحث مصـــير أمـــة ، لأجـــيال عديدة لاحقة ، وتضع دستوراً يكون أساساً لحـــياتها فـــى المستقبل ، بل ووصف المستشرق ماكدونالد ، اجتماع السقيفة بقوله : إن هذا الاجتماع يذكر إلى حد بعيد بمؤتمر سياسى ، دارت فيه المناقشات ، وفق الأساليب الحديثة [١].

وقـــال آخر : إن الطريقة التى تم بها استخلاف أبى بكر كانت طـــريقة إسلامية ، ديمقراطية ، عربية ، بالشروط وعلى النحو الذى كـــان مألوفـــاً لـــدى عرب الجاهلية ، والإسلام ، فى انتخاب رئيس العشيرة ، بأن يكون من أكرمهم بيتاً ، وأشرفهم نفساً ، وأكبرهم سناً، وأكثرهم جوداً [٢].

نتائج بيعة الثقيفة :

من نافلة القول : إن بيعة السقيفة تمخض عنها نتائج منها:

١- إقـــرار مبدأ الشورى فى اختيار الحاكم ، تطبيقاً لعمل النبى ﷺ ، ولأوامر القرآن ، التى حضت عليها ، حيث قال تعالى:

---

(١) إمام عبد الفتاح : الطاغية ص ١٨٨ .

(٢) محمد أسعد طلس : تاريخ العرب ٣/٧٨ .

﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ....** ﴾ [١] ، وقال سبحانه : ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾ [٢] .

٢- استحداث نظام حكم جديد ، لم يكن للبشرية معرفة به ، سابقاً ، أو لاحقاً ، وهو نظام الخلافة ، الذى يجمع بين مميزات جميع النظم ، وينأى بنفسه عن سلبياتها ، فهو يعطى للخليفة صلاحيات كبيرة ، ولكنها مقيدة بالعمل بما فى الكتاب والسنة ، وينصب الخليفة طيلة حياته ، ولكن للأمة أن تقومه ، أو تعزله ، إذا ما خالف معلوماً من الدين بالضرورة ، وهو لا يتولى هذا المنصب إلا بالبيعة الخاصة من أهل الحل والعقد ، ثم البيعة العامة من جموع المسلمين .

٣- استنان خطبة تولى الخلافة ، حيث جرى الخلفاء الراشدون على ماسنته أبو بكر ، من إلقاء خطبة جامعة مانعة ، بين فيها الخطوط العامة لسياسته فى الحكم ، ويلتزم بما قاله فيها ، فهى أشبه ما تكون بالبرامج السياسية للمرشحين للرئاسة ، ولكن شتان بين هذا وذاك [٣].

هذا ما كان من جهد بذله الصحابة الأجلاء، فور وفاة النبى ﷺ ، من أجل النهوض بأعباء الأمة ، واستخلاف من يدير دفة الأمور فيها ، ويواصل مسيرة النبى ﷺ ، فى الحفاظ على كيان هذه الدولة الوليدة ، ولنلقى نظرة على بعض أعمال أبى بكر ، وجهوده فى ذلك .

---

(١) من الآية ١٥٩ سورة آل عمران .

(٢) من الآية ٣٨ سورة الشورى .

(٣) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٨٧ ، ٨٨ .

الفصل الثانى

أهم الأعمال التى قام بها أبو بكر فى خلافته

تولى أبو بكر الصديق الخلافة ، وانتشر خبر وفاة الرسول ﷺ ، فى الجزيرة العربية ، فقلبت ظهر المجن لأبى بكر ، بل ونجم النفاق فى المدينة المنورة ، وارتد من ارتد من العرب ، وأشرأبت اليهودية، والنصرانية ، ولم يثبت على الإسلام إلا ساكنو المدينة ، ومكة ، والطائف ، وأصبح وضع المسلمين فى المدينة خطيراً ، لفقدهم نبيهم، ولقلة عددهم ، فصاروا كالغنم المطيرة ، فى الليلة الشاتية [1].

أولاً : إنفاذ سرية أسامة بن زيد :

وفى ظل تلك الظروف المضرمة ، والهواجس القاتلة ، يقف أبو بكر الصديق ، وينادى مناديه بخروج المجاهدين ، وتكاملهم فى منطقة الجرف ، ليتم إنفاذ سرية أسامة بن زيد إلى تخوم الشام [2]، فما قصة هذه السرية ؟.

كان النبى ﷺ ، قبل وفاته ، قد أمَّر الصحابى ابن الصحابى أسامة [3]بن زيد على سرية ، وعهد إليه بمهمة أن يوطئ بخيله

---

(١) ابن كثير : البداية ٦/ ٢٩٧.

(٢) ابن كثير : البداية ٦/ ٢٩٥.

(٣) أسامة ، بن زيد ، بن حارثة ، الكلبى ، مولى رسول الله ﷺ ، وابن مولاه، وحبه ، وابن حبه ، أمه بركة أم أيمن ، مولاة رسول الله ﷺ ، وحاضنته، ولاه الرسول ﷺ أمره السرية المرسلة لقضاعة ، فتكلم الناس فى ذلك ، فقال ﷺ: إنه لخليق بالإمارة ، كما كان أبوه خليقاً لها ، وكان فى الثامنة عشرة من عمره، وتحت قيادته كبار الصحابة ، وكان عمر إذا لقيه بعد ذلك يسلم عليه بالإمرة ، ويقول : توفى رسول الله ﷺ ، وأنت علىَّ أمير ، توفى أسامة فى خلافة معاوية سنة ٥٤هـ ابن كثير : البداية ٨/٦٥ ، الذهبى : السير ٤/١١٩ - ١٢٦.

تخــوم البلقاء ، والداروم من أرض فلسطين ، وليثأر لمقتل والده زيد بن حارثة فى مؤتة ، وانتظم المهاجرون والأنصار تحت لواء أســامة بن زيد ، وعسكر المجاهدون لاستكمال عدتهم فى منطقة الجــرف - إحــدى ضــواحى المدينة - ثم بدأ مرض النبى ﷺ ، فــتوقف أســامة عن المسير بقواته ، إلى أن قضى الله أمراً كان مفعــولاً ، والــتحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، وتولى أبو بكر أمور المسلمين ، فانتظر أسامة أوامره بشأن ذلك الخروج ، فكان مــا كان من الأمر بسرعة خروج تلك السرية لوجهتها [١]، إلا أن الصحابة طلبوا من أبى بكر أحد أمرين :

الأول : إرجاء إرسال تلك السرية ، حــتى تستقر الأمور فى المدينة وما حولها ، وحتى يكون جند هذه السرية معصما الحماية المديــنة ، إذا ماداهمهــا أمر ، خاصة وأن هذه السرية كان فيها وجوه الصحابة [٢].

رد أبــو بكر على هذا الرأى رداً سجله له التاريخ - وهو خليق بذلــك - حيث قال : **"والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطــير تخطفــنا ، والســباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل** أمهات **المؤمنين ، لأجهزن جيش أسامة"**[٣]، وقال أيضاً : **" ما كنت لأستفتح بشيء ، أولى من إنفاذ أمر رسول الله ﷺ "**[٤].

---

(١) ابن هشام : السيرة ٣٧١/٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٢٢٥/٣ ، ابن كثير : البداية ٦/ ٢٩٧.

(٣) ابن كثير : البداية ٦/ ٢٩٧ ، ابن العربى : العواصم ص ٤٥.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه ص ١٠٠.

وهكــذا أعلنها أبو بكر ، فى صراحة ، وجرأة ، وشجاعة ، أنــه لــن يحيد قيد أنملة عن سيرة رسول الله ﷺ وأوامره ، التى قضـــاها قبل وفاته ، وأنه لا مجال للمناقشة فى أمر هذه السرية ، حتى إنه قال : " **لو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته**"[١].

لا جرم فى أن أبا بكر أراد أن يعلم الصحابة أولاً ، وجموع المســلمين ثانــياً – فى كل زمان ومكان – أهمية الطاعة للقائد ، وضـــرورة الــتحلى بالضبط المتين ، فطبق ذلك على نفسه أولاً ، ملــتزماً بالطاعة إلى أقصى الحدود حتى يستطيع مطالبة غيره بهـــا ، فكـــان إنفاذ بعث أسامة ، هو العنوان الأول لسياسة عامة فى الدولة الإسلامية [٢].

الأمر الثانى : عزل أسامة :

ســكنت قلوب الصحابة لحجة أبى بكر، فى إنفاذ سرية أسامة ، فطالبوه بأمر آخر – إن كان لابد من خروج السرية لوجهتها – وهو عزل أسامة ، وتنصيب أحد كبار الصحابة على قيادة السرية ، حتى يكــون مسموع الكلمة ، مطاعاً فيما يرى ، لا سيما وأن هذه السرية كانت تضم شيوخ الصحابة تحت لوائها ، وكان المشير على الصديق بذلك هو الفاروق ، نيابة عن جموع الصحابة ، فماذا كان رد الصديق علـــى ذلــك ؟ ، وثــب أبو بكر من جلسته ، وأخذ بلحية عمر بن الخطـــاب وقال لـــه : "**ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب ، استعمله رسول الله ﷺ ، وتأمرنى أن أنزعه** "، خرج عمر إلى الناس فسئلوه

---

(١) ابن كثير : البداية ٦/ ٢٩٧.

(٢) شيت خطاب : بين العقيدة والقيادة ص ٢٠٤ ، ٢٠٥.

عــن رد أبـــى بكر ، فقال لهم : امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت فى سببكم من خليفة رسول الله ﷺ [١].

وبذلـــك أدرك الصـــحابة – رضوان الله عليهم – أن أبا بكر ماضٍ على خطى رسول الله ﷺ ، فى إنفاذ السرية ، وعدم المساس بقـــيادتها الشابة ، التى نالت من ثقة الرسول ﷺ ما نالت، حتى إن هـــذه الهواجس فى إمرة أسامة كانت أيضاً على عهد رسول الله ، وطالبوه بمثل ما طالبوا به أبا بكر ، فكان رد الرسول ﷺ عليهم. أن أسامة خليق للإمارة ، كما كان أبوه زيد خليقاً لها [٢] .

أبو بكر يتفقد السرية :

مضـــى أبو بكر فى طريقه ، فخرج إلى منطقة الجرف ، حيث يعسكر أسامة ، ليشيعه ، وكان أبو بكر ماشياً ، وأسامة راكباً ، فقال القائد الشاب : يا خليفة رسول الله ، والله لتركبن ، أو لأنزلن، فقال له الصديق : والله لا تنزل ، ووالله لا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة ، فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة ، ثم استأذن أبو بكر من أسامة أن يعينه بعمر بن الخطاب ، ليكون رديفا له فى المدينة ، فأذن له أسامة [٣] ، وبهذا الفعل ، وذاك التصرف ، ضـــرب أبـــو بكـــر لجـــنود السرية ، وللصحابة ، مثلاً رائعاً فى ضـــرورة طاعـــة قائدهم ، والامتثال لأمره ، فهو أعلى من شأن

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٣/ ٢٢٦ .

(٢) الذهبى : السير ١٢١/٤ .

(٣)الطبرى : تاريخ الرسل ٣/ ٢٢٦.

أسامة ، حين مشى الصديق ، والقائد راكبا ، كما أنه لم يبق عمر بن الخطاب معه في المدينة ارتجالاً، بل استأذن من قائده العسكرى، فأذن للخليفة فى ذلك ، على الرغم من أن أبا بكر له حق الطاعة على القائد الشاب وعلى الفاروق ، ولكنه نصح للجنود فى صورة فعل ، وليس قول .

وصية الصديق لجنود السرية :

وقف أبو بكر فى الجنود خطيباً ، فقال : "**أوصيكم بعشر ، فاحفظوها عنى ، لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيراً ، إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم ، وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم ، يأتوكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شىء ، فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب ، فأخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله** " [١].

مقارنة بين وصية الصديق ودعاة الحضارة :

لله درك يا أبا بكر ، هل هذه وصية خليفة لقائد عسكرى ، متأهب للقتال ؟ ، أم هى ميثاق لحقوق الإنسان تحت الحرب ، تصلح لكل زمان ومكان !! فإن كانت الأولى فهى وسام شرف لهؤلاء الصحابة الأجلاء ، الذين رباهم الرسول ﷺ على عينه ، حتى جعل منهم

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل ٣/٢٢٦، ٢٢٧ ، ابن الأثير : الكامل ٢/٣٣٥.

فـــى ساحة الحرب أسوداً لا تهاب المنية فى سبيل العقيدة والاستشهاد ، وعلـــى الرغم من ذلك فهم بغير المحاربين فى أعلى درجات القمة من الـــرحمة والـــرأفة ، وهم بالمثل العليا متمسكون ، من الوفاء بالعهد ، وتحـــريم الغدر ، أو المثلة بالقتلى ، والحفاظ على الأطفال ، والنساء ، والشيوخ ، وعدم التعرض لرجال الدين المخالفين فى العقيدة ، بل وعدم تناول شيء من ممتلكات الخصم إلا للضرورة، من مأكل ، أو مشرب، بل والحفاظ على كل نسمة حية ، من شجر، ووبر .

وأين هذا مما كان سائداً فى تلك العصور ، ومما كانت تقوم به دولـــتى الفـــرس والروم ، بل والعرب فى جاهليتهم ، من الفتك بكل شيء فى الحروب ، والحرق ، والقتل ، والتدمير ، والسلب ، وانتهاك الحرمات ، ومن نجى من كل ذلك ، كان الاسترقاق للرجال ، والسبى للنســـاء والذريـــة ، ولكن الإسلام يأبى ذلك ، وإن اضطر فليكن فى أضـــيق نطاق ، وفى هذا دعوة عملية للإسلام ، تفوق مئات الخطب والمدونـــات ، ودعوة أن الإسلام دين السلام ، والرحمة ، فى سلمه ، وحربه ، وأنه قادر على إيجاد الدواء الناجع لكل علل البشرية .

وأمـــا إذا كانت هذه الخطبة الجليلة ميثاقاً لحقوق الإنسان تحت الحـــرب ، فقد سبقت ياصديق منذ أربعة عشر قرناً من الزمان دعاة حقـــوق الإنســـان ، والمستشـــرقين بذلك ، وأرسيت لهم قواعد هذه الحقوق ، وجمعت ، فأوعيت ، والصحابة أوصيت ، فكانوا أهلاً لما دعـــوت ، وشتان بين وصيتك ، وتنفيذ جنودك لها ، وبين ماتدعيه المدنية الحديثة ، من هذه الحقوق ، التى ما هى إلا حبراً على ورق ، يـــنخدع بها المخدوعون ، ويستخف بها الجنود فى ساحات الوغي ، فـــلا المســـاجد اجتنـــبوها ، ولا النساء أو الأطفال أو الشيوخ صانوا

دمـائهم ، ولا المثل و المبادئ طبقوها ، بل هى البربرية ، والهمجية فى القتال ، ولا عزاء لحقوق الإنسان ، أو للضعفاء .

أسامة على تخوم الشام :

خـرج أسـامة بسـريته ، واتبع ونفذ ما أمر به رسول الله ﷺ ، وخليفـته من بعده ، فبث خيوله فى قبائل قضاعة ، وأغار على منطقة أبل ، وأظهر لكل من مر به من القبائل العربية قوة المسلمين ، واجتماع كلمـتهم بعـد وفـاة الرسول ﷺ ، حتى إن من كانت نفسه تساوره من الأعـراب بالارتداد ، ثابوا إلى الحق ، لخروج سرية أسامة ، ومن كان يـريد الإغارة على المدينة ، ارتجفت فرائصه ، لرؤية جنود المسلمين يـتقدمون نحـو بـلاد الشام ، وقالوا : لو لم يكن للمسلمين بالمدينة قوة كبيرة، ما خرجت هذه السرية إلى تخوم بلاد الشام ، فلنتركهم حتى يلقوا الـروم ، فانتصر المسلمون ، فخنع هؤلاء، وتسأل قواد الروم عن سر قـوة المسلمين وغزوهم لهم فى عقر دارهم، وذلك بعد وفاة نبيهم ﷺ ، ومكث أسامة أربعين يوماً ، أو سبعين ، ثم عاد للمدينة ، سالماً غانماً(١)، وقد تحقق الهدف المرجو من إنفاذه .

ولقد وصف العديد من الصحابة ، تلك الظروف الصعبة التى خرجت فيها سرية أسامة ، وملابسات خروجها ، فقالت السيدة عائشة : لقـد نـزل بأبى بعد استخلافه ، ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وقال أبو هريرة ، مصوراً شجاعة أبى بكر، وصلابته ، وقوته فى إنفاذ

---

(١) الطـبرى:تـاريخ الرسـل ٣/ ٢٢٧ ، الذهبى: السير ٢/٤٨٨ ، ابن كثير : البداية ٦/ ٢٩٧ ، ٢٩٨.

سرية أسامة ، ومواجهة المرتدين ، قال : والله الذى لا إله إلا هو ، لولا أن أبا بكر أستخلف ، ما عبد الله ، قالها ثلاثاً[١].

وترتب على إنفاذ سرية أسامة ونجاحها نتائج منها ما يلى :

١- كانــت هــذه الســرية ، وما خاضته من معارك ، بمثابة تدريب عملى للمسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ ، كما كانت نواة للقوات التى حاربت المرتدين ، وقامت بحركة الفتوح بعد ذلك .

٢- بثت هذه السرية الرعب فى قلوب المرتدين ، وحالت دون توحدهم وهجومهم على المدينة ، إذ قا لوا : لولا وجود قوات أخرى كبيرة بالمدينة ، ما خرجت سرية أسامة .

٣- كــان خــروج السرية عاملاً مهماً فى منع بعض المسلمين من الارتــداد ، أو منع الزكاة ، بعد وفاة الرسول ، إذ أدرك هؤلاء أن الدولة التى أسسها الرسول ﷺ ، ماضية فى طريقها ، على يد الصحابة من بعده.

٤- كــان خــروج الســرية رسالة لدولة الروم ، ألا تجازف باجتياح الجزيرة العربية والمدينة بعد وفاة الرسول ﷺ ، لما رأته من وصول السرية لتخوم أملاكها .

٥- أظهــرت هــذه السرية قوة أبى بكر ، وسيره على منهاج الرسول ﷺ ، وحرصه على اقتفاء أثره ، وتنفيذ كل ما أمر به .

٦- أثبــت القائد الشاب أسامة أنه خليق لتأمير رسول الله له ، ولتصــميم أبى بكر على قيادته للسرية ، حتى كان عمر بن الخطاب

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٨٦ ، خليفة بن خياط : تاريخه ص ١٠٢.

بعــد ذلك بقول : " **ما كنت لأحيى أحداً بالإمارة ، غير أسامة ، لأن رسول الله ﷺ قبض وهو أمير**"[١].

ذلــك هــو الاختبار الأول ،الذى نجح فيه أبو بكر فور استخلافه ، وتتالت النجاحات على يديه ، ومن ذلك مواجهة حركة الردة ومنع الزكاة.

ثانياً : مواجهة حركات الردة :

مــنى الإســـلام بفتنة عظيمة بعد وفاة النبى ﷺ ، حيث ارتدت أحــياء كثــيرة مــن العــرب عن الإسلام ، ونجم النفاق بالمدينة ، وأشرأبت اليهودية ، والنصرانية ، ولم يثبت على الإسلام إلا ثلة قليلة مــن المؤمنين فى المدينة ، والطائف ، ومكة ، وحتى هذه كادت أن تــنالها الفتــنة ، إذ أرجف سكانها بوفاة الرسول ﷺ ، فخافهم عاملها عتاب[٢] بن أسيد ، واستخفى منهم ، لولا أن قيض الله لها سهيل [٣] بــن عمرو ، فوقف فى أهلها خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكــر وفــاة الرسول ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رأبنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس ، وكفوا عما هموا به وذلك هــو المقــام المحمــود ،الــذى بشر النبى ﷺ الصحابة ، وعمر بن الخطاب به ، حينما سقط سهيل بن عمرو فى الأسر فى غزوة بدر ،

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢/٤٨٨.

(٢) عتاب ، بن أسيد ، بن أبى العاص ، الأموى ، استعمله الرسول ﷺ على مكة يوم فتحها ، وهو فى العشرين من عمره ، فحج بالناس ، واستنابه أبو بكر عليها أيضا ، وتوفى بها سنة ١٣ هـ ، ابن كثير : البداية ٧/٣٣.

(٣) ســهيل ، بــن عمرو ، خطيب قريش ، وفصيحهم ، كان مندوب قريش فى صلح الحديبية ، واستبشر الرسول بقدومه فقال : سهل أمركم ، أسلم يوم الفتح ، وحسن إسلامه ، وخرج إلى الشام مجاهداً ، واشترك فى اليرموك ، وتوفى سنة ١٥هـ ، ابن كثير : البداية ٧/٥٩ ، الذهبى : السير ٣/١٢٢ ، ١٢٣ .

وقـال عمـر للرسـول : دعنى يا رسول الله لأنزع ثنتى سهيل بن عمرو، فلا يقف لك هاجياً أبداً ، فقال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب : دعه ، فلعله يقف مقاماً تحمده عليه وقد كان [١].

وقـد وصـف عبد الله بن مسعود تلك اللحظات ، التى ألمت بالمسلمين . فقال : لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه، لولا أن من الله علينا بأبى بكر[٢]، الذى أخمد تلك الفتنة ، ولولا ذلك لعمت مصـيبتها ، وفتكت بالإسلام وأهله ، ولكن حكمة الصديق وعقله ، هما اللذان حالا دون تشتت كلمة الإسلام ، وتفرق أمر المسلمين[٣].

كما وصفت السيدة عائشة ذلك الموقف فقالت : لقد نزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، فلقد اشرأب النفاق بالمدينة، وارتـدت العـرب ، فوالله ما اختلفوا فى نقطة ، إلا طار أبى إلى أعظمها فى الإسلام [٤].

ولقد انقسم المرتدون إلى قسمين :

القسم الأول : خـرج عن الإسلام بالمرة ، وهم : بنو طئ ، وغطفان ، وأسد ، جماعة المتنبئ طلحة بن خويلد الأسدى ، وحنيفة جماعة مسيلمة الكذاب ، وأهل اليمن ، الذى تزعمهم الأسود العنسى .

القسم الثانى : ظلـوا علـى الإسلام ، ولكنهم عطلوا شعيرة

---

(١) ابن هشام : السيرة ٣٨٨/٤ ، ٣٨٩ ، ابن كثير : البداية ٣٠٣/٦.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢/ ٣٤٢.

(٣) محمد أسعد : تاريخ العرب ٢٠/٣.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه ص ١٠٢.

الزكاة ، وهم : بعض بنى تميم ، وغيرهم بزعامة مالك بن نويرة[١]، فما هى الأسباب التى أدت لحركة الردة ومنع الزكاة .

أسباب حركة الردة :

تضـــافرت عــدة أســباب ، أدت إلى ظهور المرتدين ، ودعاة النــبوة، وهــذه الأسباب كانت مزيجا من أسباب عنصرية ومطامع اقتصادية ، ودوافع شخصية ، وأحقاد قبلية وعوامل أخرى خارجية، فإليك بعضاً منها :

١- وفاة الرسول ﷺ :

حيث كان بعض مسلمى العرب يظنون أن الرسول ﷺ ، حىّ ، خالد لا يموت ، وأنه معصوم من كل خطأ وزلل وموت ، فلما انتقل الرســول ﷺ إلى جوار ربه ، طاش صوابهم ، وأخذ بعض شياطين العرب ، الطامعين فى الملك والسلطان ، ينشرون الفتن بين الناس ، ويكررون ما قاله شاعر المرتدين . الخطيل بن أوس أخو الحطيئة :

أطعــنا رسول الله ما كان بيننا ... فــيا لعــباد الله مــا لأبــى بكر

أيورثها بكر إذا مات بعـــــده ... فتلك لعمر الله قاصمة الظهر [٢]

٢- روح العصبيات الجاهلية :

هــذه العصبيات التى جاء الإسلام ليقضى عليها ، وشن عليها حرباً شــعواء ، ولكــنها لم تمت ، بل ظلت كامنة تنتظر فرصة للظهور ، فقد كانت بعض القبائل العربية تحقد على قريش سيادتها فى الجاهلية ، ثم فى

---

(١) محمد أسعد : تاريخ العرب ٣/٢٠.

(٢) محمد أسعد : تاريخ العرب ٣/٢١.

الإســـلام ، بظهور الرسول ﷺ ، فيها، وكانت هذه القبائل تتحين الفرصة للخروج عن سيادة قريش ، وهذا ما تلمسه من قول طلحة النمرى : أشهد أن مســيلمة كذاب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة ، أحب إلينا مـــن صـــادق مضر ، وأيضاً ما قاله عيينة بن حصن الفزارى ، مخاطباً قومـــه : والله لئن نتبع نبياً من الحلفين – يعنى أسد وغطفان – أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش [١].

٣- ضعف إيمان الأعراب :

هـــؤلاء الأعـــراب الذين لم يتذوقوا حلاوة الإيمان ، ولم يتمكن الإيمـــان مـــن قلوبهم ، كما قال تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِـــنُوا وَلَكِـــن قُولُـــوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾[٢]. حـــاولوا الـــتخلص من مبادئ الإسلام ، تلك التى تهذب الغرائز ، وتقمـــع الشـــهوات ، وتحض على الفضيلة والأخلاق ، حيث أراد هـــؤلاء العودة إلى حياة الجاهلية الأولى ، تلبية لغرائزهم الدنيا ، وتخلصا من هذه القيود ، والتكاليف الشاقة فى نظرهم [٣].

٤- إنكار فريضة الزكاة :

حيـــث كـــان هؤلاء يؤدونها للرسول ﷺ فى حياته ، فلما مات امتـــنعوا عن ذلك ، لفهمهم الخاطئ لقوله تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**

---

(١) ابن كثير : البداية ٣١١/٦ ، الخطيب : دراسات تحليلية ص ٨٦ ،٨٧ .

(٢) من الآية ١٤ سورة الحجرات .

(٣) الخطيب : دراسات تحليلية ص ٨٩.

صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[١]، إذ ظنوا أن هذه الزكاة تدفع للنبى ﷺ فى حياته ، أما وقد مات فلا مســـوغ لدفعها ، فهم لا يدفعونها إلا لمن كانت صلاته سكن لهم ، فهـــم يعـــترفون بهـــا فريضة ، ولكنهم ينكرون استمرارها لوفاة الرســـول ﷺ ، وبذلـــك أخطـــأوا الفهم ، لأنها فريضة فى الدين ، وليست لشخص بذاته ، أما من أنكر فرضيتها فقد اعتبرها أتاوة ، كانـــت تدفـــع للنبى ﷺ فى حياته ، أما وقد مات فلا مسوغ لدفعها لأبـــى بكر ، لأنها بذلك تصير أتاوة مفروضة عليهم للمسلمين فى المدينة ، وكانت نفوسهم تأبى ذلك وترفضه بشدة [٢].

٥- النفوذ الخارجى لدولتى الفرس والروم :

كـــان لـــنفوذ الفرس والروم أثره فى حركة الردة ، حيث وقفا وراء المرتدين ، بالتحريض ، والتشجيع ، متخذين من مناطق نفوذهم فى شمال الجزيرة العربية وجنوبها ، وسيلة لذلك [٣].

٦- الرغبة فى تحقيق زعامات كزعامة الرسول ﷺ :

حيـــث رغـــب بعض زعماء القبائل ، فى الوصول إلى مركز سياســـى بيـــن العـــرب ، كالمركز الذى استحوذ عليه محمد ﷺ فى الجزيرة العربية ، فقد أراد كل من تنبأ أن يصنع لقومه مثل ما صنعه الرســـول ﷺ لقومـــه ، مـــن مجد ، وسلطان ، وكانت وفاة النبى ﷺ مشجعة لهم على التمادى فى أطماعهم ، من أمثال : مسيلمة الكذاب ،

---

(١) من الآية ١٠٣ سورة التوبة.

(٢) الخطيب : دراسات تحليلية ص ٨٨ ، ٨٩ ، صالح العلى : امتداد العرب ص ١٣.

(٣) الخطيب : دراسات تحليلية ص ٨٩.

الـــذى أراد أن يقتســـم الرسالة مع الرسول ﷺ وهو مازال حياً ، فلما عنفه الرسول ﷺ على ذلك ، قال : إن قريشاً قوم لا يعدلون[١].

تلــك كانت إلماعه سريعة عن أسباب حركات الردة ، فماذا كان موقف الصديق منها ؟

الصديق ومواجهته مانعى الزكاة :

١- رأى الصديق :

خرجت سرية أسامة بن زيد من المدينة المنورة ، ووجد مانعوا الـــزكاة الفرصـــة سانحة لهم ، لإجبار الخليفة الجديد على القبول بما أجمعـــوا عليه ، فاجتمعت أسد ، وغطفان ، وطئ ، على طليحة بن خويلد ، وأرسلوا قواتهم إلى ذى القصة والأبرق بالقرب من المدينة، ثـــم أوفـــدوا وفـــداً مـــنهم لمقابلة الصديق ، ليعفيهم من الزكاة ، مع إقـــرارهم بكل فروض الإسلام الأخرى ، فردهم الصديق [٢]، وجمع الصـــحابة للتشاور فى هذا الأمر ، وهو عازم على قتال هؤلاء ، حيـــث قـــال: " **والله لو منعونى عقالاً ، أو عناقاً ، كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها** "[٣].

٢- رأى عمر بن الخطاب :

قـــال عمر بن الخطاب لأبى بكر : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رســـول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، وأن محمـــداً رسول الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ودمه ، إلا

---

(١) اليعقوبى : تاريخه ١/١٣٠.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٣/٢٤٤.

(٣) الذهبى : السير ٢/٤٩٣ ، ابن كثير : البداية ٦/ ٣٠٣ ، ٣٠٤.

بحقهـا ، وحسابه على الله ، فقال له أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بيـن الصـلاة والـزكاة ، فـإن الزكاة حق المال ، وقد قال: ﷺ إلا بحقهـا[١] ، وقـد نزلـت مقولـة أبى بكر منزلة طيبة فى قلوب الصحابة، فاقتنعوا برأيه فى قتال مانعى الزكاة ، وكان عمر من أشد المرحبين بذلك ، حيث قال : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق[٢].

إذن فلمـاذا حاول عمر فى بداية التشاور أن يقبل إسلام مانعى الزكاة ؟ ، أرى أن عمراً أشفق على المسلمين فى المدينة أن يخوضوا حرباً ضد هؤلاء ، فى الوقت الذى كان فيه الجيش مع أسامة بن زيد علـى تخوم الشام ، ولم يكن فى المدينة إلا عدد قليل من الصحابة ، فخشـى عمـر أن يعرض المدينة للخطر ، وارتأى الانتظار ، حتى يعود جيش أسامة ، فيشتد ساعد المسلمين بعودته ، فيقومون بمواجة هـؤلاء ، ولـم يكـن عمر فى رأيه ممن يقبل من هؤلاء الأعراب الامتناع عن أداء فريضة الزكاة .

مانعو الزكاة يتربصون بالمدينة :

كان وفد مانعى الزكاة الذى دخل المدينة ، قد فطن لخلو المدينة مـن جيش يدافع عنها ، اللهم إلا بعض الصحابة ، الذين التفوا حول أبـى بكر ، وما إن عاد هذا الوفد إلى معسكر ما نعى الزكاة ، حتى أغروهم بالهجوم على المدينة ، واهتبال هذه الفرصة، قبل عودة سرية أسامة بن زيد ، ولم يكن أبو بكر الصديق ممن يغيب عنه ذلك الأمر ،

---

(١) الذهبى : السير ٤٩٣/٢ ، ابن كثير : البداية ٦/ ٣٠٤ .

(٢) ابن كثير : البداية ٣٠٤/٦.

فأعلـــن النفير بين الصحابة ، وجعل على أنقاب المدينة ومداخلها ثلة مـــن شـــجعان الصحابة ، كعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الله بن مسعود ، وخطب المسلمين فى المسجد ، وبين لهم أن هؤلاء الأعراب المانعين للزكاة متربصين بالمدينة ، وسوف يقتحمونها ، إن ليلاً ، أو نهـــاراً ، بعـــد أن رفض منهم الإعفاء من الزكاة ، وطالب الصديق جمـــيع المسلمين بالتأهب والحذر ، واليقظة التامة ، حتى لا يدهمهم هؤلاء بغتة [١].

هجوم غادر ويقظة الصديق :

لـــم تمـــض سوى ثلاثة أيام ، حتى كان خطر مانعى الزكاة يطرق المديـــنة ، لـــيلاً ، فى نصف قواتهم ، وتركوا النصف الآخر بذى حسى، لـــيكون لهم مدداً ، فأسرع حراس المدينة بالخبر إلى أبى بكر ، الذى كان هـــو وجموع المسلمين فى المسجد ، فخرج لمواجهة الغزاة ، الذين أسقط فـــى أيديهم بعد ما شاهدوا من تأهب الصحابة لهم ، فولوا الأدبار ، وأبو بكـــر ورجاله فى أثرهم ، حتى وصلوا إلى ذى حسى ، فخرج على أبى بكـــر مدد مانعى الزكاة ، فارتئى الصديق العودة للمدينة ، وعدم مواصلة القتال خارجها ، ولم يصب من المسلمين أحد[٢].

حسم المعركة :

ظـــن مـــانعو الـــزكاة أن الصديق انهزم ، وارتد إلى المدينة ، فطمعوا فى غزوها ، وأرسلوا لاستدعاء بقيتهم من ذى القصة ، وهم يمـــنون أنفســـهم بغـــزو المدينة ، إذا ماسنحت لهم الفرصة ، ولكن

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٣/ ٢٤٤، ٢٤٥ ، ابن كثير : البداية ٣٠٥/٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٢٤٥/٣ ، ابن كثير : البداية ٣٠٥/٦، ٣٠٦.

الصـــديق كان من الدراية والذكاء بمكان ، إذ عاد إلى المدينة، وأخذ فى تنظيم قواته ، وترتيبها ، وخرج من ليلته نحو مانعى الزكاة ، وما إن تـنفس الصباح ، حتى فوجئ هؤلاء بالمسلمين ينقضون عليهم ، وينزلون بهم هزيمة ساحقة ماحقة ، شتت شملهم، وعصفت بآمالهم ، وفروا من ميدان المعركة ، وترك أبو بكر حامية فى ذى القصة ، ثم عــاد إلـى المدينة ، بعد أن تخلص من ذلك الخطر الذى كان جاثماً عليها ، ويتربص بها [1].

صدى الانتصار على مانعى الزكاة :

كــان صــدى تلك المعركة عظيماً على المسلمين بالمدينة ، إذ توجست القبائل المرتدة من غزو المدينة ، كما أن من امتنع من أداء الزكاة ممن لم يشترك فى القتال ، قد أسرع بحمل الزكاة إلى المدينة ، مـن أمثال عدى بن حاتم ، وصفوان ، والزبرقان ، وذلك بعد ستين يومـاً من وفاة الرسول ﷺ أى فـى جمادى الاخرة سنة ١١ هـ ، ولم تمض بضعة أيام على هذا النصر ، حتى كانت سرية أسامة بن زيد قد عـادت ظافرة ، وفرح المسلمون بمقدمها ، وتحقيق أهدافها ، بعد فرحتهم بالقضاء على حركة مانعى الزكاة، فأمر الصديق أسامة وقواته بأخذ قسط من الراحة واستخلفه على المدينة [2].

واصـل أبو بكر عملياته العسكرية ، فخرج إلى ذى القصة، وذى حسـىً ، ونزل بالأبريق ، فقاتل من بقى فيها من مانعى الزكاة، وهزم عبس ، وذبيان ، فعادا إلى طلحة الأسدى ، ثم عاد الصديق إلى المدينة،

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٢٤٦/٣ ، ابن كثير : البداية ٣٠٦/٦.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٢٤٧/٣ ، ابن كثير : البداية ٣٠٧/٦.

بعد أن ترك قوة عسكرية لحماية تلك المناطق من عودة مانعي الزكاة إليها ، وبدأ أبو بكر يتأهب لقتال المرتدين ، ومدعى النبوة[1].

الصديق ومواجهة المرتدين :

بعد انتصار أبى بكر على مانعى الزكاة ، أخذ يفكر فى الوسيلة التى يقضى بها على المرتدين قضاء مبرماً ، فما كان ليذرهم فى شتى أنحاء الجزيرة يفتنون الناس ، ويثيرون العصبيات ضد المسلمين، وما كان أيضاً ليوادعهم قبل العودة إلى دين الله ثانية ، وعندما اطمأن الصديق إلى أن جيش أسامة قد أخذ قسطه من الراحة ، نادى بخروج جميع المجاهدين إلى ذى القصة ، وهناك قسمهم إلى أحد عشر لواء ، وجعل على كل لواء أمير[2]، وهذه الألوية هى ما يلى :

الأول : بقيادة خالد [3]بن الوليد ، ومهمته قتال طليحة بن خويلد الأسدى ، فإذا فرغ منه اتجه إلى مالك بن نويرة ، زعيم بنى تميم بالبطاح ، وبنو أسد ، وبنو تميم كانوا أقرب القبائل المرتدة إلى المدينة ، فكان طبعياً أن يبدأ المسلمون بهم ، لدرء الخطر عن المدينة، وخالد أقدر القواد على القيام بهذه المهمة.

---

(1) ابن الأثير : الكامل ٢/٣٤٥.

(2) ابن كثير : البداية ٦/٣٠٨.

(3) خالد ، بن الوليد ، بن المغيرة ، المخزومى ، القرشى ، سيف الله ، وأحد الشجعان المشهورين ، لم يهزم فى جاهلية ، ولا إسلام ، أسلم سنة ٨ هـ ، وشهد مؤته ، وتولى القيادة بعد استشهاد القواد الثلاثة ، وشهد فتح مكة ، وحنين ، وفى خلافة أبى بكر رمى به المرتدين ومانعى الزكاة ، فقضى عليهم ، ثم توجه لفتوح العراق والشام ، ففتح الله على يديه ، وظل بالشام حتى توفى بها سنة ٢١هـ ، ابن كثير : البداية ٧/١٠٨ ، ١٠٩.

الثانى : بقيادة عكرمة[١] بن أبى جهل ، ووجهه الصديق لقتال مسـيلمة الكـذاب ، فى بنى حنيفة باليمامة ، على أن يناوشه ، ولا يشترك معه فى قتال ، قبل مقدم شرحبيل له .

الثالث : بقـيادة شرحبيل [٢]بن حسنة ، وكانت مهمته مساعدة عكرمة بن أبى جهل ، فى قتال مسيلمة ،فإذا فرغ منه اتجه لمساعدة عمرو بن العاص عند قضاعة .

الرابع : بقيادة المهاجربن أبى امية المخزومى ، وكانت مهمته قـتال أتباع الأسود العنسى ، الذين ساروا على منهجه بعد مقتله ، ثم قتال عمرو بن معدى كرب .

الخامس : بقيادة سويد بن مقرن الأوسى ، ومهمته القضاء على المرتدين فى تهامة ، واليمن .

السادس : بقـيادة العـلاء [٣]الحضرمى ، لقتال المرتدين فى البحرين .

---

(١) عكـرمة ، بـن أبى جهل ، المخزومى ، آلت إليه الرئاسة بعد موت أبيه ، أسلم يوم فتح مكة ، وحسن إسلامه ، وأبلى فى حروب الردة ، وفى فتوح الشام، واستشهد يوم اليرموك سنة ١٥ هـ ، الذهبى : السير ٣/٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) شرحبيل ، بن عبد الله ، الكندى ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، وأرسله أبو بكر قائداً لفتوح بلاد الشام ، ولحرب المرتدين ، وتوفى مطعوناً سنة ١٨هـ ، ابن كثير : البداية ٧/٨٩.

(٣) العـلاء ، بـن عبد الله ، الحضرمى ، كان من حلفاء بنى أمية ، ومن سادة المهاجريـن ، ولاه الرسـول ﷺ على البحرين ، وأقره على ذلك أبو بكر ، ثم عمر ، وأبلى بلاء حسناً فى قتال مرتدى البحرين ، توفى سنة ٢١ هـ ، الذهبى : السير ٣/١٦٤ - ١٦٦.

السابع : بقيادة حذيفة بن محصن ، ومهمته قتال المرتدين في عمان.

الثامن : بقيادة عرفجة بن هرثمة ، ووجهته بلاد مهرة جنوب الجزيرة العربية .

وأما باقي الألوية فقد اتجهت إلى شمال الجزيرة العربية وهي :

التاسع : بقيادة عمرو[١] بن العاص ، ومهمته المرتدين في قضاعة.

العاشر: بقـيادة معن بن حاجز ، لقتال بني سليم ، ومن انضم إليهم من هوازن .

الحادي عشـر : بقـيادة خالد [٢]بن سعيد، بن العاص ، ليتتبع الخارجين والمرتدين على تخوم الشام [٣].

وقـام الصديق بكتابة كتاب لكل أمير ، من أمراء هذه **الألوية**، بيـن فيه مهمته وأماكن نزوله . ومما جاء فيه : " **هـذا عهـد من**

---

(١) عمـرو ، بـن العاص ، بن وائل ، بن هشام ، القرشي ، أحد رؤساء **قريش** فـي الجاهلية ، أسلم قبل الفتح بستة أشهر ، وكان أحد أمراء الإسلام ، **استعمله** الرسول ﷺ على عمان ، وأقره الصديق ، واشترك في فتوح الشام ، وكان **قائداً** لفـتح مصـر علـى عهد عمر ، وأقره عثمان ، ثم عزله ، فاعتزل عمرو في فلسـطين ، حتى كان الصراع بين علي ومعاوية ، فكان هو حكم معاوية، **ولما** ضم معاوية مصر أقر عليها عمرو ، فظل بها حتى وافته المنية ، وكان **واحداً** من دهاة العرب المعدودين ، توفي سنة ٤٣ هـ ، ابن كثير : البداية ٢٥/٨ ، ٢٦.

(٢) خـالد ، بـن سعيد، بن أبي العاص ، الأموي ، أحد السابقين الأولين ، كان خامس من أسلم من الرجال ، وهاجر إلى الحبشة ، وأقام بها بضع عشرة سنة ، استعمله الرسول ﷺ على صنعاء ، وأمره أبو بكر على إحدى جيوش فتح الشام، واستشهد يوم أجنادين سنة ١٨هـ ، الذهبي : السير ١٦٢/٣ ، ١٦٣.

(٣) ابن الأثير : الكامل ٣٤٥/٢ ، ٣٤٦ ، ابن كثير : البداية ٣٠٨/٦.

أبـــى بكـــر خليفة رسول الله ﷺ ، إلى فلان ، حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام ، وعهد إليه ، أن يتقى الله ماستطاع ، ... وأمـــره بالجد فى أمر الله ، ومجاهدة ، من تولى عنه ، ورجع عن الإسلام،... بعد أن يعذر إليهم ، ويدعوهم بداعية الإسلام ، فإن أجـــابوه ، أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه ، شن غارته عليهم ، حتى يقروا له ، ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم ... " (١).

ثم كتب أبو بكر كتاباً عاماً للمرتدين ، بصيغة واحدة ، يدعوهم للعودة للإسلام ، وترك ما هم فيه من الضلالة ، والكفر بعد الإسلام ، وممـــا جاء فيه : " **إنى بعثت إليكم فلاناً فى جيش من المهاجرين ، والأنصـــار ، والتابعيـــن بإحســـان ، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمـــان بالله ، ولا يقتله حتى يعود إلى الله عز وجل ، فإن أجاب ، وأقـــر ، وعمل صالحاً ، قبل منه ، وأعانه عليه ، وإن أبى ، حاربه عليه ، حتى يفئ إلى أمر الله ، ... ولا يقبل من أحد غير الإسلام ، فمـــن اتـــبعه فهو خير لـــه ، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم ، والداعية الأذان ، فإذا أذن المســـلمون ، فكفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا فسلوهم ما عليهم ، فإن أبـــوا ، عاجلوهم ، وإن أقروا ، حمل منهم على ما ينبغى لهم "**(٢)، وبهـــذا الكـــتاب أراد أبو بكر أن يبرئ ذمة المسلمين من قتال هؤلاء المرتديـــن ، وألا تكون لهم حجة بعد ذلك ، أمام الله ، وأمام الناس ، وبدأ قواد أبى بكر فى مواجهة المرتدين.

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٢٥١/٣ ، ٢٥٢.

(٢) ابن كثير : البداية ٣٠٨/٦ ، ٣٠٩.

ومن أشهر حركات الردة ما يلي :

١- حركة طليحة بن خويلد الأسدي :

كان طليحة رجلاً من بني أسد بن خزيمة ، علم بمرض الرسول ﷺ بعد انصرافه من حجة الوداع ، فسولت له نفسه أن يدعي للناس النبوة ، ليكون له من الشأن ما رأى لنبي قريش ، فدعا إلى ذلك قومه من بني أسد ، فبايعوه ، والتفت إليه طئ ، وغطفان، واستقر الجميع في بزاحة - وهو ماء لطئ بأرض نجد - وكان بالمدينة عدى بن حاتم الطائي ، وهو سيد من سادتهم ، فطلب من أبي بكر أن يذهب إلى قومه ، ليعيدهم إلى الإسلام ، ثم لحقت به جيوش خالد بن الوليد ، فطلب عدى بن حاتم أن يستمهله ثلاثاً ، حتى يعود وفد قومه من عند طليحة ولا يقتلهم ، ففعل خالد ، وانضم اتباع حاتم بن عدى لجيش خالد ، وكانوا ألفاً ، فالتقى بهم خالد طليحة ، ودارت الدائرة على هذا المتنبئ ، فانهزم عسكره ، وولى مدبراً هو وزوجه نحو بلاد الشام ، ثم عاد للإسلام في خلافة عمر ، وحسن إسلامه ، وشارك في حركة الفتوح ، حتى لقي ربه شهيداً في سنة ٢١ هـ [1].

٢- حركة مالك بن نويرة :

هو أحد أمراء بني تميم ، الذين عهد إليهم الرسول ﷺ بجمع الصدقات ولما توفي الرسول ﷺ ثبت بعضهم على الإسلام وارتد آخرون ، ومنهم مالك ، فمنع إرسال الزكاة إلى المدينة ، واشتبك أمراء بني تميم مع بعضهم البعض ، حتى داهمتهم قوات خالد بن الوليد ، فندم مالك بن نويرة على ما فعل ، وتحير في أمره ، فأمر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢/ ٣٤٣ - ٣٤٩ ، ابن كثير : البداية ٦/٣١٠ ، ٣١١ ، الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم ص ١٨٤ ، ١٨٥.

بنى يربوع أن يتفرقوا ، فلما ورد خالد البطاح لم يجد فيها أحد ، فبث سراياه مغيرة على القوم ، فجاءته بمالك فى نفر من قومه بنى يربوع فأمر بهم خالد فحبسوا ، ثم أمر خالد بتدفئتهم فقتلهم الحراس، الذين فهموا التدفئة خطئا على أنها القتل ، فلما سمع خالد أصواتهم وهم يقتلون قال : إذا أراد الله أمرا أصابه وكان بعض أفراد الجيش ومنهم الصحابى أبو قتادة شهد أنهم أذنوا ، فغضب ، وعاد إلى المدينة للشكاية إلى أبى بكر ، خاصة وأن خالد تزوج زوجة مالك بن نويرة ، بعد أن حلت له ، ولما وقف أبو بكر على ذلك أسف ، وطلب عمر عزل خالد ، ولكن الصديق قال له : تأول خالد فأخطأ ، فارفع لسانك عنه ، ودفع أبو بكر ديته من ماله الخاص ، وبخذلان بنى يربوع عادت تميم كلها إلى الإسلام ، ورضيت أن تدفع زكاتها إلى أبى بكر ، كما كانت تدفعها إلى رسول الله ﷺ [1].

٣- حركة مسيلمة الكذاب :

هو أحد أفراد بنى حنيفة ، الذين وردوا على النبى ﷺ فى حياته وأسلموا ، ولما مرض الرسول ﷺ تنبأ مسيلمة ، ودعا الناس إلى اتباعه ، وكتب إلى الرسول ﷺ ليشركه معه فى الرسالة ، وأن يكون نصف الأرض لقريش ، ونصفها الآخر لبنى حنيفة ، ولكن الرسول وبخه وبكته ، فقال مسيلمة :إن قريشا قوم لا يعدلون ، وفى خلافة الصديق أرسل عكرمة بن أبى جهل لقتال هذا الكذاب ، وأتبعه بشرحبيل بن حسنة وأمرهما أبو بكر أن يجتمعا ، ثم يقاتلاه، ولكن عكرمة تعجل من أمره ، واشتبك مع قوات مسيلمة ، ليفوز بالنصر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢/ ٣٥٧ - ٣٦٠، ابن كثير : البداية ٦/٣١٥ ، ٣١٦ ، الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

قـــبل لحوق شرحبيل به ، فانهزم عكرمة ، فوجهه أبو بكر إلى مكان آخر ، ورمى مسيلمة بسيف الله خالد بن الوليد ، بعد أن انتهى من مالك بـــن نويرة ، وأمده بقوة أخرى ، ولكن قوات مسيلمة كانت قد جاوزت أربعيـــن ألفـــاً ، ولم يجد خالد مناصاً من الاصطدام بها، على أطراف الـــيمامة ، وكـــان يومـــاً تشيب لهوله الولدان ، حتى كاد المسلمون أن ينكشـــفوا ، وتحـــل بهم الهزيمة ، لولا رجال من ذوى الحمية والغيرة ، صـــرخوا فـــى الناس ، حتى التجأ مسيلمة إلى الحديقة، وتحصن بها ، فاقـــتحمها ثلـــة مـــن المجاهدين ، وتمكنوا من هزيمة المرتدين ، وقُتل مســـيلمة ، ولمـــا رأت بـــنو حنيفة ذلك ، صالحت خالداً، وعادت إلى الإسلام ، وأرسل خالد وفداً منهم إلى أبى بكر [١].

٤- حركة الأسود العنسى :

كان النبى ﷺ قد أقر باذان – عامل كسرى – على بلاد اليمن، ولمـــا توفـــى خلفه ابنه شهرا على صنعاء ، وعين الرسول ﷺ ولاة آخرين على بقية بلاد اليمن ، وكان الصحابى معاذ[٢] بن جبل يتنقل بينها ، لتعليم الناس أمور دينهم ، ثم تنبأ الأسود العنسى، وتبعه قومه، وســـار إلـــى نجـــران حتى استولى عليها ، ثم تبعها بصنعاء ، بعد

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢/ ٣٦٠ – ٣٦٧، ابن كثير : البداية ٦/ ٣١٦ – ٣٢٠.

(٢) معـــاذ ، بـــن جبل ، بن عمرو ، الخزرجى ، الأنصارى ، صحابى جليل ، شـــهد العقـــبة ، وبايع الرسول ، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة آخى بين معاذ وبين عـــبد الله بـــن مســـعود ، وشـــهد بدراً ، وكان أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن من الأنصـــار فى حياة النبى ﷺ ، وبعثه إلى اليمن قاضياً ، وقال عنه الرسول ﷺ : هو أعلمهـــم بـــالحلال والحـــرام ، ثم هاجر إلى الشام، واستخلفه أبو عبيدة حين طعن ، توفى معاذ سنة ١٨هـ ، عن ثمان وثلاثين سنة ، ابن كثير : البداية ٩٠/٧.

هزيمـــته لعاملها شهرا ، واستفحل أمره في بلاد اليمن، ووصل خبره إلـــى الرسول ﷺ قبل وفاته ، فأرسل كتاباً مع وبر بن يحنس إلى من بصنعاء ، ممن ثبت على الإسلام من القواد، يأمرهم بمحاربة الأسود العنســـى ، والاستعانة عليه بمن ثبت على الإسلام ، فاحتالوا عليه ، حـــتى تمكـــنوا من قتله غيلة ، وهو في قصره ، وأذنوا في الناس ، وانجلـــت هذه الفتنة ، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ بذلك ، فوصل الخبر صـــبيحة اليوم الذى توفى فيه الرسول ﷺ ، ولما علم ضعاف الإيمان مـــن أهـــل اليمن بذلك ، عادوا لما كانوا عليه من الخلاف ، واتباع زعمـــاء المرتديـــن ، فأرســـل أبو بكر إلى من بقى على إسلامه من زعمـــاء اليمـــن ، يأمـــرهم بالوقوف في وجه المرتدين حتى تصلهم الإمـــدادات من المدينة ، وسرعان ما وصلتهم قوات المهاجر بن أبى أمـــية ، فاستردت صنعاء ، وأسرت زعماء الفتنة ، ثم استولت على حضرموت ، وأرسلوا بالبشرى إلى أبى بكر[1].

وبعد هذا الاستعراض السريع لحركات الردة ، وكيفية القضاء علـــيها ، يجدر بنا أن نقف على **أسباب نجاح الصديق فى القضاء عليها** ، وذلك يرجع إلى ما يلى :

١- عـــدم اتحاد المرتدين فى مواجهة المدينة ، فكان كل منهم يـــنزع إلى الاستقلال ، بل وكانت القبائل المرتدة فى حالة نزاع مع بعضها البعض ، ومن ثم لم يتفقوا على تنفيذ خطة واحدة.

٢- وجـــود بعـــض المسلمين بين القبائل المرتدة ، وهؤلاء

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢/ ٣٣٦ - ٣٤١ ، ابن كثير : البداية ٢/٢٩٨ - ٣٠٣.

حـــافظوا علـــى إسلامهم ، وعلى ولائهم لحكومة المدينة ، وكانوا ينتظرون جيوش المدينة للإنضمام إليها [١].

٣- قـــوة أبـــى بكر ، وشجاعته ، ورباطة جأشه ، وثقته المطلقة بـــالله، والوفـــاء العمـــيق لرسوله ، والاطمئنان إلى وعد الله بالنصر ، والثـــبات فى حزم وعزم [٢]،فأنقذ الإسلام من هذه المحنة، وأعاد للدولة هيبتها ، وللأمة وحدتها ، بالقضاء على الردة والفوضى [٣].

٤- شـــدة قـــواد أبى بكر فى مواجهة المرتدين ، بالحزم ، والتنكـــيل بمـــن استباح دماء المسلمين ، أو أصر على الارتداد ، بقـــتلهم ، وتحريقهم ، والتمثيل بهم ، والقذف بهم من على رؤس الجـــبال ، الأمر الذى كان لـــه أكبر الأثر فى إعادة المرتدين إلى صـــوابهم ، وإثابـــتهم إلى رشدهم [٤]، وخاصة اللواء الذى كان يرأسه سيف الله خالد بن الوليد .

وقصارى القول : إن أبا بكر قام فى شأن الردة وأهلها قياماً محموداً ، وأخذ الأمر بحكمة سامية ، وهمة نادرة المثال ، لا توجد إلا فى الأبطال ، الذين لا يجود الزمان بهم إلا نادراً[٥].

وترتب على القضاء على حركات الردة **نتائج هامة منها ما يلى:**

١- تأكـــيد سلطة الخلافة على سائر شبه الجزيرة العربية ، واستعادة الدولة الإسلامية لوحدتها وهيبتها .

---

(١) أحمد إبراهيم : درر الحجاز ص ١٤٨ ، ١٤٩.
(٢) طه حسين : الشيخان ص ٦٤.
(٣) السنهورى : فقه الخلافة ص ٢٦٠.
(٤) ابن كثير : البداية ٦/ ٣١٢، سالم : تاريخ الدولة العربية ص ١٨٠.
(٥) النجار : الخلفاء الراشدون ص ٦٠.

٢- تخليص المجتمع الإسلامي من العناصر الضعيفة التي لا خير في بقائها .

٣- خـروج دعـوة الإسلام منتصرة على كل دعوى أخرى جاهلية [١].

٤- حـرمان قـواد المرتدين الذين عادوا للإسلام من تبوء المناصب في الدولة ، أو قيادة الجيوش ، خوفاً من اجترارهم للفتنة مرة أخرى ، وهؤلاء القواد من أمثال طليحة بن خويلد ، والأشعث بن قيس ، والأقرع بن حابس [٢].

٥- إشعار الدولة المجاورة – وبخاصة دولتي الفرس والروم- بقوة الدولة الإسلامية الناشئة ، وقدرتها على تنظيم أمورها بعد وفاة مؤسسها محمد ﷺ .

٦- تقوية موارد الدولة الإسلامية المالية ، وذلك بجمع الزكاة ممن كانوا قد امتنعوا عن دفعها بعد وفاة الرسول ﷺ .

٧- تدريـب المسلمين على الجهاد ، لبدء حركة الفتوح خارج الجزيرة العربية .

ثالثاً: حركة الفتوح الإسلامية :

ونرجـئ الحديـث عـنها إلى عصر عمر بن الخطاب لينضم بعضها إلى بعض .

رابعاً جمع القرآن الكريم :

مـن أهـم الأعمال التي خلدها التاريخ لأبي بكر هي : جمعه

---

(١) الخطيب : دراسات تحليلية ص ٩٠.
(٢) ابن تيمية : سؤال في معاوية ص ٢٣ ، ٢٤.

للقـــرآن فـــى كتاب واحد ، بعد أن كان مفرقاً فى صحف ، ورقع ، ولخـــاف ، حـــتى قال عنه ابن العربى[١] : " **وأما جمع القرآن فتلك حسنته العظمى ، وخصلته الكبرى** ".

ومن المسلم به أن القرآن نزل كله ، ودون ، وحفظ ، على عهد رســول الله ﷺ ، ولما استخلف أبو بكر ، وتولى شئون المسلمين ، ووقعــت حــروب الــردة ، استشهد عدد كبير من القراء ، وحفظة القرآن، فأراد عمر أن يجمع المسلمون القرآن فى كتاب واحد ، خوفاً علــيه من الضياع ، أو التبديل ، خاصة بعد استشهاد كثير من حفظة القرآن ، فبدأ فى عرض ذلك الأمر على الخليفة أبى بكر [٢].

قال عمر لأبى بكر: إن القتل قد استحر بالمسلمين يوم اليمامة، وأنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المعارك التالية ، فيذهب كثير مــن القرآن ، فأرى أن نجمعه فى كتاب واحد ، قال أبو بكر لعمر : كــيف أفعــل شــيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ ، فمازال عمر يحاوره ويقــنعه ، حــتى شــرح الله صدر أبى بكر لهذا الأمر ، فأرسل إلى الصــحابى الشاب زيد [٣] بن ثابت ، وقال لـــه : إنك كنت من كتّاب

([١]) العواصم ص ٦٦.

([٢]) الخطيب : دراسات تحليلية ص ٩١ ، ٩٢.

([٣]) زيــد بــن ثابت ، الخزرجى ، الأنصارى ، الإمام الكبير ، شيخ المقرئين، كاتــب الوحـــى للنــبى ﷺ ، أسلم بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وهو فى الحادية عشرة من عمره ، وأمره الرسول ﷺ بتعلم لغة اليهود ، ليقرأ له كتبهم ، وكتــب للرسول بعض سور القرآن ، واشترك مع الرسول فى غزوة الخندق ، وأثــنى علــيه الرسول ﷺ لعلمه بالفرائض ، وشهد السقيفة ، وكان مؤيداً لرأى المهاجريــن ، وجعل عمر بن الخطاب زيداً بن ثابت للفتوى فى المدينة ، وكان مــن الذين هبوا لنصرة عثمان ، وقال لقومه : كونوا أنصار الله مرتين ، توفى سنة ٤٥ هـ ، عن إحدى وخمسين سنة ، الذهبى : السير ٤/٧٣ - ٨٢ .

النبى ﷺ ، وممن أملى عليهم القرآن ، ونحن لا نتهمك ، فاجمع القرآن فى كتاب واحد ، يقول زيد : فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به ، من جمع القرآن، ثم قال زيد لأبى بكر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : هو والله خير ، ومازال يقنعه بذلك ، حتى شرح الله صدر زيد ، كما شرح صدر عمر وأبى بكر من قبل [١].

انطلق الصحابى الجليل زيد بن ثابت إلى تنفيذ تلك المهمة العظيمة ، فجمع آيات وسور القرآن من الرقاع ، ومن صدور الرجال، ومن العسب ، ولم يجمع آية واحدة إلا وأشهد عليها اثنان من الصحابة ، أنهما سمعاها من رسول الله ﷺ ، إلا آية واحدة لم يجدها مكتوبة إلا عند خزيمة بن ثابت ، وهى قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ** ... ﴾[٢] وكان الرسول ﷺ قد أثنى على هذا الصحابى ، حتى جعل شهادته بشهادة عدلين من المسلمين ، وأتم زيد بن ثابت جمع القرآن ، وجعله فى كتاب واحد ، ودفعه إلى أبى بكر الصديق ، فظل عنده حتى توفى ، فحفظه عمر حتى توفى ، فحفظته أم المؤمنين حفصة ، وظل عندها حتى خلافة عثمان بن عفان [٣] ، الذى خطى هو الآخر خطوة هامة ، لتوحيد المصاحف ، على لغة قريش ، وهى التى نزل بها القرآن على النبى ﷺ ، وكان عمله على هذا المصحف الذى جمعه أبو بكر وعمر الصديق ، فجزى الله خيراً أبا بكر ، وعثمان ، على حسن صنيعهما.

---

(١) ابن العربى: العواصم ص ٦٦ – ٦٨ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٩٠.

(٢) الآية ١٢٨ سورة التوبة.

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٩٠.

خامساً : العهد لعمر بن الخطاب بالخلافة :

استقرت الدولة الإسلامية فى نهاية خلافة أبى بكر ، وأحس الصديق بدنو أجله ، وخشى على الأمة أن يصيبها مثل ما أصابها عقب وفاة الرسول ﷺ ، من الفتن ، والارتداد ، والحروب ، فأراد أن يجنبها ذلك ، عن طريق ترشيح أحد الصحابة لخلافته ، وليكون من بعده ، وأجال الصديق بصره فيمن حوله من صحابة رسول الله ﷺ ، ووجد أن من يصلح لهذا الأمر هو الفاروق عمر ، ولكن لم يستبد أبو بكر برأيه بل أخذ فى سؤال الصحابة ، ومعرفة آرائهم فى عمر بن الخطاب .

قال عبد الرحمن [١] بن عوف لأبى بكر لما سأله عن عمر: **"هو والله أفضل من رأيك فيه"** ، وأثنى عليه عثمان بن عفان فقال: " **اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله"،** وقال عنه أسيد [٢]بن الحضير : **"اللهم أعلمه الخيرة بعدك ، يرضى**

---

(١) عبد الرحمن ، بن عوف ، القرشى ، أسلم على يد أبى بكر ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدر ، والمشاهد كلها ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، واحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد مجلس شورى عمر الستة ، وهو الذى تولى اختيار الخليفة ، ورشح عثمان لذلك ، وكان تاجراً ماهراً ، جابت قوافله البلاد ، وتصدق بإحدى قوافله كاملة للمسلمين فى المدينة ، لما أصابهم فاقة ، وصلى الرسول ﷺ خلفه فى بعض الأسفار ، توفى سنة ٣٢ هـ ، عن خمس وسبعين سنة ، وصلى عليه عثمان ، وحمل نعشه سعد بن أبى وقاص ، ابن كثير: البداية ١٥٤/٧ ، ١٥٥ .

(٢) أسيد ، بن الحضير، الأنصارى ، أحد النقباء الأثنى عشر، أسلم مبكراً ، كان من العقلاء ، وذوى الرأى ، لم يشهد بدراً لظنه، أن الخروج للعير، وليس للغزو ، وكان من أحسن الناس فى قراءة القرآن ، ووفد على عمر وهو فى الجابية ، وتوفى سنة ٢٠هـ ، الذهبى : السير ٢١٢/٣ ، ٢١٣.

للرضـــى ، ويسخط للسخط ، الذى يُسر خير من الذى يعلن، ولم يل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه" ، بينما خشى بعض الصحابة من شدة طباع عمر ، فقالوا لأبى بكر :ماذا تقول لربك إذا سألك عن استخلافك عمر؟، قال :أقول:**"اللهم استخلفت عليهم خير أهلك"** (١).

كتاب العهد لعمر بن الخطاب :

بعد أن استوثق أبو بكر من رأى الصحابة فى عمر ، كتب إليه كتاب عهده ، وإليك نصه : " **هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخــر عهده بالدنيا ، خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة ، داخلاً فــيها ، حيــث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إنى اســتخلف علــيكم بعدى عمر بن الخطاب ، فأسمعوا له، وأطيعوا ، وإنـــى لــم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيراً ، فإن عدل ، فذلــك ظــنى به ، وعلمى فيه ، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثــم ، والخــير أردت ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** "(٢).

ولمــا كُتــب العهد لعمر ، خرج أبو بكر ومعه الكتاب ، وخاطب المسلمين قائلاً : أترضون بمن أستخلف عليكم ، فإنى ما استخلفت عليكم ذا قــرابة ، وإنمـــا استخلفت عمر بن الخطاب ، فأسمعوا له وأطيعوا ، فإنى والله ما آلوت من جهد الرأى ، **فقالوا** : سمعنا ، وأطعنا (٣).

---

(١) ابن سعد: الطبقات٣/ ١٩٩ ، الطبرى :تاريخ الرسل ٣/٤٢٨ ، ٤٢٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٠٠.

(٣) ابن الأثير : الكامل ٢/٤٢٦ .

وصية الصديق لعمر بن الخطاب :

لم يكتف أبو بكر بما قام به من أخذ رأى الصحابة سراً ، ثم كتابة العهــد لعمـــر ، ثــم أخــذ رأى جموع المسلمين فى المسجد فى عمر ، واستخلافه بل أوصى أبو بكر لعمر قائلاً : "**يا عمر إن لله حقا بالليل، لا يقــبله بالــنهار ، وحقا فى النهار ، لا يقبله بالليل ، وأنه لا يقبل نافلـــة ، حـــتى تؤدى الفريضة ...** " ، ففى هذه الخطبة يوصيه باتباع الحق والعمل للآخرة ، وحسن القيام بشئون الأمة ، حتى ينال الجنة (١) .

ثــم بين أبو بكر للصحابة الحكمة من استخلاف عمر فوقف يدعو قـــائلاً : " **اللهــم إنى لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملـــت فيهم ، بما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأيى ، فوليت عليهم خـــيرهم ، وأقواهم عليهم ، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرنى مـــن أمرك ما حضر ، فأخلفنى فيهم ، فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصـــلح لهـــم ، وإليهم ، واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبى الرحمة ، وهدى الصالحين بعده، وأصلح له رعيته** (٢).

وبذلك أتم الصديق العهد لعمر بالخلافة ، واحتاط لنفسه ، وللأمة، وأبـــرأ ذمته أمام الله ، وبين الحكمة التى دفعته لذلك ، ولقد صدق حدس الصديق ، فانتقلت الخلافة إلى عمر فى يسر وسهولة بعد وفاة الصديق .

وفاة أبى بكر الصديق (جمادى الآخرة ١٣ هـ) :

مكـــث أبـــو بكر فى الخلافة سنتين وثلاثة أشهر ، ساس فيها الدولة الإسلامية سياسة حميدة ، مقتفيا أثر النبى محمد ﷺ ، فتمم كل

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢/٤٢٦ .

(٢) ابن سعد: الطبقات ٣/ ١٩٢ ، ١٩٣.

أمــرٍ شرع فيه الرسول ﷺ ، حتى أحس بدنو أجله ، فأمر برد كل ما لديه من أملاك إلى بيت مال المسلمين، ولم تكن مالاً سائلاً، بل كان عــبداً وجارية ، ولقحاتين ، فلما وصلت إلى عمر بعد وفاة الصديق قال : " **رحــم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده** "[١] ، ليس هذا فحسب ، بــل كان الصديق مديناً بستة آلاف درهم ، وأوصى أن يستوفى دينه مــن حائط له ، ويرد على بيت المال ، فلما مات قال عمر : " **يرحم الله أبا بكر لقد أحب ألا يدع لأحد بعده مقالاً...**"[٢].

وقــد بدأ المرض بالصديق فى مستهل جمادى الآخرة ، حينما اغتســل فى يوم بارد ، فأصيب بالحمى ، وظل مريضاً خمسة عشر يوماً ، فأوصى أن تغسله زوجه أسماء بنت عميس ، وأن يدفن بجوار حبيــبه ورسوله ﷺ ، وفى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الاخــرة ، انتقل الصديق إلى الرفيق الأعلى ، فصلى عليه عمر بن الخطــاب ، ودفــن من ليلته عن عمر ناهز الثلاث وستين سنة[٣] ، فــرحمة الله عليك يا صديق رحمة واسعة فقد سرت فى حكم الدولة علــى نهــج الرســول ﷺ ، وأتممت كل ما بدأ فيه ، واقتفيت أثره ، وتركــت للأمة نموذجاً ربانياً يحتذى به ، فى السياسة والدين ، على الــرغم مــن قصــر فترة خلافتك ، ولنغادر هذه الصفحات المشرقة لخلافة أبى بكر ، ونبدأ فى متابعة خلافة الفاروق عمر .

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٣/ ١٩٢ / ١٩٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٣/ ١٩٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، الذهبى : السير ٢/٤٧٤.

الباب الثانى

خلافة عمر الفاروق ١٣- ٢٣هـ

الفصل الأول : عمر من الميلاد حتى الخلافـــــة .

الفصل الثانى : أهم أعمال عمر ومميزات حكمـــه

الفصل الأول

عمر من الميلاد حتى الخلافة

أولاً : نشأة عمر بن الخطاب وحياته :

اسمه :عمر بن الخطاب ، بن نفيل ، بن عبد العزى ، بن رياح،... بن عدى ، بن كعب ، وأمه حنتمة ، بنت هاشم ، بن المغيرة ، بن عبد الله ، بن عمر ، بن مخزوم ، أخت أبى جهل ، أو ابنة عمه .

ولد عمر قبل بعثة النبى محمد ﷺ بثلاثين سنة ، وقيل بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، فعلى الرأى الأول فهو أصغر ميلاداً من النبى ﷺ بعشر سنين ، وعلى الرأى الثانى فهو أصغر بثلاث عشرة سنة [١]، والراجح الأول لأنه توفى بعد النبى ﷺ بعشر سنين وهو على رأس الثلاث وستين سنة فكان عمره كعمر الرسول ﷺ .

عشيرته :

كانت قبيلة عدى فى الجاهلية من أشرف القبائل القرشية ، ولها مهمة السفارة ، ولما شب عمر ورث هذه الوظيفة عن أسلافه، فأجادها ، وأتقنها ، وجعلته قريش سفيراً لها ، بينها وبين غيرها من القبائل ، إذا ما وقعت بينهما حروب ، كما كان من المفاخرين، والمنافرين لقريش ، ضد أترابها ، وأقرانها من القبائل الضاربة فى الجزيرة العربية ، فوظيفته أشبه ما تكون بوظيفة الدبلوماسى السياسى، أو السفير الخاص فى الوقت الحالى [٢].

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٦٥ ، ابن حجر: الإصابة ٢/٢٧٧.

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ١/٣٥٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٢٧.

لقبه :لقب النبى ﷺ عمر بالفاروق ، يوم أسلم فى دار الأرقم، لأنه فرق بإسلامه بين الحق والباطل ، فخرج المسلمون من هذه الدار جهـــرة ، كما أعلن عمر إسلامه على الملأ ، بينما كان جل من سبقه يتخفى فى إسلامه ، خوفاً من الفتنة والاضطهاد (١).

كنيـــته : تكـــنى عمــــر بـــأبى حفص : لشدته على الناس ، أو لإنجابه السيدة حفصة أم المؤمنين .

صفته الخِلقية والخُلقية :

كـــان عمر بن الخطاب طويلاً جسيماً ، أصلع الرأس ، أبيض البشـــرة ، تعلوه حمرة ، كث اللحية ، أعسر أيسر ، يخضب لحيته، وما تبقى من شعره بالحناء ، وكان من طوله يشبه الراكب ، والناس معه يمشون ، وهو الأروح ، وبلغ من شدة جسامته أنه شبه برجال بنى سدوس ، وكان حاد الأسنان ، وفى عارضيه خفه ، وسبلته كبيرة (شاربه) (٢)، ومن خلال هذا الوصف ترى أننا أمام شخصية مهيبة، جمعـــت بين الضخامة ، والطول ، والقوة ، والهيبة، ناهيك عن كون صاحبها أصغر من الرسول ﷺ ، وصاحبه أبى بكر بعشر سنين .

وإذا أضـــفنا إلـــى ذلـــك ، سرعة مشيه ، ومهارته فى ركوب الخـــيل، حـــتى إنـــه كان كما يقول الذهبى : يأخذ بيده اليمنى ، أذنه اليســـرى ، ويثب على فرسه ، فكأنما خلق على ظهره ، وكان ممن

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ١٨٠ ، ابن حجر : الإصابة ٢٧٧/٢.

(٢) ابن عبد البر:الاستيعاب ٣٥٤/١ ، ابن حجر : الإصابة ٢٧٧/٢. السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ١٥٣ .

يجـيد العمـل بكلـتا يديه ، فلا مراء أننا أمام شخصية قوية ، فذة ، شـجاعة [١] ، تجيد المصارعة ، وركوب الخيل ، والعدو بها، وقلما اجتمعت هذه الصفات فى رجل واحد [٢].

عمـل عمـر بن الخطاب فى شبابه برعى الإبل ، وحراستها لأبـيه، والعناية بأمرها ، وذلك فى شعاب ضجنان بمكة ، ويبدو أن أباه كان قاسياً عليه فى التعامل ، حتى إن عمر ظل يذكر حتى بعد أن صار خليفة ، ومر بمكان رعيه [٣].

إسلام عمر بن الخطاب :

قـال رسول الله ﷺ " **اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك ، بعمـر بن الخطاب ، أو بعمرو بن هشام** "[٤] ، كلمات نطق بها النبى ﷺ ، ودعوة إلى أحد رجلين ، فكانت من نصيب عمر بن الخطاب ، فكـيف حدث ذلك ؟ وكيف انقلب عمر بن الخطاب ، من ذلك الجبار الطاغـية ، الذى يسوم المستضعفين سوء العذاب ، إلى ذلك الملاك ، والشخصية الربانية ، التى غسلت ماضى ذنوبها بمستقبل جهادها مع رسول الله ﷺ !.

كـان بدايـة ذلك حينما خرج عمر ليتعرض لرسول الله ﷺ ، ويـنال مـنه ، وكان النبى ﷺ قد سبقه إلى المسجد ، فاستخفى عمر

---

(١) الذهبى : السير ٢/ ٥١٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٣٢٥ ، ٣٢٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٦٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات ٣/٢٦٧ .

خلفــه ، حتى قرأ الرسول ﷺ سورة الحاقة ، فتعجب عمر من روعة ما سمع ، ومن تأليف هذا القرآن ، وقال : والله هذا شاعر كما تقول قريش ، إلــى أن قرأ ﷺ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَــاعِرٍ قَلِـيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ [١] فوقع الإسلام فى قلب عمر ، ولكنه توقف ولم يسلم [٢].

ثــم جــاءت بعد ذلك حادثة أخرى ، كان لها أكبر الأثر فى إســلامه رضى الله عنه ، حيث خرج عمر فى يوم حار بالهاجرة فى بعض طرق مكة ، فلقيه رجل ، تهكم منه ، وقال له : تزعم إنك من أشــد المعارضين لمحمد ، ودعوته ، فكيف ذلك ؟ وقد أسلمت أختك فاطمة ، وزوجها ، فعاد عمر مسرعاً غاضباً إلى بيت أخته ، وطرق البــاب ، فخــاف مــن فــى البيت ، وكان معهما الصحابى الجليل خباب[٣]بن الأرت ، الذى توارى عن الأنظار ، وفتحت فاطمة الباب، فبادرهما عمر قائلاً : ما الهمهمة التى كنت أسمعها ؟ فأنكرت فاطمة ذلــك ، وكــانوا قد نسوا الصحيفة ، التى فيها القرآن على السرير ، فلطــم عمــر وجه أخته حتى سال منها الدم ، ثم جلس على السرير فوجد الصحيفة ، فأراد أن يقرأ ما كان فيها ، فمنعته أخته من ذلك ،

---

(١) الأيتان ٤٠ ، ٤١ سورة الحاقة.

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٢٨.

(٣) خــباب ، بن الأرت ، بن جندلة ، بن خزيمة ، وقع فى الأسر فى الجاهلية ، فصــار رقــيقاً ، أســلم قديماً قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم ، وأوذى فى الله ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، والمشاهد كلها ، وتوفى بالكوفة سنة ٣٧ هـ ، عن ثلاث وستين سنة ، ابن كثير : البداية ٧/٢٩٤ .

إلا أن يتطهر ، ففعل ، فإذا فيها آيات بينات، فقرأها عمر حتى وصل إلـــى قوله تعالى : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فنطق عمر بالشهادتين ، وكبر من فى المنزل ، وقالوا لـــه : أبشر يا عمر ، فقد صدقت فيك دعـــوة الرسول ﷺ يوم أمس ، حينما قال : اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك ، فقال عمر لهم : دلونى على النبى ﷺ ، قالوا : هو فى دار الأرقم بالصفا [١].

خـــرج عمـــر للقاء الرسول ﷺ فى دار الأرقم ، وطرق الباب، فـــنظر بعضـــهم من كوة ، فإذا هو عمر ، فأصابتهم الهواجس منه ، فقـــال لهم حمزة من؟قالوا : عمر : قال: وإن كان عمر فافتحوا له الـــباب ، فإن أقبل على الإسلام قبلنا منه ، وإن أدبر ، أو جاء بشر ، قتلـــناه ، فدخل ، وتحدث إليه الرسول ﷺ ، وقال لـــه : أسلم يا ابن الخطاب ، اللهم اهده ، فنطق عمر بالشهادة ، فكبر المسلمون تكبيرة ســـمعت فى أنحاء مكة ، وطلب عمر من الرسول ﷺ أن يخرجوا ، ويعلـــنوا بوجودهـــم ، ويقـــيموا شـــعائرهم فى قلب الحرم ، فخرج المســـلمون فى صفين ، على أحدهما عمر ، وعلى الآخر حمزة بن عبد المطلب ، وذلك فى العام السادس من البعثة [٢].

أســـلم عمر فاكتمل عدد المسلمين من الرجال أربعين فى مكة، ولا شك أنهم كانوا قلة ، ولكن عمر الفاروق أعلن إسلامه على الملأ، ودعـــى إلـــى نشـــره بين الناس ، وكان يرغب فى أن يناله ما ينال المستضـــعفين مـــن الإيذاء ، حتى ينال الثواب الأوفى ، ونال ذلك ،

([١]) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٣٠ ، ١٣١.

([٢]) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٣١ - ١٣٣.

فمـــازال الكفار يضربونه ، ويضربهم ، حتى أجاره منهم خاله عمرو بـــن هشام ، ولكن عمر رد عليه جواره ، وظل يكابد القوم ، وينال منهم ، وينالون منه ، حتى يكفر عن سنواته الأولى ، التى أمضاها هو نفسه فى محاربة الدعوة ، والصد عن سبيل الله [١].

كان إسلام عمر ذا صدى مدوى لدى الصحابة ، وظلوا يذكرون إســـلامه كلمـــا لاحت لهم فرصة ، فقال عبد الله بن مسعود : " **كان إسلام عمر فتحاً** ... " ، وقال عنه حذيفة بن اليمان : " **لما أسلم عمر كـــان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قربا** "[٢]. وقال ابن مسعود أيضـــاً : " **مـــا عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر**"[٣]، وقال عنه سيد البشـــر ﷺ : " **إن الله جعـــل الحـــق على لسان عمر ، وقلبه، وهو الفـــاروق ، فرق الله به بين الحق والباطل** "،بل ونزل جبريل مهنئا للنبى ﷺ ، على إسلام عمر ، فقال لـــه : " **يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر** " [٤].

صحبته للنبى ﷺ :

مـــنذ أسلم الفاروق وهو مع النبى ﷺ ، ومرافق له مع الصديق أبى بكر ، وكان عمر ممن هاجر علانية قبل الرسول ﷺ ، ولما عزم على ذاك ، تسلح ، وطاف بالبيت سبعاً ، وقال لمشركى مكة: شاهت

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ١٨٠، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة ٣١٨/٢.

(٣) ابن حجر : الإصابة ٢٧٧/٢.

(٤) ابن سعد : الطبقات ٢٦٩/٣ ، ٢٧٠.

الوجـــوه ، مـــن أراد أن تـــثكله أمه ، وييتم ولده ، وترمل زوجته ، فليتبعنى وراء هذا الوادى ، فما تبعه منهم أحد [١]، وفى المدينة آخى الرسول ﷺ بين عمر بن الخطاب ، وعويم بن ساعدة[٢]، وشهد عمر مـــع رسوله ﷺ المشاهد كلها ، بدراً ، وأحداً ، والخندق ، وخرج فى عـــدة سرايا ، وتأمر على بعضها ، وكان حامل لواء الرسول ﷺ فى غزوة خيبر [٣].

ونال الفاروق الكثير من ثناء الرسول ﷺ ، حيث قال : " **لو لم أبعـــث فيك لبعث عمر** " ، وقال له أيضاً : " **ما آراك الشيطان سالكاً فجاً ، إلا سلك فجا غير فجك**"[٤] ، وقال ﷺ لعمر حينما استأذن لأداء العمـــرة : " **يـــا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا**"[٥] وقال ﷺ عـــنه : " **لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون ، فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر**" [٦].

موافقات عمر للقرآن :

من مناقب عمر وفضائله أن رأيه غالباً يوافق القرآن الكريم ، فكـــان الـــناس يقولون فى الشيء ، ثم يقول فيه عمر ، فينزل القرآن

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٣٥.

(٢) ابن سعد : الطبقات ٢٧٢/٣.

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢٧٢/٣، ٢٧٣.

(٤) ابن تيمية : سؤال فى معاوية ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٧٣.

(٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٣٦.

بقول عمر ، وكان يرى الرأى ، فينزل به القرآن [١]، وهو ما يعرف بموافقات عمر للقرآن ، ومن أهمها ما يلى :

١- أنه رضى الله عنه قال للرسول الله ﷺ : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [٢].

٢- أنه قال للرسول ﷺ : يا رسول الله ﷺ إنه يدخل على نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب.

٣- اجتمعت نساء النبى ﷺ عليه فى الغيرة ، فقال عمر : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت كذلك.

٤- أنه رضى الله عنه قال : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافياً، فأنزل الله تحريمها .

٥- أن القرآن نزل برأى عمر فى أسرى بدر ، حيث قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾[٣].

٦- لما صلى الرسول ﷺ على عبد الله بن أبىّ بن سلول قال عمر : تصلى على عدو الله ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً ﴾ [٤].

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٤٢.

(٢) من الآية ١٢٥ سورة البقرة.

(٣) من الآية ٦٨ سورة الأنفال .

(٤) من الآية ٨٤ سورة التوبة.

٧- أنه رضى الله عنه دخل عليه غلامه وهو نائم ، فقال عمر : اللهم حرم الدخول ، فنزلت آية الاستئذان [١].

فكل هذه الموافقات من عمر للقرآن الكريم ، تشير إلى أنه كان شخصية ربانية ، نقاها الله بالإسلام ، فارتقت ، ونالت من رضا الله ، وحب رسوله ، وإعجاب المسلمين الشيء الكثير ، الذى سجله له المؤرخون ، قدامى ومحدثين .

وكان عمر بن الخطاب رفيقا لأبى بكر فى خلافته ، يجالسه، ويشاوره ، ويستأنس برأيه ، ويدلى برأيه فى كل ما يعن للخليفة من أمور ، وولاه الصديق قضاء المدينة ، فما جاء إليه خصمان ، لانتشار العدل بين الناس ، وتناصفهم فيما بينهم [٢]، حتى مضت أيام الصديق ، وأدركته المنية ، وكان قد عهد لعمر بن الخطاب قبل وفاته بالخلافة ، فتولاها عمر فى اليوم نفسه ، وهو الحادى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ ، فإليك تفاصيل خلافة الفاروق .

ثانياً : البيعة لعمر بالخلافة :

بويع الفاروق بالخلافة ليلة توفى الصديق ، ثم صعد المنبر ، وألقى على الحضور خطبة الخلافة ، حيث حمد الله ، وأثنى عليه، ثم قال : " **أما بعد فقد ابتليت بكم ، وابتليتم بى ، وخلفت فيكم بعد صاحبى ، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ، ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة ، فمن يحسن نزده حسناً ، ومن يسئ نعاقبه ، ويغفر الله لنا ولكم** " [٣].

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٤٢ - ١٤٥.

(٢) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص ١١٦ ، ١١٧.

(٣) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٧٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٣ .

خطبة قوية ، استهل به الفاروق خلافته ، وبدأها بالقول بأن الحكم فى الإسلام ابتلاء ، وليس اشتهاء ، وهو تكليف للخليفة وليس تشريف ، وبين لهم أنه ماض بنفسه فى القيام بأمورهم ، والإشراف على كل مـــا يخصهم ، وإن كان ذلك بعيداً عنه ، فسيولى الأمناء ، الأكفاء لذلك ، ثم حذرهم ، ووعدهم ، ودعا لهم ، وله بالغفران .

يلوح لى أن مثل هذه الخطبة التى استهل بها الفاروق خلافته، كانت مصدقاً لحديث الرسول ﷺ فيه ، حيث قال : " **إن تولوا عمر تجدوه قوياً فى نفسه قوياً فى أمر الله** "[١] ، كما قال ﷺ : " **رأيت فى المنام أنى أنزع بدلـــو بكرة ، على قليب ، فجاء أبو بكر ، فنزع دلواً ، أو دلوين ، وفى نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم أخذ عمر ، فاستحالت بيده غرباً ، فلم أر عبقريا فى الناس يفرى فريه ، حتى ضرب الناس بعطن**"[٢].

فهـــذه إشـــارة ، وبشارة من النبى ﷺ لعمر ، بقوته فى القيام على شـــئون المسلمين ، بل وتلقيبه بالعبقرى ، ولم يكن الفاروق ممن يعض بـــنواجذه على الخلافة ، بل كان يتمنى أن يكون هناك من هو أقوى منه ليـــتخلى له عن هذا العبء الثقيل ، فقد روى عنه أنه قال : " **لو علمت أن أحـــداً مـــن الناس أقوى عليه منى ، لكنت أقدَّمُ ، فتضرب عنقى ، أحـــب إلـــىَّ من أن أليَه** "[٣] ، وألزم نفسه من أول يوم لخلافته أن يسير علـــى مـــنهاج النـــبى ﷺ ، وصاحبه أبى بكر ، **فقال : إنه مضى لى صاحبان ، عملا عملاً ، وسلكا طريقاً ، وإنى إن عملت بغير عملهما ، سلك بى طريق غيرهما**[٤].

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف ١/ ٥٤٢ .
(٢) السيوطى : الغرر فى فضائل عمر ص ٣ .
(٣) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٧٥.
(٤) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٨٨ ، ٢٨٩.

الفصل الثانى

أهم أعمال عمر بن الخطاب ومميزات حكمه

أهم ملامح خلافة الفاروق :

كـــان عمــــر يحب رعيته حباً جماً ، ويحب ما يصلح شأنهـا ، ويكره مايفسدها ، ساسها بسياسة تقربه إلى القلوب ، فكان عفيفاً عن أموالهــم عادلاً بينهم ، مسوياً بين الناس ، حكيماً ، يضع الشىء فى موضعه ، يشتد حيناً ، ويلين حيناً ، حسبما توحى إليه الظروف التى هــو فـــيها ، عرف العرب معرفة تامة ، وعرف ما يصلح أنفسها، فسيرها فى الطريق الذى لا تألم فيه ، فصيرها أمة حرة ، لا تستطيع أن تـــنظر إلـــى خسف يلحقها من أى إنسان ، ولذلك نقول: إن عمر أتعـــب مـــن بعده.، فالعربى تستدعى سياسته حكمة عالية ، فإنك إن اشـــتددت عليه أذللته ، فهلك ، وإن لنت لـــه ليكون رجلاً نافعاً ، لم يكن هناك حد لجفائه ، ولا لحريته ، فهو يحتاج إلى عقل كبير يديره، حتى لا تهلكه الشدة ، ولا يطغيه اللين ، ولم يكن ذلك العقل الكبير إلا فـــى رأس عمر بن الخطاب(١) ، الذى أوجز صفات الحاكم فقال : لا يصلح له إلا القوى فى غير عنف، اللين فى غير ضعف ، الكريم فى غير إسراف ، الممسك فى غير بخل (٢).

ولقـــد أحـــدث عمـــر بن الخطاب فى الدولة الإسلامية نهضة إدارية، وتنظيمية ، وقام باستحداث العديد من الأمور ، التى خدمت جموع المسلمين ، فهو بذلك يعد واضع اللبنة الأولى للنظم الإسلامية،

---

(١) الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ص ٢٤٩ .

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ٣٤٥/١

وهـو الـذى تمكـن من تنظيم المجتمع الإسلامى ، بعد أن اتسعت أرجـاؤه، شرقاً وغرباً ، وتمكن من السيطرة على هذه الدولة بروح العدل ، والقوة [١].

ومن أهم أعمال عمر بن الخطاب ما يلى :

١- وضع طريقة واضحة ودقيقة لاختيار العمال،ومراقبتهم .

٢- نشر مبدأ الشورى ، والمناقشة بين جموع المسلمين .

٣- قام بتنظيم القضاء ، وفصل سلطته عن الإدارة .

٤- قام بإنشاء الدواوين .

٥- نظم الأمور المالية للدولة .

٦- وضع التاريخ الهجرى .

٧- جمع الناس على صلاة التراويح فى رمضان ، وكتب بذلك إلى سائر الأمصار ، وصلى المسلمون فى المدينة خلف أبى ابن كعب.

٨- وسع المسجد الحرام ، وأعاد بناءه .

٩- مصَّر الأمصار ، وأنشأ المدن الجديدة ، كالكوفة والبصرة .

١٠- اتخذ بيتاً للمال ، وأعاد تنظيم أموره .

١١- وسع المسجد النبوى ، وفرشه بالحصباء .

١٢- أول من تلقب بأمير المؤمنين [٢] .

---

(١) العقاد :عبقرية عمر ص ١٥٠.

(٢) ابن سعد : الطبقات ٢٨٤/٣ ، الطبرى ٤/ ٦٨ ، ٦٩ ، ابن كثير : البداية : ٤٥/٧، السيوطى تاريخ الخلفاء ص ٢٧.

ولنقتطف بعضاً من أهم أعمال عمر بن الخطاب ، وملامح فترة حكمه ، ونلقى عليها مزيداً من الضوء .

أولاً : وضع التاريخ الهجرى :

لم يكن للعرب فى جاهليتهم تاريخ محدد يؤرخون به ، بل كان يؤرخـــون بالأحداث المشهورة بينهم ، كحرب الفجار ، وعام الفيل ، وبــناء سد مأرب ، وبعضهم كان يؤرخ بتاريخ الأكاسرة ، أو تاريخ البيزنطييـــن ، ولما جاء الإسلام كانوا يؤرخون بالأيام الشهيرة فيه ، كنزول الوحى ، أو غزوة بدر ، أو صلح الحديبية ، فيقولون فلان ولد فى غزوة بدر ، أو بعد أحد بسنة وهكذا [١].

ولمـــا اتســـعت الدولـــة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب ، أصـــبح المســـلمون فـــى حاجة إلى تاريخ مستقل لهم ، يبنون عليه معاملـــتهم ، وتواريخهـــم ، وحدث ما أوجب ذلك ، حينما رفع صك للخلـــيفة عمـــر بن الخطاب ، محله وميعاد وسداده فى شهر رجب ، فقـــال الفاروق فى أى سنة هو ، أهو فى هذه ؟ ، أم فى التى قبلها ؟، أم فـــى الـــتى بعدها ؟ ، وتشاور مع كبار الصحابة فى هذا الأمر ، فـــأجمعوا على اختيار حادثة إسلامية ، لتكون بداية للتاريخ الإسلامى فعرض بعضهم اتخاذ ميلاد الرسول ﷺ ، أو بعثته ، أو هجرته ، أو وفاتـــه ، ولكن الميلاد والمبعث غير متفق فيهما بدقة كبيرة ، والوفاة معروفة ومحددة ، ولكن لا يمكن جعلها بداية لتاريخ أمة ، ومن يفعل ذلك يكون من الشامتين فى الإسلام ، لذلك استقر رأى الصحابة على

---

(١) السيد سالم : التاريخ والمؤرخون ص٠٢ .

اختـــيار هجـــرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة ، لتكون بداية التاريخ الإسلامى، وذلك فى السنة السابعة عشرة من الهجرة [١].

والهجرة من أهم الأحداث التى مر بها الإسلام ، فبها انتقل من كونه دين فقط ، إلى دين ودولة ، وأصبح للمسلمين كيان سياسى ، ثم بهـــا بدأ المسلمون التطبيق العملى لكل تعاليم الإسلام ، بعد أن كانت بعـــض تعالـــيمه فـــى الإطار النظرى ، كالجهاد ، والصيام ، واتفق الصحابة على أن يكون المحرم هو بداية تلك السنة الهجرية ، وليس ربيع الأول ، لأن المحرم شهر حرام ، ومنصرف الناس فى الحج ، وهـــو أول الســـنة العربية القديمة ، وميزه المسلمون عن غيره من شهور السنة ، بإضافة ال التعريف إليه [٢].

ثانياً : الاهتمام بالحرمين الشريفين :

اعتمر عمر بن الخطاب فى سنة ١٧ هـ ، وأولى اهتمامه للحرم المكـــى ، فاشترى العديد من الدور المجاورة لـــه ، وهدمها ، ووسع ســـاحة الحـــرم ، كما أمر بتجديد أنصاب الحرم ، وكلف مخرمة به نوفـــل ، والأزهـــر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى للقيام بذلـــك[٣]، أما المسجد النبوى فكان المصلون يعانون من السجود على أرضـــه المتربة ، فإذا مارفعوا رؤسهم ، نفضوا أيديهم من التراب ، فأمر الفاروق بفرشه بالحصى الصغير ، ليكون أمثل وأدعى للخشوع

---

[١] ابن كثير : البداية ٧٠/٧ ، الطبرى :تاريخ الرسل ٣٨/٤ ، ٣٩ ، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ٢١ ، ٢٢ .

[٢] ابن كثير : البداية ٧٠/٧ ، السيد سالم: التاريخ والمؤرخون ص ٢٢ – ٢٤.

[٣] الطبرى : تاريخ الرسل ٦٨/٤ ، ٦٩ .

فى الصلاة [١]، كما وسع بناء المسجد ، وهدم بعض الدور حولــه ، واشــترى دار العــباس بن عبد المطلب ، وضمها للمسجد ، وذلك لزيادة عدد المسلمين فى المدينة عن ذى قبل [٢].

ثالثاً : طريقته فى اختيار العمال :

مــن أهم مناقب عمر بن الخطاب وأعماله ، أنه وضع طريقة دقيقة ، وعادلة ، وحازمة ، لاختيار العمال ، ومراقبتهم ، ومحاسبتهم إذا ما حاد أحد منهم عن الطريق القويم ، ولا جرم فى أن هذا النظام كفــل للخليفة بسط سيطرته على أنحاء الدولة الإسلامية،كما أنه حقق العدل للرعية ، وقضى على كل ذريعة قد يتخذها البعض مطية للنيل مــن ســلطة وهيبة الخلافة ، كما حدث فى أواخر خلافة عثمان بن عفــان رضـــى الله عــنه ، فكــان عمر يقول : إن الناس لم يزالوا مســتقيمين ماســتقامت أئمتهم ، والرعية مؤدية إلى الإمام ، ما أدى الإمـــام إلـــى الله ، فإذا رتع الإمام ، رتعت رعيته ، وأيما عامل لى ظلـــم أحداً ، فبلغنى مظلمته ، فلم أغيرها فأنا ظلمته [٣]، ويمكن أن نوجز أهم ملامح السياسة العمرية فى اختيار العمال فيما يلى :

١- أنــه اختار عماله من أصحاب الكفاءة ، والقوة ، والدراية بالحكم ، حتى يتمكنوا من النهوض بما أوكلوا به ، فكان يقول : إنى لأتحـــرج أن استعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه، فاختار ولاته من أمثال عمرو بن العاص ، ومعاوية بن سفيان ، والمغيرة [٤] بن شعبة،

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٨٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٢٨٣/٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢٩٢/٣ ، ٢٩٣ ، ٣٥٠.

(٤) المغيرة ، بن شعبة ، بن أبى عامر ، الثقفى ، أحد دهاة العرب ، أسلم عام-

وتـــرك من هم أفضل من هؤلاء ، كعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والزبير ، لقوة أولئك على العمل ، ولهيبتهم لعمر ، وخشيتهم منه ، ولما سئل عن الحكمة من تنحية كبار الصحابة عن تولى إمارة الأمصـــار ، وهم أقرب الصحابة لرسول الله ، قال : أكره أن أدنسهم بالعمل [١].

إذا فعمـــر يضع – كما نقول الآن – الرجل المناسب فى المكان المناســـب ، فمـــن صلح للحكم والإدارة ، ولاه الأقاليم ، ومن صلح للشـــورى أو للعلم أبقاه معه فى المدينة ، فجمع عنده نخبة الصحابة للمشاورة ، والاستفتاء ، تنزيها لأقدارهم ، وانتفاعاً برأيهم، واعتزازاً بتأيدهم له ، ومعاونتهم إياه فيما يتولاه [٢].

٢- كـــان الفـــاروق إذا مـــا اختار عاملاً وأراد إرساله لولايته خاطـــبه هو ومن معه قائلاً : " **لا تضربوا المسلمين فتزلوهم ، ولا تحـــرموهم فـــتكفروهم ، ولا تجمهروهم فتفتنونهم ، ولا تنزلوهم الغـــياض فتضيعوهم** "[٣] ، فهو يأمر عماله بالرفق بالرعية فى غير

=الخندق ، وشهد الحديبية ، وكان على رأس الرسول عند عقد الصلح ، وأرسله الرســـول مـــع أبـــى ســـفيان إلـــى الطائف لهدم اللات ، ثم أرسله الصديق إلى البحرين، واشترك فى معركة اليمامة ، واليرموك ، والقادسية ، وتولى أمصار عديـــدة على عهد عمر ، ثم تولى البصرة ، فعزله عمر عنها ، وولاة الكوفة ، واســـتمر كذلك فى خلافة عثمان ، حتى عزل ، وكانت الفتنة فلحق بمعاوية عند التحكـــيم ، ولمـــا صفا الأمر لمعاوية أعاده للكوفة ، وظل عليها حتى توفى سنة ٥٠هـ ، عن سبعين سنة ، ابن كثير : البداية ٤٦/٨ ، ٤٧ .

(١) ابن سعد : الطبقات ٢٨٢/٣ ، ٢٨٣ ، ٣٥٠ .

(٢) العقاد : عبقرية عمر ص ١٥٠ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٨١ .

لين ، وبالحزم فى غير شدة ، وأن يبفئوا عليهم مما رزقهم الله ، وألا يطـيلوا بقاء المقاتلين فى الثغور فترات طويلة حتى لا يملوا منها، بـل على العمال استبدال بعض الجنود ببعض ، وأخيراً يطلب عمر من عماله المحافظة على أرواح رعايهم ، وعدم إنزالهم المهالك .

٣- كان عمر يبعث برسائله إلى الرعية ، يبين لهم فيها حقوقهم حـتى لا يفـرطوا فـيها ، ويبين مهمة العامل عليهم ، وأنه كسائر الرعـية، وأنـه مـا أرسله إليهم إلا ليقوم أولاً بأداء الشعائر بهم ، ويعلمهـم كتاب الله ، وسنة رسوله ، فمن حاد عن ذلك من العمال ، وظلـم رعيته ، فليرفعوا أمره إلى الخليفة ، ليقتص منه ، فقال عمر لـرعاياه : "**إنـى لـم اسـتعمل علـيكم عمالى ليضربوا أبشاركم ، وليشتموا أعراضكم ، ويأخذوا أموالكم ، ولكنى استعملتهم ليعلموكم كـتاب الله ، وسنة نبيكم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة ، فلا إذن لـه علىّ ليرفعها إلىّ حتى أقصه منه ، فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن أدب أمير رجلاً من رعيته أتقصه منه؟ ، فقال عمـر : ومـالى لا أقصه منه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه** "[١].

٤- كان عمر إذا عين عاملاً له على مدينة أو مصر ، كتب فى سجل له ، كل ما يملكه من مال ، وعقار ، وضياع ، وإذا ما عزلـه حاسبه على ما زاد على ماله وراتبه ، تطبيقاً لمبدأ من أين لك هذا ؟، ولـم يتورع عن معاقبة بعد الولاة من الصحابة بعد عزلهم، كسعد [٢]

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/٢٨١

(٢) سعد ، بن أبى وقاص : مالك ، بن أهيب ، القرشى ، الزهرى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، الذين توفى الرسول ﷺ وهو =

بن أبى وقاص ، وأبى هريرة [١]. ، حيث قاسمهم أموالهم [٢] لما عجزوا عـــن إثبات مصدر الزيادة التى طرأت على أموالهم ومر عمر ذات يوم ببناء يبنى من الحجارة والجص ، فقال : لمن هذا البناء ؟ فقالوا : هـــو لعـــاملك على البحرين ، فقال عمر : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ، وشاطره ماله [٣].

٥- كما كان عمر يرسل الصحابى محمد [٤] بن مسلمة ، مفتشاً علـــى هـــؤلاء العمال فى أمصارهم ، ليكون ذلك رادعاً لهم عن أى تجـــاوز مالى ، فإذا ما ضبط شيئاً من ذلك ، قاسم العامل ماله ، وهو

=عـــنهم راض ، كـــان سابع من أسلم ، هاجر ، وشهد بدراً ، والمشاهد كلها ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وكان مستجاب الدعوة، جمع له الرسول ﷺ أبويـــه، وكان لـــه المنزلة الكبرى عند أبى بكر ، ثم عمر الذى ولاه الكوفة ، ثم عزلـــه ، وجعله أحد أعضاء الشورى الذين يختار منهم الخليفة بعد طعن عمر ، ثـــم اعتزل الفتنة عند مقتل عثمان ، وتوفى سنة ٥٥ هـ ، وكان آخر المهاجرين وفاة ، ابن كثير : البداية ٦٩/٨ – ٧٥.

(١) أبـــو هريـــرة : عـــبد الرحمن ، بن صخر ، الدوسى ، أسلم سنة فتح خيبر ، فشـــهدها مع الرسول ﷺ ، وظل رفيقا له ، لم يفارقه فى حضر ، ولا سفر ، وســـمع مـــنه الكثير من الأحاديث ، وكان من أكثر الصحابة رواية عنه ، توفى سنة ٥٨ هـ ، ابن كثير : البداية ٩٩/٨ – ١١٠ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٨٢ ، ٣٠٧ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٥٣/١ .

(٤) محمـــد ، بـــن مسلمة ، الأنصارى ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، وشهد بـــدراً ، والمشاهد كلها ، أمّره الرسول ﷺ على خمس عشرة سرية ، وكان ممن اعتزل الفتنة فى الجمل ، وصفين ، وأقام بالربذة ، وكان من سادات الصحابة ، وكان رسول عمر إلى عماله ، توفى سنة ٤٣ هـ ، ابن كثير : البداية ٢٦/٨ .

فى عقر ولايته ، كما حدث مع عمرو بن العاص فى مصر[١]، أو مع سـعد بـن أبى وقاص فى الكوفة ، حينما بلغ عمر بن الخطاب ، أن سعداً اتخذ قصراً وباباً ، ليحول بينه وبين ضجيج العامة ، فقام محمد بن مسلمة عن أمر عمر بن الخطاب ، بنزول الكوفة ، وإحراق باب القصر ، ثم استدعى حاكمها سعد بن أبى وقاص بعد ذلك [٢].

٦- كـان عمـر إذا بعث عاملاً له ، اشترط عليه أربعاً : ألا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقى ، ولا يتخذ بواباً، ليمنع الناس من الدخول عليه ، فإذا فعل إحداها ، حلت عليه العقوبة من عمر [٣].

٧- كـان عمر إذا قدم عليه وفد بلد ما ، سألهم عن أحوالهم ، وأرزاقهـم وأسعارهم ، وعن أميرهم ، وهل يفتح بابه للرعية ؟ وهل يعـود المرضى ؟ فإن أجابوه بنعم ، حمد الله تعالى ، وإن قالوا : لا، كتـب لهذا العامل ، أن أسرع إلى المدينة ، ليسأله عن سبب تقصيره مع رعيته[٤].

٨- لـم يكتف عمر بكل ما سبق من احتياطات لمراقبة عماله، وضـمان حسـن آدائهـم لأعمـالهم ، ورعايـتهم لشئون بلادهم ، وتواضعهم مع رعيتهم ، لم يكتف بذلك ، بل كان يعقد مؤتمراً سنوياً، يحضره كل عمال الأقاليم فى مكة ، بعد انتهاء موسم الحج، ليناقشهم فى أمور أمصارهم ، ويتعرف على أحوالهم ، وليواجههم بالشكاة من

---

(١) ابن كثير / البداية ٢٦/٨.

(٢) الذهبى : السير ٣٨/٤

(٣)ابن قتيبة : عيون الأخبار ١/ ٥٣ ، ابن كثير: البداية ٧/ ١٢٧ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١/ ١٤ .

رعايـــتهم ، فيقضــــى بينهم فى هذا المؤتمر [١] وكان يخاطب جموع المسلمين قائلاً : "**أيها الناس إنى لم أبعث عمالى عليكم ليصيبوا من أبشاركم ، ولا من أموالكم ، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيـــئكم ، فمن فعل به غير ذلك فليقم**" فما قام إلا رجل واحد ، فقال : يـــا أمـــير المؤمنين إن عاملك فلاناً ضربنى مائة سوط ، قال : فيم ضــــربته ، قـــم فاقتص منه ، فقام عمرو بن العاص ، فقال : ياأمير المؤمنيـــن إنـــك إن فعلت هذا يكثر عليك ، ويكون سنة يأخذ بها من بعـــدك ، فقال : أنا لا أقيد ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد من نفسه ، قـــال : فدعـــنا فلنرضه ، قال : دونكم فا[illegible]ر ، فاقتدى منه بمائتى دينار ، كل سوط بدينارين [٢].

٩- عـــزل عمـــر بعض عماله لما ظهر منهم الغرور ، وحب الرئاســـة ، فعزل خالد بن الوليد ، والمثنى بن شيبان ، حتى يعلما أن الله ينصر عباده ، وليس بهما كان ينصر [٣]، وعزل عمر بن الخطاب بعـــض العمال لما بدى منهم ضعف فى إقليمهم ، ومن ذلك ما حدث ســـنة ٢٢ هـ ، حيث اشتكى أهل الكوفة من عمار [٤] بن ياسر ، بأنه غير كفؤ للسياسة ، ولا يعلم حدود ولايته ، فاستوثق عمر من ذلك ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ١٦٥/٤ ، ١٦٦.

(٢) ابن سعد :الطبقات ٣/ ٢٩٤ .

(٣) ابن سعد :الطبقات ٣/ ٢٨٤

(٤) عمار ، بن ياسر ، العبسى ، اليمنى ، من خلفاء بنى مخزوم ، أسلم مبكراً ، وكـــان يعـــذب فى الله ، هو وأبيه ، وأمه سمية ، شهد بدراً ، والمشاهد كلها مع الرســـول ﷺ ، وأثنى عليه النبى ﷺ فقال له : إن عمار ملئ إيماناً ، وقال له : تقتلك الفئة الباغية ، استشهد يوم صفين سنة ٣٧ هـ ، ابن كثير :البداية ٢٩٥/٧ ، ٢٩٦ ، الذهبى : السير ٢٥٣/٣ – ٢٦٨.

فعزله (١) ، وولى أبا موسى(٢) خلفاً له.

١٠- لم يكتف عمر بن الخطاب بكل ما قام به فى سبيل مراقبة عماله ، وضمان تحقيق العدالة للرعية ، ففكر فى القيام بجولة تفقديه فى جميع الأمصار ، ليقيم فى كل منها شهرين ، وهى: الكوفة ، والبصرة ، والشام ، ومصر ، والجزيرة ، والبحرين ، وكان دافعه لذلك هو أن للرعية حوائج ومطالب ، يرفعونها للعمال، وهؤلاء لا يرفعونها لعمر ، ولا يستطيع عموم المسلمين أن يصل إلى المدينة ، ليعرض على الخليفة مطلبه (٣) .

لله درك يا عمر تذهب لرعيتك فى أمصارهم ، حتى تعرف مطالبهم ، التى قد يكون العمال قد قصروا فيها ، فأى [illegible] !! وأى أكاديمية تلقنت فيها أصول الحكم والإدارة ، والعدالة!!، إنها مدرسة نبيك محمد ، تلك التى خرجت للبشرية هذه النماذج الربانية، والتى كانت ومازالت زخراً لقواد المسلمين فى كل زمان ومكان .

وقد كانت هذه السياسة العمرية فى التعامل مع الولاة نموذجاً يحتذى به حتى قال على بن أبى طالب : إن الله جعل أبا بكر وعمر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣١/٣ ، ٣٣

(٢) أبو موسى الأشعرى : عبد الله ، بن قيس ، بن سليم ، التميمى ، أسلم ببلاده، وقدم مع جعفر بن أبى طالب ، وأصحابه عام خيبر ، استعمله النبى ﷺ هو ومعاذ على اليمن ، واستنابه عمر على البصرة ، وولاه عثمان الكوفة ، وكان أحد الحكمين بين على ومعاوية ، فلما حدث ما حدث ، اعتزل الناس فى مكة ، وكان من أفضل الصحابة فى قراءة القرآن ، وأجملهم صوتاً ، توفى سنة ٥٢ هـ ، ابن كثير : البداية ٥٧/٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٥٦/٣ .

حجة على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة ، فسبقا والله سبقا بعــيداً ، وأتعبا والله من بعدهما إتعابا شديداً فزكرهما حزن للأمة ، وطعن على الأئمة (١).

رابعاً : تدوين الدواوين :

اتســعت الدولــة الإسلامية فى عصر عمر بن الخطاب اتساعاً كبــيراً ، شــرقاً وغــرباً ، وضمت بين جناحيها شعوباً ذات أصول مختلفة ، كالفرس ، وأهل الشام ، ومصر ، وازدادت الموارد المالية الــتى وفــدت على المدينة عاصمة الدولة ، من الخراج ، والجزية ، لذلــك كــان لابــد من إيجاد نظام مستقر ، يسير عليه المسلمون فى توزيــع هــذه الأمــوال بالعدل ، ولم يكن هناك نظام لذلك فى عهد الرسول ﷺ ، ولا فى عهد أبى بكر ، الذى كان يقسم ما يرد إليه من مــال ، ولا يبقى منه شيئاً ، ولما آلت الخلافة لعمر بن الخطاب دون الدواوين (٢) ، فكيف تم ذلك ؟

يقول ابن سعد : إن عمر استشار الصحابة والمسلمين فى تدوين الديوان ، لضمان توزيع الأموال بالعدل على كافة المسلمين ، فقال له على بن أبى طالب : أرى أن نقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ، ولا تمســك منه شيئاً ، أما عثمان فقال : أرى مالاً كثيراً يسع الناس جمــيعاً ، وإن لم يحصوا هؤلاء الناس ، لا نعرف من أخذ ، ممن لم يــأخذ ، مما يؤدى على الاضطراب فى التوزيع ، فتحدث الوليد بن هشــام بــن المغــيرة ، وقال : ياأمير المؤمنين ، إنى قدمت الشام ،

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ٣٢٥/٢.

(٢) ابــن ســعد :الطــبقات ١٨٧/٣ ، ٢١٣ ، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً ، وجندوا جنوداً ، فدون ديواناً ، وجند جنوداً ، فاستصوب الفاروق ذلك ، وكلف ثلاثة من نسابة قريش ، وهم عقيل [١] بن أبى طالب ، ومخرمة [٢] بن نوفل ، وجبير [٣] بن مطعم ، للقيام بذلك ، وقال لهم : اكتبوا الناس على منازلهم [٤] ، وذلك فى المحرم سنة ٢٠ هـ ، وهذا هو ديوان العطاء .

١- ديوان العطاء :

اجتمعت هذه اللجنة ، وبدأت فى التدوين ، وأرادت أن تجعل عمر بن الخطاب وآل بيته على رأس الديوان ، فقال لهم الفاروق : ابدأوا ببنى هاشم ، ثم الأقرب ، فالأقرب لرسول الله ﷺ ، وضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى ، وقدموا فى الديوان أهل السابقة ، من

---

(١) عقيل ، بن أبى طالب ، هو اكبر إخوته ، شهد بدر مشركاً ، وأسلم قبل الحديبية ، وشهد مؤتة ، ثم مرض ، فلم يخرج فى فتح مكة ، ولا حنين ، ولا الطائف ، أعطاه الرسول ﷺ من غنائم خيبر ، وكان يحبه لقرابته ، وحب أبى طالب له ، وكان عقيل من نسابة قريش ، توفى فى خلافة معاوية ، ابن كثير : البداية ٤٦/٨ ، الذهبى : السير ١٣٨/٣ ، ١٣٩ ، ٢٦٩/٤ ، ٢٧٠ .

(٢) مخرمة ، بن نوفل ، القرشى ، أحد الطلقاء ، كان من المؤلفة قلوبهم، وكان والده ابن عم أمنة بنت وهب ، والدة الرسول ﷺ ، أكرمه النبى ﷺ ، وخلع عليه يوم حنين ، عمر حتى بلغ مائة وخمس عشرة سنة، وتوفى سنة ٥٤ هـ ، الذهبى : السير ١٥١/٤.

(٣) جبير، بن مطعم ، بن عدى ، القرشى ، وفد إلى المدينة لفداء المشركين بعد بدر، وسمع القرآن ، فدخل الإسلام قلبه ، فأسلم عام خيبر، وكان من سادات قريش ، وأعلمها بالأنساب ، ومن أحلمهم ، تعلم الأنساب من أبى بكر ، وولاه عمر الكوفة قبل المغيرة بن شعبة ، وكان ممن حضر التحكيم بين على ومعاوية ، توفى سنة ٥٩ هـ ، ابن كثير : البداية ٤٥/٨ ، الذهبى : السير ٢٦٧/٤ – ٢٦٩ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٢٩٥/٣ .

أهـل بـدر من المهاجرين والأنصار ، ورفض عمر أن يسوى بين المسـلمين فى العطاء ، فقال : والله لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ، كمـن قاتل معه ، ففرض لأهل بدر خمسة آلاف دينار ، وفرض لكل واحـدة مـن زوجـات النبى ﷺ ثنتى عمر ألف دينار ، واستمر فى الفـرض للناس ، حتى فرض للموالى ، وللصبيان ، واللقطاء ، من ديـوان العطاء ، ولما وقعت حادثة المرأة التى كانت ترغم رضيعها على الفطام ، ليفرض له عطاء ، أمر عمر بجعل العطاء لكل مولود فـى الإسـلام ، ولكن عمر أدرك فى أخريات حياته أن التفاوت فى العطاء أدى لظهور طبقة من الأغنياء بين المسلمين ، فقال قبل مقتله: لئـن بقيت للعام المقبل ، لألحقن آخر الناس بأولهم ، ولأجعلنهم فى القسمة كالرجل الواحد [١].

والحقـيقة أن تدويـن عمر للدواوين ، وفرضه للعطاء ، فرغ المسـلمين للجهاد فى سبيل الله ، حيث حرم عليهم عمر بن الخطاب قسـمة الأراضى فى البلاد المفتوحة ، حتى لا ينشغلوا بالزراعة عن الجهـاد ، وحتى لا تجذبنهم الأرض إليها ، فتنسيهم الرسالة الكبرى، وبالإضافة لديوان العطاء ، فقد كان هناك ديوان الجند ، وهو المنوط بـه تسـجيل المجاهدين ، ومرتباتهم ، وكل ما يتعلق بهم ، وديوان الخراج ، ومن خلاله تجمع الأموال المفروضة على البلاد المفتوحة ، الـتى تـركها المسلمون فى أيدى أبنائها ، ثم يتم بعد ذلك توزيع هذه الأموال بطريقة شرعية منظمة ، تضمن للجميع حقوقه[٢].

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/٢٩٥ – ٣٠٥ .

(٢) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص ١١١ .

خامساً : تنظيم أمور القضاء :

كــان الرسول ﷺ يقضى بين الخصوم بنفسه ، بما أُنزل الله ، ولما توفى وخلفه أبو بكر أسند القضاء إلى عمر بن الخطاب ، ولكنه لــم يلقب بالقاضى ، ومكث عمر فترة طويلة ، لا يأتيه متخاصمان ، لما عرف عنه من الحزم ، والقوة ، ولما آلت لعمر الخلافة ، وزادت مهامه ، فصل القضاء عن الحكم ، وعين قضاة مستقلين فى الأمصار الإســلامية ، يــنوبون عــن الخلــيفة فــى الفصــل بين الناس فى الخصــومات، فولى أبا الدرداء [1] قضاء المدينة ، وولى شريحاً [2] قضاء الكوفة ، وولى أبا موسى الأشعرى قضاء البصرة، وولى قيس بــن أبى العاص قضاء مصر ، فكان عمر بن الخطاب أول من رأى قضاة مستقلين فى الولايات الإسلامية [3].

وســن عمر بن الخطاب للقضاة دستوراً يسيرون على هديه فى أحكــامهم ، وأرســله إلــى أبــى موسى الأشعرى ، وإلى غيره من القضـــاء، وممـــا جـــاء فيه : " **إن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة، فأفهم إذا أدلى إليك ... آسى بين الناس فى وجهك ، وعدلك،**

---

(١) أبــو الــدرداء : عويمــر ، بن زيد ، بن قيس ، الخزرجى ، أسلم يوم بدر، وشــهد احــد ، وأبلى فيها مع الرسول ﷺ ، وكان أحد أربعة جمعوا القرآن فى حياة النــبى ﷺ مــن الأنصــار ، وكان من أقضى الناس ، وأكثرهم علماً ، أرسله عمر لتولى القضاء فى بلاد الشام ، توفى سنة ٣٢هـ ، الذهبى : السير ٤/١٣- ٢٥.

(٢) شريح ، بن الحارث ، بن قيس ، الكندى ، تولى القضاء لعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، الذى عزله ، ثم ولاه معاوية ، وكان فــى الكوفــة طيلة هذه الفترة قاضياً ، عمل بالقضاء ما يزيد على سبعين سنة ، توفى سنة ٧٨ هـ ، عن مائة وثمان سنة ، ابن كثير : البداية ٩/ ٢٥ .

(٣) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص ١١٦ ، ١١٧ .

ومجلســك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلــك ، البيــنة على من ادعى ، واليمين على من أنكر، والصلح جائــز بيــن المسلمين ، إلا صلحاً أحل حراماً ، أو حرم حلالاً ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس ، فراجعت اليوم فيه عقلك، وهديت فيه لرشــدك، أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير مــن التمادى فى الباطل ، الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك ، مما ليس فــى كتاب ولا سنة ، ... اجعل لمن ادعى حقا غائباً أو بينة أمدا ينتهى إلــيه ، فــإن أحضــر بينــته ، أخذت لــه بحقه ، وإلا استحللت عليه القضــية،... إياك والقلق ، والضجر ، والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ... "[١].

وهذا الكتاب يعتبر إلى وقتنا هذا من أسس القضاء ، ومن أهم نظمه، وأصــوله ، فقــد جمع فيه عمر جل الأحكام ، وجعل الناس بعده يتخذونه إماماً ، ولا يجد محق عنه معدلاً ، ولا ظالم عن حدوده محيصاً[٢].

وإن المرء ليعجب من ذلك البدوى الذى كان جباراً فى الجاهلية ، وممن يعذب المستضعفين، كيف يتحول إلى بانى أعظم حضارة إنسانية ، فى اختيار العمال ، وفى النظم الإدارية ، وفى القضاء ، وفى الأمور العسكرية ، ليس هذا فحسب ، بل اهتم بالإنسان ، وآدميته ، فأكرمه ، ورعــاه ، وتتبع أموره ، وهمومه ، ومشاكله ، حتى تلك التى لم يبح بها لسانه ، ولم تفارق جوانحه ، فإليك لمحة عن ذلك .

---

(١) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص ١١٧، ١١٨ .
(٢) أبــو زيــد شلبى : تاريخ الحضارة ص ١١٨ ، الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم ص ٢٤٢ .

سادساً : منهجه مع الرعية ومع أهل بيته :

كـــان الفـــاروق شديداً كل الشدة مع أهل بيته ، يأخذهم بالجد ، ويـــنهاهم عـــن كل ما يشتم منه رائحة الترف ، أو الركون ، لكونه خلـــيفة المسلمين ، وكان إذا نهى رعيته عن شىء ، يقول لأهل بيته: لا أعلـــم أحـــداً وقـــع فـــى شىء ، مما نهيت عنه ، إلا أضعفت له العقوبـــة، فإن الناس ينظرون إليكم ، نظر الطير إلى اللحم [١]، وكان يـــرى وهو خليفة أنه لا يحل له من مال المسلمين إلا ما يقيم أوده ، مـــن مـــأكل ، أو ملبس ، أو مشرب ، كسائر الناس ، بل وشبه نفسه وهـــو يقـــوم على شئون الأمة بالقائم على شئون اليتيم ، إن استغنى استعفف ، وإن افتقر أكل بالمعروف[٢].

بل ومكث الفاروق بعد خلافته حينا لا يقرب من مال المسلمين ، حـــتى دخلت عليه فى ذلك خصاصة ، فاستشار صحابة رسول الله ﷺ فـــى إنه ترك تجارته ، وليس له ما يعول به أهل بيته ، فأذنوا له أن يأخذ ما يكفيه من بيت المال ، هو وأهله بالمعروف[٣].

وكـــان عمـــر يكـــتفى فى ثيابه بالقليل هو وأهل بيته ، فتكفيه الكسوة طوال العام ، وربما اهترأت الكسوة ، فرقعها رقعة بعد أخرى ولا يغيرها إلا بعد أن يأتى عطاؤه [٤].

وبلـــغ مـــن شدة عمر على بنيه أنه رأى يوماً إحدى بنات ابنه وهـــى تكـــاد تقع من شدة الهزال ، فسأل عن سبب ذلك ، فقيل لـــه:

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٨٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٧٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٣٠٧/٣.

(٤) ابن سعد : الطبقات ٣٠٧/٣ ، ٣٠٨.

شدتك فى النفقة عليها ، فعلت بها ذلك ، ولقد حاولت ابنته حفصة أم المؤمنين أن تراجعه فى ذلك المنهج القاسى من العيش ، وقالت له : لــو طعمت طعاماً ألين من طعامك ، ولبست لباساً ألين من لباسك ، فرد عليها بما كان عليه رسول الله ﷺ من الزهد ، والاكتفاء بالقليل ، حتى أبكاها ، بل وحينما مرض عمر ووصف له العسل كدواء ، أبى أن يتناوله ، حتى يأذن المسلمون له فى ذلك[١].

وحــج عمــر ذات سنة ، فما حُمل لــه فسطاط ، ولا استظل ببــناء ، بــل كان يلقى ثوبه على شجرة ، ويستظل بها ، وأنفق فى حجته خمسة عشر ديناراً ، فقال لخادمه : لقد أسرفنا فى هذا المال[٢].

وأمــا قــوة عمــر فى القيام على مصالح المسلمين فحدث ولا حــرجَ، حيث كان يقوم بنفسه برعاية إبل الصدقة ، يعدها ، ويحمى مــرعاها ، ويجهــزها للمجاهدين فى سبيل الله ، وكان يقول : لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه [٣].

وكــان يقــول : إنى وجدت صلاح ما ولانى الله بثلاث ، أداء الأمانــة ، والأخــذ بــالقوة ، والحكــم بما أنزل الله ، وصلاح مال المسلمين بثلاث ، أن يؤخذ المال فى حقه ، ويعطى لمستحقه ، ويمنع مــن باطل [٤] ، وقد سأل الفاروق ذات يوم محمداً بن مسلمة وقال له كيف ترانى ؟ قال : أراك قوياً على جمع المال ، عفيفاً عنه، عدلا فى

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٢٧٧/٣.
(٢) ابن سعد : الطبقات ٢٧٩/٣ ، ٣٠٨.
(٣) ابن سعد : الطبقات ٣٠٥/٣ ، ٣٠٧ ، ابن الأثير ٥٦/٣.
(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٥٤/١ ، ٥٥.

قسمته ، ولو ملت لعدلناك ، كما يعدل السهم [١].

وجمــع ابن الخطاب بين قوته فى الحق ، وبين خشيته من الله، وشــدة فزعه وبكائه ، حتى ترك البكاء أثراً على وجهه[٢] فكان يقرأ القــرآن ، فيمر بالآية فيسقط ، حتى يعاد كما يعاد المريض ، وسمع قارئــاً يقرأ سورة الطور ، حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّــكَ لَوَاقِعٌ** ﴾ [٣] فسقط ثم تحامل على نفسه حتى عاد لبيته فمرض شهراً من ذلك [٤].

وكان ينهى نفسه **ويوبخها** من الاغترار بالخلافة ، فيقول : عمر أمير المؤمنين ، بخ بخ ، والله يا عمر لتتقين الله ، أو ليعذبنك، وكان يخشــى أن يــتحول بخلافته إلى الملك ، فيسأل مرافقيه أخليفة أنا أم ملـــك ؟ فيقولون له : إنك خليفة ، لأنك لا تأخذ إلا حقاً، ولا تضعه إلا فى محله [٥] ، ولما طالبه جمع من الصحابة بأن يترفق بالناس ، ويلين لهم ، لأن ذوى الحاجات قد يأتون ويتحرجون من الدخول عليه لهيبته ، قال عمر : " **والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله فى اللين، ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله فى الشدة ، فأين المخرج** ؟ "فبكى من حوله ، وقالوا : أف لهم بعدك، أف لهم بعدك [٦].

وما قصص خروج عمر ليلاً لتصفح ذوى الحاجات والملهوفين

---

(١) الذهبى : السير ٤/ ٣٨ .

(٢) الذهبى: السير ٢/ ٥٢٢.

(٣) آية ٧ سورة الطور .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣/٦٠.

(٥) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٩٢ ، ٣٠٧.

(٦) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٨٧ ، ٢٨٨.

عنا ببعيد ، فقد خرج فى ليلة ما . هو وغلامه أسلم ، حتى رأى نوراً منبعــثاً مـــن خـيمة ، فيها امراة ، وأمامها قدر، وأولادها يبكون ، فاقترب منها ، وسألها عن سبب بكائهم ، قالت : يبكون من الجوع ، فسألها عما فى القدر ، قالت : أوهمهم أنى أطبخ لهم، حتى يناموا ، ثم أضافت الله بيننا وبين عمر ، فقال لها : وما يدرى عمر ؟ قالت : يتولى أمرنا ، ويغفل عنا ، فانطلق عمر وغلامه أسلم ، حتى أتيا دار الدقـــيق ، فحمل منه قدراً ، وقال لغلامه احمل على ، قال أسلم : أنا أحمله ، قال له عمر : أأنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة ؟! وانطلقا حـــتى أتـــيا المرأة فألقى عندها ما حمله ، وقام بمساعدتها فى طهو الطعام ، حتى نضج ، فأكل الصبيان ، وشبعوا ، وناموا ، فشكرته ، المـــرأة وقالت لـــه : أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين ، فقال لهـــا : قولـــى خيراً ، إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى عنده ، وقال لغلامه أسلم : الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت [١].

وأمـــا فى عام الرمادة سنة ١٨ هـ ، فكان عمر مشاركاً لجموع المسلمين فيما نزل بهم ، فكان لا يأكل إلا الخبز والزيت ، حتى أسود جلده ، ويقول : بئس الوالى أنا إن شبعت والناس جياع .

وقــد علـــق على بن أبى طالب على شدة عمر فى الحق ، وزهده، وورعه عن أموال المسلمين ، فقال : " **قد أتعبت الخلفاء من بعدك** " [٢].

وبعــد كل ما ذكرناه من منهج عمر مع أهله ومع رعيته نجده يخـــاف الله ، ويتمنى أن لو كان شيئاً من خشاش الأرض ، ولم يكن

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/٥٧ ، ٥٨ .

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ١٢٨ ، ١٢٩

عمـــر ، وتمـــنى أن لـــم تكن أمه قد ولدته ، حتى لا يكون لـــه ولا عليه[١].

سابعاً : مستجدات عمر بن الخطاب :

نـــدر فـــى الدولـــة الإسلامية من نظام لم تكن لعمر فيه أولويه وسبق فهو أول من دعى بأمير المؤمنين ، لأنه لما تولى الخلافة قالوا لـــه : يـــا خليفة خليفة رسول الله ، فقال: هذا شىء يطول ، بل أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، وهو أول من وضع التاريخ الهجرى، وأول من عس بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من نهى عن بـــيع أمهـــات الأولاد ، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات ، وكانوا قبله يكبرون أربعاً ، وخمساً وستاً ؛ وهو أول من جمع الناس لصلاة التراويح ، على إمام يصلى بهم ، وكتب بذلك إلى كافة الأمصار ، وهو أول من حمل الدرة ، وضرب بها ، وأول من دون الدواوين [٢].

كمـــا كـــان عمر أول من ضرب شارب الخمر ثمانين جلدة ، وأول من حرم المتعة ، وأول من حمل الطعام من مصر إلى المدينة عـــام الـــرمادة ، وأول مـــن وقف الأوقاف فى الإسلام ، وأعال فى المواريـــث ، وأول من أخذ زكاة الخيل ، وأول من استقضى القضاة فى الأمصار ، وأول من مصَّر الأمصار ، وأول من نور المساجد ، واتخذ دار الدقيق فجعل فيها ما يحتاج إليه المسلمون من الدقيق ، والتمر ، والزبيـــب ، وأنشـــا فيما بين مكة والمدينة مثل هذه الدور ، لمساعدة من تـــنقطع بـــه السبل ، فيجد فيها المؤنة ، وعمر هو الذى أخرج اليهود من

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥٨/٣ ، ٥٩ ، العقاد : عبقرية عمر ص ١٥٠.

الحجـــاز إلى الشام ، وأخرج أهل نجران إلى الكوفة، وهو الذى أخر مقام إبراهـــيم إلـــى موضعه ، بعد أن كان لصيقاً بالكعبة، وهو أول من وسع المسجد النبوى ، وفرش أرضه بالحصباء[١].

فكل هذه الأعمال التى قام بها الفاروق تنوء الجبال عن حملها، ويعجـــز ذوو القـــوة عـــن القيام بها ، فهى مفخرة من مفاخر عمر ، ومنقبة من مناقبه ، التى لا تحصى ، تجد فيها ما هو سياسى، وما هو دينى ، وما هو اجتماعى ، أى أنها حققت للمسلمين إضافات فى شتى المجالات ، وخففت عنهم أعباء ، وسهلت لهم وسائل العيش الكريم ، وهو يقوم بذلك لا يسألهم مالاً ، ولا أجراً ، بل لســـان حاله يقول : ﴿ إنْ أَجْرِيَ إلا عَلَى اللَّه ﴾[٢].

ثامناً : الفتوح فى عهدى أبى بكر وعمر :

مـــا إن انتهت حروب الردة فى عهد أبى بكر ، وتحققت وحدة الدولـــة الإســـلامية مرة أخرى ، حتى ، بدأ المسلمون يستعدون لدفع خطـــر الفـــرس والروم ، والجهاد فى سبيل نشر الإسلام ، وقد كان الفرس والروم يقفان موقفاً معادياً من الإسلام من بدء دعوته[٣] فإليك لمحة عن هذا :

أولاً : الروم :

حدثـــت عـــدة مواجهـــات بين الروم وبين المسلمين على عهد الرســـول ﷺ ، فـــى مؤتـــة ، ثم فى تبوك ، ومع الجيش الذى أعده

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٩ ، ١٦٠.
(٢) من الآية ٧٢ سورة يونس .
(٣) الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٢ .

الرسول ﷺ بقيادة أسامة بن زيد ، إلا أنه لم يذهب للمواجهة ، إلا فى عهد الصديق [١].

وكـــان حكـــام الروم هم سبب هذه المعارك ، لأنهم سخروا من دعـــوة الرسول ﷺ ، واعتدوا على رسله ، وقتلوا أصحابه ، ووقفوا ســداً منيعاً بين شعوبهم وبين الإسلام ، مصرين ألا تبلغ الدعوة آذان الجماهير المستعبدة [٢].

ثانياً : الفرس :

لم يكن الفرس أقل تعصباً من الروم وفى رد كسرى ملك فارس علـــى كـــتاب الرسول ﷺ ، حينما أرسل إليه يدعوه إلى الإسلام، ما يعطينا أبلغ دليل على غطرسة الفرس ، واستبدادهم ، إذ مزق كسرى كـــتاب الرســـول ﷺ ، ليس هذا فحسب ، بل وأرسل إلى عامله على اليمـــن (بـــاذان) يأمـــره أن يرسل من رجاله من يأتيه بذلك الرجل البدوى ، الذى تجرأ على مكاتبته ، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : مـــزق الله ملكه ، وقد استجاب الله دعوة نبيه ، فتمزق الملك وملكه ، إذ سلط الله على كسرى ابنه شيرويه ، فقتله، وتبوء عرشه [٣].

وبعد أن انتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، واختار المسلمون أبـــا بكر ، قام الفرس والروم بمد يد المساعدة إلى المرتدين ، ولكن المســـلمين قضـــوا على هذه الحركة ، وأصبح عليهم أن يدافعوا عن أنفســـهم ، ودينهم ، ودولتهم ، فكان ما كان من صراع ومعارك ضد

---

(١) ابن هشام : السيرة ٣٧٧/٤ .

(٢) ابن كثير : البداية ٢٥٧/٤ – ٢٦٣ ،الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٣.

(٣) ابن كثير : البداية ٢٥٧/٤ – ٢٦٣ ، الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٣،١٢٤.

امبراطوريتى الفرس والروم[١].

ويحاول المستشرقون الطعن فى هذه الفتوحات ، والقول: بأنها كانت اعتداءاً من المسلمين على الفرس والروم ، وأن المسلمين قاموا بنشـــر الإسلام بحد السيف ، وأرغموا شعوب تلك البلاد على اعتناق الإسلام كرها ، وليس طواعية ، وأنهم قاموا بتلك الفتوحات من أجل الحصول على المغانم الاقتصادية ، وسلب خيرات تلك الشعوب ، هذه هى شبهاتهم ، فما هى بالفعل أسباب هذه الفتوحات؟

أسباب الفتوحات الإسلامية :

كان هناك غير سبب لهذه الفتوحات منها ما يلى :

١- تهيئة الجو المناسب لإبلاغ الدعوة :

لم يكن الهدف من هذه الفتوحات العدوان أو الحروب ، بل كان الهدف الرئيسى منها هو التصدى للقوى المستبدة الطاغية ، التى تقف حـــائلاً دون انتشار الإسلام ، وإتاحة الفرصة أمام المسلمين ليقوموا بواجـــب الدعـــوة إلى الله ، ونشر الإسلام ، وتبليغ الرسالة إلى الأمم المجـــاورة ، دون إكـــراه أحـــد على اعتناقها ، وكسر شوكة الحكام المتكبرين ، الذين يقفون حائلاً فى سبيل تبليغ هذه الدعوة [٢] ، خاصة أنه لم تكن هناك وسائل حديثة لتبليغ الدعوة ، اللهم إلا وصول الدعاة أنفسهم إلى تللك البلاد ، ولا يتم ذلك إلا بتوفير الأمن والحماية لهم ، ثم بعد ذلك يترك الخيار للشعوب لتختار ما تراه حقاً .

---

(١) الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٤

(٢) الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٤

٢- تحقيق وعد الرسول بفتح هذه البلاد :

فقـد كان الرسول ﷺ يخبر أصحابه بفتح فارس والروم ، حيث قـال : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فوالذى نفسى بيده ، لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله تعالى ، لذلك قـام الصـحابة بعد وفاة الرسول ﷺ يفتحون بلاد الله ، لينشروا فيها دينه، وليقوموا بالأمانة التى حملهم الله إياها [١].

وهـذه بعض الأضواء السريعة التى نلقيها على أبرز المعارك والفتوحات التى تمت فى عصرى أبى بكر وعمر .

١- ضم العراق وفارس :

كـان العـرب يرون بلاد فارس أصعب منالاً من بلاد الروم ، ومـن ثـم كانوا يتهيبون غزوها ، وقد جرت المناوشات الأولى بين المسـلمين والفـرس على يد المثنى بن حارثة الشيبانى ، وقد حقق بعـض الانتصارات ، ثم أمده أبو بكر بجيش كبير ، على رأسه خالد بـن الولـيد ، فـى المحرم سنة ١٢هـ ، لغزو الحيرة ، التى تقع فى الجنوب الغربى من العراق ، والتقى المسلمون مع الفرس فى معارك متتالية ، بقيادة خالد بن الوليد ، تحقق لهم النصر فيها ، برغم التفاوت الكبـير فـى العدد بين جيوش الفرس وجيوش المسلمين ، ومن هذه المواقـع ذات السلاسـل فى صفر سنة ١٢ هـ ، والمذار ، والولجة ، وتكللـت هذه الانتصارات بفتح الحيرة عاصمة العراق العربى ، فى ربيع الأول سنة ١٢ هـ ، والأنبار ، وعين التمر ، ودومة الجندل [٢].

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/١٥٠ ، ١٥١، الخطيب: دراسات تحليلية ص ١٢٥.

(٢) الذهبى : السير ٢/٥٠٤، ٥٠٥ ، الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٣٦ ، ١٢٧.

وحينما كان خالد بن الوليد يحقق هذه الانتصارات على الجبهة الفارسية ، وصله الأمر من الخليفة أبى بكر ، بالتوجه إلى بلاد الشام، والجبهة الرومية ، لأن سير المعارك كان يتطلب وجوده ، لخبرته ، وكفأته العسكرية ، فترك خالد بن الوليد للمثنى بن حارثة الشيبانى مهمة المحافظة على ما تم فتحه ، إلا أنه لم يقو على الوقوف فى وجه الفرس ، فاضطر إلى التقهقر أمام الجيش الفارسى ، الذى جاء لطرده من الحيرة ، واكتفى المثنى بمناوشته إلى حين وصول الإمدادات إليه ، التى لم تات إلا بعد استخلاف عمر بن الخطاب ، حيث شُغل المسلمون بالجبهة الرومية [١].

معركة الجسر والبويب :

بدأت المعارك مرة أخرى ضد الفرس فى خلافة الفاروق ، وكانت أولى المعارك هى الجسر ، الذى منى فيها المسلمون بالهزيمة، لاستبداد قائدهم أبى عبيدة الثقفى برأيه ، وعبورهم الفرات، على الرغم من تحذير القادة من ذلك ، ولم يلبث المسلمون أن تأروا لهزيمتهم فى معركة البويب ، بقيادة المثنى بن حارثة ، ونالوا من الفرس ، واسترد المسلمون ما فقدوه قبل ذلك .

معركة القادسية وفتح المدائن :

كانت القادسية من أبرز المعارك التى حشد فيها الفرس كل قوتهم ، تحت قيادة رستم ، بينما كان المسلمون تحت قيادة سعد بن أبى وقاص ، وحقق المسلمون فيها انتصاراً باهراً ، ومزقوا جيش الفرس ، وقتل رستم ، ثم دخل المسلمون المدائن عاصمة الفرس ،

---

(١) الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٧.

ودخل سعد إيوان كسرى [١] ، وهـو يتلـو قوله تعالى : ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ، كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ** ﴾ [٢].

ثـم كانت معركة جولاء سنة ١٦ هـ ، وانتصر فيها المسلمون، وفـر يزدجـر إلـى الرى ، وكان قائد المعركة القعقاع بن عمرو ، وبذلك دانت كل أراضى السواد للمسلمين [٣].

معركة نهاوند أو فتح الفتوح :

لـم يستطع يزدجر جمع جنوده ،ولقاء المسلمين إلا سنة٢١هـ ، حيث حشد كل قواته ، التى بلغت مائة وخمسين ألفاً ، وتولى قيادتها الفيرزان ، الذى تقدم بقواته نحو نهاوند ، بينما وصلت إمدادات عمر بن الخطاب للعراق ، وتولى قيادة المسلمين النعمان[٤] بن مقرن ، ولم يكن جيش المسلمين يزيد على ثلاثين ألفاً، ولكن الله حقق لهم النصر، واستشـهد القـائد النعمان ، فخلفه القعقاع بن عمرو ، وعرفت هذه المعركة بفتح الفتوح ، لأهميتها ، ولكونها معركة فاصلة فى الحرب مع الفرس ، حيث انطلق المسلمون على إثرها ، وسيطروا على كل بلاد الفرس ، بينما فر يزدجر إلى خراسان ، ولم يتمكن من استرداد ملكه حتى قتل فى خلافة عثمان بن عفان [٥].

---

(١) الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) الآيات ٢٥ – ٢٨ سورة الدخان .

(٣) الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٨.

(٤) الـنعمان ، بـن مقرن ، بن عائذ ، المزنى ، صاحب رسول الله ﷺ ، حمل لـواء قومه يوم فتح مكة ، وكان أميراً على الجيوش التى خاضت نهاوند ، ففتح الله علـى يديه البلاد ، ومكن للمسلمين ، ونال الشهادة فى المعركة، سنة ٢١هـ ، ابن كثير : البداية ١١٤/٧ ، الذهبى : السير ٢٧/٤.

(٥) الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٨ ، ١٢٩.

٢- فتح بلاد الشام :

معركة اليرموك :

وجه أبو بكر الصديق أربعة جيوش لفتح بلاد الشام ، بقيادة أبى عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد [١] بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، ولما وصلت أنباء هذه الجيوش لهرقل وهو بالقدس ، أرسل جيوشه لمقابلتها[٢].

شعر قادة المسلمين بخطورة تفرقهم ، وتكاتبوا فيما بينهم ، واتفقوا على الاجتماع فى اليرموك ، ولما بلغ ذلك هرقل جمع قواته ، ولم يحقق المسلمون الانتصار ، فاستنجدوا بأبى بكر ، الذى أنجدهم بخالد بن الوليد ، الذى وحد القيادة ، وبلغ عدد المسلمين أربعين ألفاً ، بينما بلغ عدد الروم مائتى ألف جندى ، ودار القتال فى جمادى الأخرى سنة ١٢هـ ، وانتصر المسلمون ، وقتل من الروم مائة ألف ، وتركت اليرموك أثراً كبيراً فى نفوس الروم ، الذين ضعفت قواهم بعد ذلك ، فلم يثبتوا للمسلمين فى قتال ، وتوالت هزائمهم [٣].

فتح دمشق :

بعد معركة اليرموك توغل المسلمون فى بلاد الشام شمالاً

---

(١) يزيد ، بن أبى سفيان ، بن حرب ، الأموى ، القرشى ، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً ، وأعطاه الرسول ﷺ من غنائمها ، واستعمله الصديق على أحد جيوش فتح الشام ، وأوصاه وهو يمشى معه ، ولما فتحت دمشق أمّره عمر عليها ، وكان يزيد من العقلاء ، الألباء ، الشجعان ، توفى فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ ، ابن كثير : البداية ٧/٩٠ ، الذهبى: السير ٣/٢٠٥ ، ٢٠٦.

(٢) الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٢٩.

(٣) الذهبى: السير ٢/٥٠٦ ، ٥٠٧ . الخطيب :دراسات تحليلية ص ١٣٠.

وجنوباً ، وحاصروا دمشق ، واستولوا عليها في رجب سنة ١٤هـ ، كما فتحوا حمص ، وانطاكية ، وحلب ، حتى وصلوا إلى جبال طوروس ، وودع هرقل بلاد الشام الوداع الأخير ، واتجه نحو القسطنطينية ، بينما اتجه عمرو بن العاص نحو جنوب فلسطين ، واستولى عليها في معركة أجنادين[1].

فتح بيت المقدس

اتجه المسلمون بعد ذلك عنايتهم لفتح بيت المقدس ، التي كانت محصنة تحصيناً قوياً ، وبها حامية كبيرة تحت قيادة الأرطبون ، وعندما طال الحصار ، غادرها القائد الرومي ، وفر إلى مصر ، وتولى بطريق المدينة الدفاع عنها ، واستمر حصار المسلمين لها أربعة أشهر ، حتى كاد أهلها يموتون جوعاً ، فرأى البطريق التسليم ، ولكن لخليفة المسلمين نفسه ، فسار إليها الفاروق، وتسلمها ، وأمن أهلها على حرياتهم الدينية ، وأصبحت بلاد الشام كلها خاضعة للدولة الإسلامية[2].

فتح مصر

بعد أن فتح المسلمون الشام وفلسطين ، أشار عمرو بن العاص على الخليفة عمر بن الخطاب بضرورة فتح مصر ، لتأمين الوجود الإسلامى فى بلاد الشام ، لأن وجود الروم فى مصر يشكل خطراً على المسلمين فى بلاد الشام ، ومازال عمرو بن العاص يهون على الخليفة أمر مصر ، حتى أذن له بغزوها ، فسار إليها عمرو بن

---

(١) الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٣٠ ، ١٣١.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٤٩٩/٢ – ٥٠٢ ، الذهبي : السير ٥٤٦/٢ ، ٥٤٧.

العـــاص فى أواخر السنة الثامنة عشرة للهجرة من فلسطين ، محاذيا شاطئ البحر المتوسط ، حتى وصل إلى العريش وفتحها ، ومنها إلى الفــرما ، وهـــى مفتاح مصر فى الشرق ، فتغلب على حاميتها ، ثم واصـــل زحفـــه إلى بلبيس ، فحاصرها شهراً ، واستولى عليها ، ثم اســـتأنف مسيره إلى عين شمس ، ومنها وصل إلى حصن بابليون ، الـــذى انـــتهى أمره بالتسليم للمسلمين بعد اقتحام أسواره ، ثم زحف عمـــرو إلـــى الإسكندرية ، وهى عاصمة مصر آنذاك ، فترك قوات لحصـــارها ، بينما واصل هو فتوحاته فى الدلتا، حتى تم عقد الصلح مـــع البيزنطييـــن المحصـــورين فى الإسكندرية سنة ٢١ هـ ، وبهذا الصـــلح تـــم ضم مصر إلى الدولة الإسلامية ، وانتزاعها من أيدى البيزنطيين ، واتخذ المسلمون منها جنداً ، كما أخبر الرسول ﷺ لأنهم خير أجناد الأرض [١].

تاسعاً : تمصير الأمصار :

فـــى عهـــد عمر كثرت الفتوح ، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وبعـــدت علـــى المسلمين الشقة ، واحتاج الجند إلى أماكن يستريحون فيها من عناء السفر ، حتى يلقوا عدوهم والسفر لم ينتقص قوتهم ، فكان لابد من منازل يشتون فيها ، إذا شتوا ، ويأوون إليها إذا رجعوا من غزوهم ، ومن ثم وجدت الدواعى لبناء المدن ، وتمصير الأمصار [٢].

١- البصرة :

هـــى أقدم المدن الإسلامية ، وتقع عند ملتقى دجلة والفرات ،

---

(١) الذهبى : السير ٥٥٣/٢ ، ٥٥٤ ، الخطيب : دراسات تحليلية ص ١٣١ ، ١٣٢.

(٢) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص ٢٣٣ .

وهــو ما يعرف بشط العرب ، وموقعها قريب من الماء ، والمرعى فى طرف البر إلى الريف ، وكان السبب فى نزول المسلمين بها أن سويد بن قطبة الذهلى كان يغير على العجم من ناحية البصرة ، قبل أن ينزلها المسلمون ، ولما بلغ عمر خبر ذلك ، رأى أن يوليها رجلا مــن قبله ، وأن ينزلها المسلمون ، ليحولوا بين أهل فارس ، وإمداد إخوانهم من أهل المدائن ، فولاها عتبة بن غزوان ، وعهد إليه بتلك المهمــة ، فــنزلها فى خمسمائة رجل فى ربيع الأول سنة ١٤هـ ، ثم اســتأذن عتبة [١] بن غزوان عمر بن الخطاب فى تمضيرها ، فأذن له [٢] ، فبــنى بها المسجد ، ثم دار الإمارة ، واختط للناس منازلهم من القصب ، ولمــا مات عتبة خلفه عليها أبا موسى الأشعري ، الذى استأذن عمر فى البناء باللبن ، فأذن له ، لاحتراق دورهم من القصب [٢] .

٢- الكوفة :

بعد أن فتح الله على المسلمين ما فتح من العراق ، كانت رسلهم ترد على عمر ، فيرى فى وجوههم وألوانهم تغيرا ، فسألهم عن سر ذلك ، فقالوا : وخومة البلاد ، فكتب إلى سعد أن العرب لا يوافقهــا إلا مــا وافــق إبلهــا من البلدان ، فابعث سلمان [٣] ،

---

(١) عتبة بن غزوان بن جابر [illegible] حليف بنى عبد شمس ، كان من السابقين [illegible] ثم شهد بدرا والمشاهد مع الرسول ﷺ ، وكــان أحــد الرماة ، وأمراء القواد ، وهو الذى اختط البصرة ، توفى سنة ١٧هـ عن سبع وخمسين سنة . الذهبى : السير [illegible]

(٢) ابن الأثير : الكامل [illegible] ، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة [illegible] ٢٣٣ [illegible]

(٣) سلمان الفارسى [illegible] سابق الفرس إلى الإسلام [illegible] من بلاد فارس [illegible] الذهبى [illegible] ص ٢٦٦ - ٢٦٩ .

وحذيفـــة[1]، فيرتادا منزلاً برياً ، بحرياً ، ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر، ففعلا ، ووقع اختيارهما على الكوفة ، فانتقل سعد بن أبى وقـــاص بجـــنوده إلـــيها ، وذلك فى المحرم ١٧ هـ ، ثم بدأ سعد فى تمصيرها ، وبناء مسجدها ، ودور الإمارة فيها بالقصب ، كما حدث فى البصرة ، ولما احترقت دورها هى والكوفة ، بنيت بيوتها باللبن ، وعـــاد للمســـلمين بعد نزولهم فيها طبيعتهم ، وألوان بشرتهم ، التى فقدوها قبل ذلك[2].

٢- الفسطاط :

هى أول مدينة اختطها المسلمون فى مصر بعد الفتح الإسلامى ســـنة ٢١ هـ ، وهـــى تقع فى المنطقة التى فيها جامع عمرو بمصر القديمـــة ، وكـــان مكانهـــا معسكر جيش المسلمين ، حينما حاصروا حصـــن بابلـــيون ، ولما فتح عمرو بن العاص هذا الحصن، وأجمع المســـير إلى الإسكندرية لفتحها ، أمر بنزع فسطاطه ، فإذا فيه يمامة قد باضت ، فقال : لقد تحزمت بجوارنا ، أقروا الفسطاس حتى يفقس

=فى يثرب ، فرحل إليها ، فاسترقه العرب ، وظل فيها حتى هاجر الرسول ﷺ ، فأسلم بين يديه ، وظل فى رقه ، ولم يتحرر منه إلا قبل الخندق ، فشهدها مع الرسول ﷺ ، وظـــل رفـــيقاً له ، وخادماً ، وكان لبيباً ، حازماً من عقلاء الرجال ، وعبادهم ، توفى سنة ٣٦هـ ، الذهبى : السير ٣/٣١٧ - ٣٥٠ .

(1) حذيفـــة ، بـــن الـــيمان بن جابر ، العبسى ، اليمانى ، أسلم هو وأبيه فى المديـــنة ، وقُـــتل أبوه خطأً فى أحد ، وكان علم المنافقين ، أسر الرسول ﷺ إليه بأسمائهم ، وتولى حذيفة المدائن فى خلافة عمر ، وظل عليها حتى قتل عثمان ، وتوفى حذيفة بها سنة ٣٦ هـ ، الذهبى : السير ٣٠/٤ - ٣٥ .

(2) ابـــن الأثـــير: الكامل ٥٢٧/٢ - ٥٢٩، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص ٢٣٦ - ٢٣٩ .

وتطـــير أفراخها ، ثم مضى إلى الإسكندرية ، ولما فتحها ، كتب إلى الفاروق يستأذنه ، فى اتخاذها عاصمة لمصر ، فسأله عمر هل يحول بيـــنى وبين المسلمين ماء ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، إذا جرى النـــيل ،فكتب الفاروق إلى عمرو، لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً، يحـــول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف ، متى أردت أن أركب إلـــيكم راحلـــتى حتى أقدم عليكم ، قدمت ، فترك عمرو بن العاص الإسكندرية ، وعاد إلى موضع فسطاطة ، فسميت البقعة بالفسطاط ، ثـــم أوكـــل عمـــرو من خطط المدينة ، وفصل بين القبائل ، وجعل المسجد ودار الإمارة فى وسطها وحولهما الدور [١].

مقتل عمر بن الخطاب :

عشـــر سنوات قضاها الفاروق فى القيام بمهمة المسلمين خير قيام ، أسس فيها لبنيان شامخ ، وأكمل ما بدأه الرسول ﷺ ، وصاحبه أبـــا بكـــر ، عشر سنوات من العمل المتصل ، ليله بنهاره ، ما بين أفـــراح للأمة ، وأتراح لـــه ، لم يفرط فيها الفاروق عن أداء شعائر الحـــج والعمـــرة ، حتى كانت حجته الأخيرة فى عام ٢٣ هـ ، حيث اصـــطحب معـــه وللمرة الأخيرة أمهات المؤمنين ، وكأنه يودع بهن ومعهن بيت الله الحرام [٢].

أفاض الفاروق من منى ، وأناخ راحلته بالأبطح ، فألقى ثوبه، ثـــم استلقى عليه ، ورفع يديه إلى السماء وقال : " **اللهم كبرت سنى وضـــعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا**

---

(١) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص ٢٤٠ – ٢٤١.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٨٣، ٢٨٤ .

مفـــرط"(١) ، ثم عاد عمر إلى المدينة ، فخطب فى المسلمين خطبة جامعة مانعة، فوصليهم فيها، حيث قال: "أيها الناس، قد فرضت لكم الفرائض، وسننت لكم السنن، وتركتكم على الواضحة، ثم صفق بيمينه على شماله، إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً، ثم إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، وأن يقول قائل: لا نجد حدين فى كتاب الله، فقد رأيت رسول الله ﷺ رجم، ورجمنا بعده، فوالله لولا أن يقول الناس: أحدث عمر فى كتاب الله لكتبتها فى المصحف، فقد قرأناها: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"(٢)، وكأنى بعمر - رضى الله عنه - يوصى بهذا أو بذاك ليلقى نفسه أمام الله من أى شىء قـد يكـون فى عنقه تجاه أمته حتى يكون قد بلغهم، أو وعظهم، حتى آخر حياته.

وكان عمر طيلة حياته يتمنى الشهادة ويسعى لها ، ولكنه لم ينلها حتى حج حجته تلك ، وعاد فكان يكثر الدعاء لينالها ، فيقول: " **اللهم ارزقـنى قـتلا فــى سبيلك ، ووفاة فى بلد نبيك** " فتقول لــه أم المؤمنين حفصــة: وأنى ذلك ؟ فيقول : إن الله يأتى بأمره أنى شاء(٣)، وكان الفاروق كـان يستشرف الأحداث ، حيث رأى رؤيا قصها على المسلمين قائلا : " **إنى رأيت كأن ديكا نقرنى ، ولا أراه إلا حضور أجلى** " ، وقد فسر عمر بنفسه هذه الرؤية ، بأن الله يسوق له الشهادة ، ويقتله أعجمى(٤).

ولم يكن عمر وحده الذى يرى نعيه لنفسه(٢) ، بل رأى أبو موسى

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٣٤، ٢٣٥ .

(٣) ابن كثير : البداية ٧/ ١٣٠ ، ابن سعد : الطبقات ٣/ ٣٣١ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٣٣٥ .

الأشعرى بالبصرة ، كأنه سلك طريقاً ، أفضت به إلى طريق واحد ، إلـــى جبل فوقه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وإذا بالرسول ﷺ يومئ إلـــى عمـــر أن تعالى ، فقال أبو موسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات أمير المؤمنين عمر ، فقال له أنس بن مالك : ألا تكتب بذلك إلى عمر ؟ فقال : ما كنت لأنعى له نفسه[١].

وقـد شاعت إرادة الله تعالى أن ينال عمر الشهادة على يد أبو لؤلـؤة فـيروز المجوسى ، وفى المدينة المنورة ، وشاركه فى ذلك الأمر ثلاثة أشخاص هم : كعب الأحبار ، وجفينة ، والهرمزان ، فما قصة هؤلاء ؟ وكيف تآمروا فيما بينهم ، حتى نفذوا ما أرادوا؟ إليك لمحة عن كل واحد منهم .

١- **كعب الأحبار** : كان يهودياً من اليمن ، ورأى شأن الإسلام وعلوه على غيره من الأديان ، فأسلم ، وتظاهر بذلك ليكسب عزاً لم يكـن لـــه فـــى قومه ، واستغل معرفته بالتوراة ، فألقى منها على المسلمين ما يفسد عقائدهم ، لأنها بالعبرية وهم لا يعلمونها ، وقد نال الـرجل بيـن المسـلمين مركـزاً كبيراً ، إذ كان البعض يصدق ما يقولـه[٢]، وقد تَوطأ كعب الأحبار مع قاتل عمر، ومهد لذلك الأمر ، بإخـباره عمر بأنه ميت بعد ثلاث ، وطلب منه أن يعهد ، ولما سأله عمر كيف علم بذلك ، قال كعب الأحبار : أجده فى التوراة ، فقال له عمر : هل تجدنى باسمى ؟ قال : لا ، بل صفتك ، وحليتك [٣].

لا مراء فى أن كعب الأحبار بقوله هذا لعمر كان على علم بما

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٣٣٢.

(٢) عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٥٠.

دبـره أبـو لؤلـؤة المجوسـي لاغتيال عمر ؛ وأراد أن يمهد لتلك الجريمة، ولتزيد منزلته بعد ذلك عند المسلمين ، وينال الحظوة فيهم ، وتكون رواياته وحكاياته أكثر قبولاً [١].

٢ - **الهرمـزان** : أحد قواد الفرس الذين قاوموا الفتح الإسلامي ، سـقط أسـيراً ، وحمل إلى المدينة، وحاور عمر بن الخطاب ، وأراد الهرمـزان أن يحتـال لينال العفو من الفاروق ، فأبى عمر إلا أن يسلم ، فأسلم، وأقام بالمدينة ، ففرض له عمر عطاء ، وقال ابن كثير : إنه حسن إسلامه ، وكان لا يفارق عمر حتى طعن [٢].

٣ - **أبو لؤلؤة فيروز المجوسي** : كان من نهاوند ، وسقط في الأسـر عند فتحها ، وصار من نصيب المغيرة بن شعبة ، وأجاد أبو لؤلـؤة حـرفاً وصـنائع عـدة ، فتحدث بذلك المغيرة إلى عمر بن الخطاب، واستأذنه في أن يدخل المدينة ، لأن عمر كان لا يأذن لمن احتلم من السبي بدخول المدينة ، فلما ألح المغيرة بن شعبة في طلبه أذن لـه عمر ، وفرض المغيرة على غلامه مائة دينار في الشهر ، فاشـتكى فيروز من ثقلها عليه إلى عمر بن الخطاب ، فسأله الخليفة عن عملـه، فقال : نقاش ، حداد ، نجار ، فقال لـه : ما خراجك بكثير ، فانصرف ساخطا ، ثم لقيه عمر بعد ذلك فقال لـه : أخبرت أنـك تقول أصنع لكم رحى تطحن بالريح ، فالتفت فيروز إلى عمر عابسا ، وقال : لئن عشت لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها ، فلما انصرف ، قال عمر لأصحابه : توعدني العبد [٣].

---

(١) عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ص ٢٤٩

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ٨٢ ، ٨٣

(٣) ابن الأثير : الكامل ٣/٤٩ ، الذهبي : السير ٢/٥٢٦ ، ٥٢٧

وكــان أبــو لؤلؤة شديد الحقد على المسلمين ، وخليفهم عمر ، يقــول عــن عمــر : وسع عدله غيرى ، وكان إذا ما قدم سبى إلى المدينة ، قام إليهم أبو لؤلؤة ، ومسح على رؤسهم ، وقال لهم : أكل عمر كبدى ، وكان يتألم أشد الألم ، لوقوعه فى الأسر مرتين، الأولى فى يد الروم ، والثانية فى يد المسلمين [١].

٤- **جفيــنة** : كان من نصارى الحيرة ، وكان ظئراً لسعد بن أبى وقاص ، حيث أرضعت زوجة جفينة بعض ولد سعد ، فاستقدمه من الحيرة إلى المدينة ، ليعلم الصبيان الكتابة ، وظل على نصرانيته، وإن تظاهر بالإسلام ، وكان ممن تناجى مع الهرمزان ، وأبى لؤلؤة لــيلة قتل عمر ، ولما علاه عبيد الله بن عمر بالسيف لقتله بعد مقتل عمر صلّب[٢] جفينة مما يشير إلى انه ظل على نصرانيته .

هــؤلاء هــم أطراف المؤامرة ، التى أسفرت عن قتل عمر بن الخطــاب ، وأنــت ترى أن أحدهم يهودى متمسلم ، والثانى فارسى أسلــم كرها ، والثالث والمنفذ للجريمة من سبايا الفرس ، والرابع نصــرانى مــن الحيرة ، فالأربعة جمعتهم عداوتهم للإسلام ، والحقد علــيه ، والرغــبة الجارفة فى هز أركانه ، والنيل منه ، انتقاماً لما يظــنون ويعتقدون أنه نزل بهم منه ، وهم قد فشلوا فى مقاومته فى ميدان الوغى ، حيث انساح المسلمون كالطوفان الجارف إلى بلادهم، وســقطوا فى الأسر ، أو السبى ، فتظاهروا جميعاً باعتناق الإسلام ، وهــم يضمرون لــه ما يضمرون ، وهم فى المدينة عاصمة الدولة الإســلامية ، والخلــيفة لعدلــه يتحرك فيها كأحد الرعية ، من دون

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل ١٣٦/٤، السيوطى : تاريخ الخلفاء ١٥٦، ١٥٧.

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٣٥٥ ،٣٥٦ .

حراسة ، أو شك فى أحد ، فلماذا لا يقتلوه ، ويفجعوا المسلمين بذلك، ويشــفوا غلــيل صدورهم ، فتآمروا على ذلك ، واجتمعوا ليلة قتله يتــناجون بالإثم والعدوان ، حتى مر بهم عبد الرحمن بن أبى بكر ، واقــترب مــنهم ، فاضطربوا ، حتى سقط منهم خنجر لــه رأسان ، فســألهم عما يفعلوا به ، فقالوا ، نقطع به اللحم ، وبيتوا أمرهم على تنفيذ مهمتهم فجراً [١]. وقد كان.

تنفيذ المؤامرة :

خرج عمر لأداء صلاة الصبح يوم الأربعاء السادس والعشرين مــن ذى الحجة سنة ٢٣ هـ ، وبينما يقوم بتسوية الصفوف للصلاة ، انقــض عليه أبو لؤلؤة ، وطعنه بالخنجر عدة طعنات ، سسقط منها الفــاروق ، وهــم المصــلون بالقبض على القاتل ، ولكنه استمر فى الطعــن فــيهم حــتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات بعضهم وجرح آخــرون ، ولمــا أدرك أنه مأخوذ لا محالة ، طعن نفسه بالخنجر ، فمات من فوره ، وأمر عمر عبد الرحمن بن عوف بالصلاة ، فصلى بالمسلمين ، ثم حمل عمر إلى داخل داره ، وهو يغمى عليه، ثم يفيق لمــا ذكــروه بالصــلاة ، فصلى ، ثم سأل عمن قتله ، فقيل له : إنه فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، فقال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى علــى يــد رجل يدعى الإيمان ، ولم يسجد لله سجده ، ثم قال ، قبحه الله، لقد أمرنا به معروفاً [٢] حيث كان أرسل لسيده المغيرة بن شعبة، ليخفف عنه ما يدفعه من المال .

ثــم أمر الفاروق عبد الله بن عباس أن يخرج إلى المهاجرين

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٣٥٥ .
(٢) ابن كثير : البداية ١٣٠/٧

والأنصـــار فيســـألهم هل كان قتل الخليفة عن ملأ منهم ومعرفة به ؟ قـــالوا : لا والله لوددنا أن الله زاد فى عمرك من أعمارنا ، ثم دعى بالطبيب لعمر ، فجاء وساقاه لبناً فخرج من جرحه كما هو ، فقال له: أوصى يا أمير المؤمنين ، فوصى ابنه عبد الله بسداد دينه ، ثم أرسله للســيدة عائشـــة ليستأذنها فى أن يدفن بجوار صاحبيه ، فأذنت له ، فطلب منه أن يكرر استأذانها إذا ما حُمل ليدفن ، خوفاً أن تكون أذنت له حياءً منه (١).

إلحاح الصحابة على عمر فى استخلاف لاحقه :

عرض بعض الصحابة على عمر أن يستخلف ، فقال : لو كـــان أبـــو عبـــيدة حياً لاستخلفته ، فإن سألنى ربى عن ذلك قلت : ســـمعت نبـــيك يقـــول إنه أمين هذه الأمة ، ولو كان سالم مولى أبى حذيفـــة حياً لاستخلفته ، فإن سألنى ربى قلت سمعت نبيك يقول : إن ســـالماً شـــديد الحب لله ، فقال له : رجل : ألا أدلك عليه عبد الله بن عمر قال : قاتلك الله ، ما أردت بهذا وجه الله ، كيف أستخلف رجلاً عجـــز عـــن طلاق امرأته ، لا أرب لنا فى أموركم ، فما حمدتها ، لأرغـــب فيها لأحد من أهل بيتى ، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كـــان شـــراً فقد صُرف عنا ، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحـــد ويســـأل عن أمر أمة محمد ، ثم قال عمر : إن أستخلف فقد أستخلف من هو خير منى ، وأراد أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير منى، وأراد الرسول ﷺ ، ولما ألحوا عليه فى الاستخلاف ، أمـــرهم بـــأن يكون الأمر من بعده شورى بين هؤلاء الرهط ، الذين توفـــى رســـول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وهم : عثمان بن عفان ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣٨٨/٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨.

وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، واستبعد سعيد[١] بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو من المبشرين بالجنة ، لكونه من قبيلته، كما استبعد ابنه عبد[٢] الله منهم ، ووضع لهؤلاء الرهط ضوابط لاختيار أحدهم[٣] ، سوف نتحدث عنها فيما بعد .

وصايا عمر الأخيرة للأمة وللخليفة المنتظر :

مكث الفاروق ثلاثة أيام طريحاً بعد طعنه ، ولم يمنعه ذلك من أن يوصى للأمة وللخليفة القادم من بعده ، فوصيته للأمة وللوفود التى دخلت عليه كانت : " **أوصيكم بكتاب الله ، فإنكم لن تضلوا ما اتبعتموه ، وأوصيكم بالمهاجرين ، فإن الناس يكثرون ، ويقلون ، وأوصيكم بالأنصار ، فإنهم شعب الإسلام ، الذى لجأ إليه، وأوصيكم**

---

(١) سعيد ، بن زيد ، بن عمرو ، بن نفيل ، القرشى ، العدوى ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن السابقين الأولين ، البدريين ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وشهد حصار دمشق ، وفتحها ، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح ، توفى سنة ٥١هـ عن بضع وسبعين سنة ، ودفن بالمدينة ، الذهبى: السير ٣/٧٨ - ٩٠.

(٢) عبد الله ، بن عمر ، بن الخطاب ، القرشى ، العدوى ، أسلم قديماً مع أبيه ، ولم يبلغ الحلم، وهاجر وعمره عشر سنين ، واستصغره الرسول ﷺ يوم أحد ، وأجازه يوم الخندق للقتال ، فشهدها ، وشاهد ما بعدها مع الرسول ﷺ ، وشهد اليرموك ، والقادسية ، وجلولاء ، وفتح مصر ، وكان كريماً جواداً ، عالماً، يتتبع أخبار الرسول ﷺ ، وظل يعلم الناس ، ويفقههم ستين سنة كاملة ، ولم ينجرف للفتن التى وقعت بين المسلمين ، توفى سنة ٧٤ هـ ، عن ست وثمانين سنة ، ابن كثير البداية ٩/ ٥ - ٧ .

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣/٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٣ ، الطبرى : تاريخ الرسل ٤/٢٢٧، ٢٢٨، ابن كثير : البداية ٧/١٣٠، ابن الأثير: الكامل ٣/٦٥، ٦٦ ، الذهبى : السير ٢/٥٢٨ .

بالأعـراب فـإنهم أصلكم ومادتكم ،..... وإخوانكم وعدو عدوكم ، وأوصيكم بأهل الذمة ، فإنهم ذمة نبيكم "[١].

ثـم أوصى عمر من يخلفه قائلاً : " **أوصى الخليفة من بعدى بـتقوى الله ، والمهاجرين الأولين أن يحفظ لهم حقهم ، وأن يعرف لهـم حرمتهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم ردء الإسلام ، وغيظ العدو ، وجباة المال ، أن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم ، وأوصيه بالأنصار ، الذين تبوأ الدار والإيمان ، أن يقبل من محسـنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، وأن يؤخذ من حواشى أموالهم ، فيرد علـى فقـرائهم وأوصـيه بذمة الله ، وذمة رسوله ، أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن لا يكلفوا إلا طاقتهم ، وأن يقاتل من ورائهم "**[٢].

يـأبى عمـر وهـو يجود بنفسه إلا أن يبذل ما بقى من أنفاسه لخدمـة المسـلمين ، ورعايـة لهم ، بمجموعة من الوصايا للحاكم والمحكوم ، عبر فيها عن خلاصة تجاربه فى حكم الدولة ، وإدارتها، فلم يترك فئة إلا وأوصى بما يصلح حالها ، ويقوم على أمرها ، حتى أهـل الذمة الذين تآمر بعضهم على قتله ، يوصى بهم خيراً ، وفاءاً لعهد الله ورسوله .

وتـتابع الزائرون والوافدون على عمر ، وهو طريح الفراش ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٣٣٩ .

وكان منهم عبد الله [١] بن عباس الذى اشتكى له عمر وقال : والله لو أن لى ما فى الأرض من شىء لافتديت به من هول المطلع ، فقال ابن عباس : والله إنى لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله وإن منكم إلا واردها ، إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين ، وأمين المؤمنين، وسيد المؤمنين ، تقضى بكتاب ، وتقسم بالسوية، فقال : أتشهد لى يا ابن عباس ، قال : نعم ، أنا أشهد [٢].

ثم أوصى عمر بعتق كل رقيقة ، وأن يقر الخليفة القادم عماله سنة ، وإن لم تصب الخلافة سعد بن أبى وقاص فليعده الخليفة إلى ولاية الكوفة ، لأنه لم يعزله عن خيانة أو سخط ، وفاضت روحه إلى بارئها ، فجهز ، وصلى عليه صهيب [٣]، ثم دفن فى آخر يوم من ذى الحجة سنة

---

(١) عبد الله ، بن عباس ، بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، حبر الأمة ، ومفسر القرآن ، وترجمانه ، كان يقال له الحبر ، والبحر ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وحنكه الرسول ﷺ بريقه بعد مولده ، وتوفى الرسول ﷺ ، وهو قد بلغ الحلم ، دعا له الرسول ﷺ ، المولى أن يعلمه التأويل ، ويفقهه فى الدين ، كان مقرباً من الخلفاء ، أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، الذى ولاه على أمرة الحج فى السنة التى قتل فيها سنة ٣٥ هـ ، وحضر مع على الجمل ، وصفين ، وتولى البصرة له، ثم وفد على معاوية لما تولى الخلافة فأكرمه ، وتجنب ابن عباس الفتن بعد ذلك ، وكف بصره فى آخريات حياته ، وتوفى سنة ٦٨ هـ ، عن إحدى وسبعين سنة ، ابن كثير : البداية ٨/٢٨٠ – ٢٩٢.

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٣٥٢ .

(٣) صهيب ، بن سنان ، بن مالك ، الرومى ، كان فارسياً ، وأسرته الروم ، ثم اشتراه بنو كلب ، فحمل لمكة ، فابتاعه عبد الله بن جدعان ، واعتقه ، فأقام بمكة حتى بعث الرسول ﷺ فأمن به ، وكان من المستضعفين الذين يعذبون فى الله ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ ،وتوفى بالمدينة سنة ٣٨هـ ، عن نيف وسبعين سنة ، ابن كثير : البداية ٧/٣٠١ ، ٣٠٢ .

٢٣ هـ ، بجوار صاحبيه ، عن عمر ناهز الثلاث وستين سنة [١].

وقد جادت قرائح الصحابة بنعى عمر ، وذكر مآثره ، فقال عبد الله [٢] بن مسعود : "**إن عمر كان حصناً حصيناً للإسلام ، يدخلون فيه ، ولا يخرجون منه ، فلما مات انثلم الحصن** " ، وقال عنه حذيفة بن اليمان : " **كان الإسلام فى زمن عمر كالرجل المقبل، لا يزداد إلا قرباً ، فلما قتل عمر كان كالرجل المدبر ، لا يزداد إلا بعداً** "[٣] ، فرحمة الله عليك يا فاروق رحمة واسعة

عشر سنوات قضاها عمر أميراً للمؤمنين ، متجرداً لله تعالى، منكراً نفسه وأهله ، متوجها بكل عقله ، وقلبه ، وجوارحه ، لينهض بالعبء العظيم ، الذى ألقاه القدر على عاتقه ؛ فكان القائد الأعلى للجيش ، والفقيه الأكبر ، والقاضى النزيه العادل ، والأب البار الرحيم بالمسلمين ، والمؤمن الصادق الإيمان بالله ورسوله ، والسياسى المحنك ، الذى يعرف ما يريد ، والإدارى الحكيم ، الذى

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ .

(٢) عبد الله ، بن مسعود ، بن غافل ، بن هزيل ، المكى ، حليف بنى زهرة، الإمام الحبر ، فقيه الأمة ، أسلم قديماً على يد النبى ﷺ ، وهو أول من جهر بالقرآن فى أندية قريش ، وكان ملازما وخادماً للنبى ﷺ ، يحمل نعليه ، وسواكه ، هاجر إلى الحبشة ، ثم عاد لمكة ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً، وقتل أبا جهل ، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ، وكان أكثر الصحابة شبها ودلا برسول الله ﷺ ، وشهد المشاهد بعد الرسول ﷺ ، كاليرموك ، وقدم سنة ٣٢ حاجاً من العراق ، فمرض وتوفى سنة ٣٢ هـ ، عن بضع وستين سنة ، ابن كثير : البداية ١٥٣/٧ ، ١٥٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٣٧١/٣ ، ٣٧٣.

ســـاس أممـــا متباينة [1] ، وعصره يعد العصر الذهبى للإسلام ، فلم يحــدث أبداً فى التاريخ الإسلامى ، أن عهدين كمل ثانيهما أولهما ، كما حدث فى عهدى أبى بكر وعمر [2].

وبوفـــاة عمـــر رحمـــه الله ختم أروع فصل فى تاريخ الإسلام والمسلمين منذ وفاة النبى ﷺ ، إلى آخر الدهر ، فلم يعرف المسلمون وما أراهم سيعرفون فى يوم من الأيام خليفه يشبه عمر من قريب أو بعيد [3]، ولننتقل معاً لنطالع سيرة وتاريخ ثالث الخلفاء الراشدين .

---

(١) هيكل : الفاروق ٣٠٣/٢

(٢) ماجد : التاريخ السياسى ص ١٨٢ .

(٣) طه حسين : الشيخان ص ٢٢٧ .

الباب الثالث

خلافة ذى النورين عثمان ٢٣ – ٣٥هـ

الفصل الأول : عثمان من الميلاد حتى الخلافة .

الفصل الثانى : أهم الأعمال التى قام بهـــا عثمان فـى خلافتـه

الفصل الثالث : الفتنة فى عهد عثمان وأسبابها .

الفصل الرابع : موقف المدينة من الفتنة .

الفصل الأول

عثمان من الميلاد حتى الخلافة .

أولاً : نشأة عثمان وحياته :

اسمه :عثمان ، بن عفان ، بن أبى العاص ، بن أمية ، بن عبد شـــمس ، بن عبد مناف ، بن قصى ، وأمه أروى ، بنت كريز ، بن ربـــيعة ، بـــن حبيب ، بن عبد شمس ، بن عبد مناف ، بن قصى ، وجــده عــثمان لأمـــه البيضاء ، بنت عبد المطلب ، بن هاشم عمة الرســـول ﷺ ،وولـــد عــثمان فى السنة السادسة من عام الفيل ، فهو أصغر ميلاداً من الرسول ﷺ بست سنين [١] .

كنيته : كان عثمان يكنى فى الجاهلية بأبى عمرو ، ولما تزوج برقية بنت الرسول ﷺ أنجب منها عبد الله ، فتكنى به ، وتوفى ولده هذا وهو ابن ست سنين .

لقبه : تلقب عثمان بذى النورين ، لأنه تزوج ابنتى النبى محمد ﷺ ، رقية ، ثم أم كلثوم ، ولم يبن أحد قبله بابنتى نبى [٢]، وقال عنه النبى ﷺ : " **ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى ذا النورين** "[٣].

صفاته الخِلقية والخُلقية :

كـــان عثمان رجلاً ليس بالطويل ولا القصير ، حسن الوجه ، رقيق البشرة بوجهه أثر الجدرى ، كث اللحية ، أسمر اللون ، أصلع

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥٣/٣ ، ٥٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٧٥.

( ) ابن سعد : الطبقات ٥٣/٣ ، ٥٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٧٥ .

(٣) ابن حجر : الإصابة ٢٣٨/٢.

الــرأس عظيم الكراديس ، عظيم ما بين المنكبين ، كثير شعر اليدين يصــفر لحيــته ، ويشد أسنانه بالذهب ، ولم يكن هناك شيخاً أجمل مــنه[١]، ويــبدو مــن هذا الوصف أنه كان أقل جسامة من عمر ابن الخطاب ، وأقوى بنيه من أبى بكر الصديق .

وأمــا صفاته الخلقية ، فكان يغلب عليه الحياء ، حتى قال عنه الرســول ﷺ : " **أصــدق أمــتى حــياء عثمان** " والتزم الصدق فى الجاهلــية والإســلام ، وكان عفيفاً عن المحارم ، حتى إنه لم يشرب الخمــر ، لا فى جاهلية ، ولا إسلام ، ناهيك عن بعده عن الفواحش، ما ظهر منها وما بطن ، ومنذ أسلم لم تمس يمينه عورته ، كما كان كريماً ، سمحاً ، حتى إنه كان يعتق فى كل أسبوع رقبة ، فإن لم يجد أعــتقها بعد ذلك ، كما كان حليما مع خدمه لا يوقظهم بالليل لإعداد وضــوئه ، بل كان يقول : الليل لهم يستريحون فيه ، وبالجملة كان شخصية هادئة ، وديعة ، سمحة [٢].

عمله : عمل عثمان بالتجارة فى الجاهلية والإسلام ، وأفاء الله علــيه من الرزق ، فكان ذا ثروة كبيرة ، فكان يقرض المحتاجين ، ويشــارك غــيره بــرأس ماله مضاربة ، كما خرج للتجارة فى بلاد الشام، وسخر بعد إسلامه كل ثروته للإسلام ، حتى نال الثناء الأوفى من النبى ﷺ [٣].

---

(١) ابن عبد البر : الإستيعاب ١/٣٢٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ٣/١٨٤ ، ١٨٥.
(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٦٠ ، الذهبى : السير ٢/٥٦٧.
(٣) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٥٥ . ٦٠.

إسلامه وصحبته للنبى ﷺ :

كـــان عـــثمان بن عفان من السابقين الأولين إلى الإسلام ، حيث أســـلم قديماً على يد أبى بكر ، وقبل أن يدخل النبى ﷺ دار الأرقم ، ويـــروى هو قصة إسلامه فيقول : كنا ببلاد الشام فى تجارة، وبينما نحن كالنيام بين معان والزرقاء ، سمعنا منادياً ينادى أيها النيام هبوا فـــإن أحمـــداً قـــد خرج بمكة ، ولما عادوا سمعوا بدعوة النبى ﷺ، ودعاهم أبو بكر لذلك ، فخرج عثمان ، وطلحة بن عبيد الله فى إثر الزبير بن العوام ، فدخلوا على النبى ﷺ ، فعرض عليهم الإسلام ، وقـــرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحقوق الإسلام ، ووعدهم الكرامة من الله ، فآمنوا وصدقوا[١].

وهـــناك رواية أخرى لإ سلام عثمان ، رواها ابن كثير ، جاء فـــيها أن عثمان لما بلغه أن النبى ﷺ زوج ابنته رقية ، وكانت ذات جمال ، من ابن عمها عتبة بن أبى لهب ، تأسف لفوات زواجه بها، فدخـــل عـــثمان علـــى أهله مهموماً ، فوجد خالته سعدى بنت كريز عـــندهم ، وكانت كاهنة ، فقالت له : أبشر بالزواج من ذات الجمال والحســـب ، فتعجـــب عـــثمان من أمرها ، حيث بشرته بالمرأة التى تزوجـــت غيره ، فقال لها : ما تقولين يا خالة ، قالت : يا عثمان لك الجمال ، ولك اللسان ، هذا النبى معه البرهان ، أرسله بحقه الديان ، وجاءه التنزيل والفرقان ، فاتبعه ، لا تغتالك الأوثان ، فقال لها: إنك لتزكرين أمراً ما وقع ببلدنا ، فقالت : محمد بن عبد الله ، رسول من

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٥٥ .

عند الله ، فانطلق عثمان مفكراً حتى لقيه أبو بكر ، فقال له : ويحك يـا عثمان ، إنك لرجل حازم ، ما يخفى عليك الحق من الباطل ، ما هذه الأصنام التى يعبدها قومنا ؟ أليست من حجارة صم ؟ ، لا تسمع، ولا تبصر ، لقد صدقتك خالتك، فهذا رسول الله ، فهل لك أن تأتيه ، فذهبا ، فدعاه الرسول، فبادر للإسلام ، ثم ما لبث أن تزوج رقية [١].

عانىعثمان رضى الله عنه كما عانى غيره من المسلمين من اضطهاد قريش ، وتعذيبهم والتنكيل بهم ، فكان الحكم بن العاص عم عـثمان يأخذه ، ويوثقه ، ويقول له : أترغب عن ملة آبائك إلى دين محـدث ؟ والله لا أحلك أبداً ، حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين ، فيرد عليه عثمان ، وهو واثق بدينه ، ومن نصر الله للمسلمين ، والله لا أدعه أبداً ، ولا أفارقه ، ولما رأى الحكم صلابة عثمان فى دينه ، وشدة تمسكه به ، استيأس منه ، وتركه لحال سبيله[٢] .

وكـان عثمان رضى الله عنه من أصحاب الهجرتين ، فقد هاجر بـزوجه رقـية بنت النبى ﷺ إلى الحبشة ، فراراً بدينه ، ولكى يعبد الله حـق العبادة ، ثم هاجر إلى المدينة ، ونزل على أوس بن ثابت ، وآخى رسـول الله ﷺ بيـنهما ، ولما خرج الرسول ﷺ إلى غزوة بدر ، خلف عـثمان على ابنته رقية ، وكانت مريضة ، فماتت رضى الله عنها يوم قـدم زيد بن ثابت إلى المدينة بالبشرى بالنصر ، وضرب الرسول ﷺ لعثمان بسهمه وأجره فى بدر ، فكان كمن شهدها [٣].

---

(١) ابن كثير : البداية ١٨٨/٧ ، ١٨٩.

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٥٥ ، الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٤١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٥٥ ، ٥٦ .

وظـل رفـيقاً للرســول ﷺ فشــهد معــه أحد ، والخندق ، والحديبــية، وكــان سفيراً للرسول ﷺ عند أهل مكة ، ولما أشيع أنه قـتل، بــايع المسلمون النبى ﷺ على القتال ، وضرب النبى ﷺ بيده اليســرى على اليمنى وقال : هذه يد عثمان أبايعه بها ، فكانت خيراً مــن يد عثمان ، كما زوجه الرسول ﷺ ابنته الثانية أم كلثوم ، ولما توفيت قال : لو كان عندى ثالثة لزوجته ، وما زوجته إلا بوحى من السماء ،كما استخلفه النبى ﷺ على المدينة فى غزوة ذات الرقاع [١].

ومــن مآثــر عثمان رضى الله عنه تجهيزه لجيش العسرة فى غزوة تبوك ، حيث حمل ألف دينار ، ووضعها بين يدى الرسول ﷺ، ومعهــا الذهــب ، والإبل ، والخيول ، حتى قال الرسول ﷺ:ما ضر عــثمان مــا عمل بعد اليوم ، ومن مناقبه شرائه رضى الله عنه لبئر رومة ، إذ كان المهاجرون لما قدموا المدينة استنكروا ماءها ، وكانت هناك بئراً ذات مياه عذبه ، يبيع صاحبها الماء ، فقال له الرسول ﷺ: تبـيعها بعيــن فــى الجــنة ، فقال : ليس لى يا رسول الله غيرها ، واعتذر، فبلغ عثمان ذلك ، فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم جــاء إلى النبى ﷺ وقال له : أتجعل لى مثل الذى جعلت له عيناً فى الجنة إن اشتريتها، قال لــه النبى ﷺ:نعم فاشتراها عثمان ، وجعلها صدقة للمسلمين [٢].

---

(١) ابــن ســعد :الطــبقات ٣/ ٥٦ ، ٥٧، الذهبى : السير ٥٦٨/٢، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٨٠ ، ابن كثير : البداية ١٨٨/٧.

(٢) الذهبى : السير ٥٦٧/٢ ، ٥٦٩ ، ابن حجر: الإصابة ٢٣٩/٢.

ونـــال عثمان رضى الله عنه من حب النبى ﷺ الشيء الكثير، فقد قال ﷺ : " **لكل نبى رفيق ورفيقى فى الجنة عثمان**"[١]. وكان ﷺ إذا دخـــل علـــيه عثمان يسوى ثيابه ويقول : " **ألا أستحى من رجل تســتحى منه الملائكة** " ، واستأذن عثمان ذات مرة فى الدخول على الرسول ﷺ فقال : "**أئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه** " [٢].

وحـــج عـــثمان مع الرسول ﷺ حجة الوداع ، وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، وصحب عثمان أبا بكر فأحسن صحبته ، وتوفى وهـــو عـــنه راض ، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفى وهو عنه راض ، وجعله أحد الستة الذين فوض إليهم أمر الخلافة من بعده [٣].

ما انفرد به عثمان فى خلافته :

كـــان عثمان أول من هاجر بأهله من هذه الأمة إلى الحبشة ، وأول مـــن أقطـــع القطـــائع للصحابة ، وأول من حمى الحمى لإبل الصدقة ، وأول من طيب المسجد ، وأول من أمر بالآذان الأول فى الجمعـــة ، وأول من رزق المؤذنين ، وأول من قدم الخطبة فى العيد على الصلاة ، وأول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم ، وأول من ولـــى الخلافة فى حياة أمه [٤]، وأول من وضع السماط فى المسجد ، للمتعبدين ، والمعتكفين ، وأبناء السبيل ، والفقراء ، والمساكين [٥].

---

(١) ابن حجر: الإصابة ٢٣٨/٢ .
(٢) الذهبى : السير ٥٦٩/٢ ، ٥٧٠ .
(٣) ابن كثير : البداية ٧/ ١٨٩.
(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٩٣.
(٥) ابن كثير : البداية ٧/ ١٤٠.

ولمـــا قـــتل عمـــر رضى الله عنه ، وألح عليه المسلمون فى الاســـتخلاف ، جعل الخلافة فى الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، فبادروا إلى الاجتماع لاختيار أحدهم فور وفاة عمر ، فإليك بيان ذلك .

ثانياً : مجلس الشورى وضوابط عمر لاختيار لاحقه :

١- اختيار عمر لأعضاء مجلس الشورى :

مـــن شـــبه المتفق عليه بين المؤرخين ، قدامى ومحدثين ، أن عمـــر بـــن الخطـــاب رضـــى الله عنه لم يعهد لمجلس الشورى بأن يخـــتاروا أحدهم للخلافة إلا بعد طعنه ، وبعد أن ألح عليه المسلمون فى الاستخلاف ، وكان قد نأى بنفسه عن تحمل أمر المسلمين ميتاً ، كما تحمله حياً [(١)].

ولكن وجدت روايات أخرى أكدت أن عمر بن الخطاب كان قد اخـــتار هؤلاء النفر الستة ، ليكون من بينهم خليفة من بعده ، قبل أن يطعـــن بحيـــن ، من ذلك ما رواه ابن سعد وابن عبد البر ، فقد روى الأول[(٢)] أن عمـــر بـــن الخطاب خطب الناس فى يوم جمعه ، فذكر النـــبى ﷺ وأبا بكر ، ثم قال : "**فإن أقواماً يأمروننى أستخلف ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ، ولا خلافته ، والذى بعث نبيه ﷺ فإن عجل بـــى أمـــر ، فالخلافة شورى بين هؤلاء الرهط الستة ، الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضى**".

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٢٢٧/٤ ، ٢٢٨ ،ابن الأثير : الكامل ٦٥/٣ ، ٦٦ ، ابن كثير : البداية ٧/ ١٣٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣٣٥/٣ ، ٣٣٦ .

أما ابن عبد [١] البر فقد روى عن ابن عباس أنه قال : بينا أنا أمشي مع عمر يوماً ، إذ تنفس نفسا ظننت أنه قد قضبت أضلاعه ، فقلت : سبحان الله ، والله ما اخرج هذا منك يا أمير المؤمنين إلا أمر عظيم ، فقال : ويحك يا ابن عباس ، وما أدرى ماذا أصنع بأمة محمد ﷺ ؟ ، فقلت : ولم ، وأنت بحمد الله قادر أن تضع ذلك مكان الثقة ، قال إني أراك تقول : إن صاحبك أولى الناس بها ، يعنى علياً، قلت : أجل والله ، إنى لأقول ذلك ، فى سابقته ، وعلمه ، وقرابته ، وصهره ، قال: إنه كما ذكرت ، ولكنه كثير الدعابة ، فقلت : فعثمان؟ ، قال فوالله لو فعلت لجعل بنى أبى معيط على رقاب الناس، يعملون فيهم بمعصية الله، ووالله لو فعلت ، لفعل ، ولو فعل ، لفعلوه، فوثب الناس عليه ، فقتلوه ، فقلت : طلحة [٢] بن عبيد الله ؟ ، قال : الأكيسع ،هو أزهى من ذلك، وما كان الله ليرانى أوليه أمر أمة محمد ﷺ ، وهو على ما هو عليه من الزهو ، قلت : الزبير بن العوام؟ ، قال : إذا يلاطم الناس فى

---

(١) الاستيعاب ٣٤٥/١ .

(٢) طلحة ، بن عبيد الله ، بن عثمان ، بن تيم القرشى ، أسلم قديماً على يد أبى بكر ، وهاجر مع الرسول ﷺ إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، إلا بدراً ، وضرب له الرسول بسهمه فيها ، وذب عن الرسول ﷺ فى أحد ، حتى شلت يده من أصابة يومئذ ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وسماه الرسول ﷺ طلحة الخير ، وطلحة الفياض ، وطلحة الجواد ، وتوفى الرسول ﷺ وهو عنه راض ، وكذلك أبو بكر ، وعمر جعله فى الستة الذين يختار منهم الخليفة ، واعتزل الفتنة فى عهد عثمان ، وأشيع عنه تحامله على عثمان ، أو تخاذله عن نصرته، حتى كان خروجه فى الجمل ، فاستشهد هناك سنة ٣٦ هـ ، ولما رآه على مقتولاً مسح على وجهه التراب ، وقال،لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة ، وكان فى الستين من عمره حين قتل، ابن كثير : البداية ٢٣٤/٧.

الصـــاع والمد ، قلت : سعد بن أبى وقاص ؟ ، قال : ليس بصاحب ذلـــك ، ذاك صاحب مقنب يقاتل به ، قلت :عبد الرحمن بن عوف؟، قال نعم الرجل ذكرت ، ولكنه ضعيف عن ذلك ، والله يا ابن عباس مـــا يصـــلح لهـــذا الأمر إلا القوى فى غير عنف ، واللين فى غير ضـــعف، الجـــواد فى غير سرف ، الممسك فى غير بخل، قال ابن عباس: كان عمر والله كذلك .

فهاتـــان الروايتان تؤكدان بما لا يدع مجالاً للشك ، أن عمر بن الخطـــاب كـــان يفكر فى أمر الأمة قبل طعنه بحين ، وأنه وجد أن هؤلاء الرهط المبشرين بالجنة ، خير من يتولى أحدهم أمر المسلمين، إذا مـــا لقى عمر ربه ، ولكنى كما قلت آنفاً : استبعد منهم ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو ، لقرابته منه ، كما أن عمر بعبقريته كان يدرك أن فى كل واحد منهم هفوة ، فهذا ممسك يده ، وهذا به زهو ، وهذا محب لآل بيته ، وهذا فيه فكاهة ، وهذا خبير حرب وليس خبير حكم ، وهذا فيه شيء من الضعف ، ومن ثم لم يشأ عمر بن الخطاب أن يعين واحداً منهم بعينه قبل وفاته ، حتى لا يتحمل وزر الأمة بعد مماتـــه ، إذا مـــا حاد الخليفة الجديد عن جادة الصواب ، وكان عمر يتمـــنى أن لـــو اجتمعت فى خليفته الصفات التى قال عنها: وهى أن يكـــون قويـــاً فى غير عنف ، ولينا فى غير ضعف ، جواداً فى غير سرف ، ممسكاً فى غير بخل ، وعلق ابن عباس على ذلك بقوله : إن هذه الصفات اجتمعت فى عمر .

قـــد يسأل سائل ويقول: سواء أكان عمر قد رشح هؤلاء النفر قـــبل طعنه ؟ أم بعد طعنه فما الفارق ؟ وما الحكمة من الإشارة إلى

هذا الاختلاف فى هذا الموضوع ؟ أقول : إن بعض المحدثين قد أخذ علـــى عمر مأخذاً فى الطريقة التى حددها لاختيار الخليفة من بعده ، إذ افترض أنه استخلف بعد طعنه ، وأنه كان طريح الفراش ، وكان قـــاب قوســين أو أدنى من الموت ، فلم تكن قوته العقلية أو الجسمية تســمح لـــه بوضع طريقة ناجعه لاختيار خلفه ، وسار فى موضوع الاســتخلاف على غير الطريقة التى كان يتبعها دائماً ، وهى طريقة الحسم فى الأمر [١].

إلا أن هــذا الراى مجانب للصواب لما ذكرناه من روايتى ابن سعد ، وابن عبد البر ، من أن عمر اهتم بأمر خليفته من بعده قبل أن يطعــن بحين ، ولو افترضنا أنه لم يهتم إلا بعد طعنه ، فإن تخطيطه لانتخاب واستخلاف من يليه ، وسؤاله عن قاتله ، وهل كان هذا عن علم من المهاجرين والأنصار ، والنظرة البعيدة للمستقبل ، لتدل على مــدى صــحة تفكيره ، وسلامة عقله ، وعدم إضاعة أى شىء من الـــنظر لمصلحة المسلمين ، ولكن الخوف مما هو قادم عليه ، جعله يـــريد أن يـــرفع المسئولية عن نفسه ، لقد كان يريد أن يحدد واحداً بعينه، ولكنه خاف من تحمل التبعات ، وهو قادم للقاء الله [٢].

كما أن عمر لم يرد أن يترك الأمر شورى بين المسلمين كلهم حتى لا يؤدى ذلك إلى فتن واختلافات فيما بينهم ، خاصة وأنه رأى مـــن بعــض المقربين حرصاً على الخلافة ، لذلك توسط فى طريقته

---

(١) شاكر مصطفى : الخلفاء الراشدون ص ١٩٧ ، ١٩٨.
(٢) شاكر مصطفى : الخلفاء الراشدون ص ١٩٧ ، ١٩٨.

لاختيار خليفته بين الأمرين ، حتى لا يتحمل وزر من يأتى بعده ، ولا يترك الأمة هملاً دون وجود من يقوم على أمرها[١].

٢- ضوابط عمر لاختيار خلفه :

حدد عمر للمسلمين الطريقة المثلى لاختيار خلفه ، فقد أمر هؤلاء النفر الستة أن يجتمعوا فور موته ، ويتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصلى بالناس صهيب ، وكان طلحة بن عبيد الله غائباً ، فقال لهم عمر : إن حضر فى الثلاثة أيام فأشركوه معكم فى الأمر ، وإن تأخر عن ذلك فأجمعوا أمركم على واحد منكم ، وأضاف إن ارتضى خمسة منكم ، واحداً ، وأبى السادس ، فاضربوا رأسه بالسيف ، وإن ارتضى أربعة واحداً ، وأبى اثنان ، فاضربوهما بالسيف ، وإن اختار ثلاثة واحداً ، وثلاثة واحداً ، فحكموا عبد الله بن عمر ، واجعلوا رأيه حكما بين الكفتين ، فإن أبيتم رأى عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الفئة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن أبو ، ثم استدعى عمر بن الخطاب أبا طلحة [٢]الأنصارى ، وقال له : يا أبا طلحة إن الله طالماً أعز بكم الإسلام ، فاختر خمسين رجلاً من

---

(١) العقاد : عبقرية عمر ص ٢٤٢.

(٢) أبو طلحة الأنصارى : زيد بن سهل ، الخزرجى ، النجارى ، من بنى أخوال النبى ﷺ ، وصاحبه ، أحد النقباء الأثنى عشر ، وأحد أعيان البدريين ، أبلى بلاءاً حسناً فى بدر ، وذب عن الرسول ﷺ فى أحد ، وأجاد في حنين ، قال عنه النبى ﷺ : لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة ، كان صواماً ، جواداً، مشمراً عن ساعديه فى الجهاد حتى بلغه الكبر، توفى سنة ٣٤ هـ ، وصلى عليه عثمان ، ودفن بالمدينة . الذهبى : السير ٣/٣٦٦ - ٣٧٠ .

الأنصـــار ، فاســتحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم ، ثم خاطب عمر المقداد [١] بن الأسود قائلاً : إذا دفنتمونى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت ، وقم على رؤسهم ، حتى يختاروا منهم واحداً [٢].

وقد أثنى بعض المحدثين على هذه الطريقة التى وضعها عمر ، وقال : تعد طريقة عمر فى اختيار خلفه من بين مجلس الشورى سنة يمكن أن يؤخذ بها ، عندما يضطر إليها الخليفة ، وتعد اجتهاداً يؤجر عليه عمر [٣].

بينما تحفظ آخر [٤] على هذه الطريقة ، وقال : إنها لا تخلو من نقــص ، لأن عمــر ضــيق مجلس الشورى ، فجعله فى سبعة نفر ، أحدهــم يشــير ولــيس أن يترشح للخلافة ، وهو عبد الله بن عمر ، وأضاف لو وسع عمر مجلس الشورى ، وأكثر فيه من أمثال عبد الله بن عمر ، من أولئك الذين يحضرون للتصويت ، وليس لهم من أمر الخلافــة شــىء ، لكان من الممكن ألا يتعرض مجلس الشورى لما تعرض له من الشك ، والاختلاف بين أعضائه ، كما أخذ هذا الباحث

---

(١) المقــداد ، بــن عمــرو ، بن ثعلبه ، القضاعى ، الكندى ، أحد السابقين فى الإسلام ، وصاحب رسول الله ﷺ ، شهد بدراً ، والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، وســمى بالأسود لأنه تربى فى حجر الأسود بن عبد يغوث الزهرى ، توفى سنة ٣٣ هـ ، وصــلى علــيه عــثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع، وعاش سبعين سنة ، الذهبى : السير ٣/ ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣/٦٦ ، ٦٧.

(٣) شاكر مصطفى : الخلفاء ص ١١٩.

(٤) طه حسين : الفتنة الكبرى عثمان ص ٦٢ .

علـــى عمـــر أنه حدد توقيت هذا المجلس بثلاثة أيام ، أى جعل أهل المدينة وحدهم هم الذين يختارون الخليفة ، وإذا ما حدث ذلك ألزموا جميع الأقطار به .

لا مراء فى أن ما يعتبر هذا الباحث عيباً فى مجلس الشورى، وكيفـــية اختيار الخليفة بعد عمر ، أعده عين الصواب ، فلو افترضنا حـــدوث مـــا قـــال به :من توسيع عدد أعضاء المجلس من أصحاب الترشـــيح والتصـــويت ، ولـــو فتحـــنا الباب للأقاليم ، لتشارك هذا الاختـــيار ، فكـــم كان يستغرق الوقت مع اتساع الدولة الإسلامية من فـــارس شرقاً إلى مصر غرباً ، ومع طبيعة مواصلات ذلك العهد ، وكيف تظل الدولة من دون خليفة كل هذا الوقت ، الأمر الذى يؤدى إلى فتن واضطرابات ، بل إن شئت فقل : انهيار الدولة ، لتطلع كل من تسول لـــه نفسه إلى هذا المنصب الجليل ، وهو ليس كفوءا لـــه، لذلـــك كانـــت طريقة عمر لاختيار خلفه هى الصواب بعينه فى تلك اللحظات الحاسمة .

٢- اجتماع مجلس الشورى :

بـــادر أعضاء مجلس الشورى للاجتماع قبيل وفاة عمر ، حتى ارتفعـــت أصواتهم ، ووصلت لعبد الله بن عمر وهو بجوار والده ، فقـــال : سبحان الله ، إن أمير المؤمنين لم يمت ، حتى انتبه عمر ، فقـــال : أعرضوا عن هذا الأمر حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً ، ولـــا دفن عمر هم علي وعثمان بالصلاة عليه ، فنهماهما عن ذلك عبد الرحمن بن عوف ، وقال : بل يصلى صهيب ، ثم اجتمع مجلس الشـــورى فـــى أحـــد الدور ، ووقف على بابهم المقداد بن الأسود ، وحجـــب أبو طلحة الناس عنهم ، وعكف الخمسة على التشاور فيما

بينهم ، على من يلى هذا الأمر ، حتى علت أصواتهم، فدخل عليهم أبو طلحة ، وقال لهم : والله إنى أظن أن تدافعوها فيما بينكم ، لا أن تنافسوها ، فوالله لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التى أمر بها عمر [١].

٤- عبد الرحمن بن عوف يستطلع آراء اهل المدينة :

بادر عبد الرحمن بن عوف إلى القول لهم أيكم يستعفى من حقه فى الترشيح ، فسكت الحضور ، فأعلن عبد الرحمن تنازله عن حقه فى الخلافة ، فوافق الباقون ، وأخذ عليهم العهد والميثاق إن تولى أحدهم ليعدلن ، وليقومن بالحق ، وفوضوا عبد الرحمن فى الاختيار، فمكث ثلاثة أيام يسأل من قابله من المهاجرين ، والأنصار ، والأعراب الوافدين على المدينة ، عن أصلح من يتولى الخلافة ، فأجمعوا على أحد شخصين : على ، أو عثمان ، وفى اليوم الرابع نادى المنادى بحضور المسلمين فى المسجد ، فاجتمعوا حول عبد الرحمن ، ومعهم أعضاء مجلس الشورى ، فخطب عبد الرحمن فى الناس ، ثم قال لهم ، أرى الناس لا يعدلون فى اختيارهم عن على ، وعثمان ، فدعى عليا ، وقال له : هل أنت مبايعى على كتاب الله ، وسنة رسوله ، وفعل أبى بكر وعمر ، قال: لا ، ولكن أجتهد فى ذلك على قدر طاقتى ، ثم قال عبد الرحمن لعثمان : مثل ذلك ، فأجابه بنعم ، فرفع عبد الرحمن يد عثمان ، وقال : اللهم إنى خلعت ما فى رقبتى من أمر المسلمين ، ووضعته فى رقبة عثمان ، وتقدم الناس لمبايعته ، وبايعه على بن أبى طالب [٢].

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٢٢٩ - ٢٣١.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٨/٣ - ٧١ ، ابن كثير : البداية ١٣٨/٧ ، ١٣٩.

وأما ما يذكره البعض من أن عليا بن أبى طالب أساء إلى عبد الرحمن بعد ذلك ، وقال لـه : خدعتنى ، وإنما وليت عثمان لأنه صهرك ، وليشاورك كل يوم فى شأنه ، فليس بمقبول ، ورد على ذلك ابن كثير[١] فقال :"**والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة ، وأغبياء القصاص ، الذين لا تميز بينهم بين صحيح الأخبار ، وضعيفها ، ومستقيمها ، وسقيمها**" .

وأكد هذه الحقيقة أحد الباحثين[٢] فقال: " **أكثر الرواة فى ذكر رجال الشورى ، وما دار بينهم فى هذه الأيام الثلاثة ، وظهرت التناقضات بين الرواة ، كما بدا الخلاف بين الصحابة ، حتى إن القارئ ليشعر أن أولئك النخبة المختارة قد تنافسوا على الإمارة ، تنافس أهل هذا الزمن ، إن لم نقل إنهم سبقوهم فى ذلك ، وما هذا بطبيعتهم ، كما لا يتفق مع إيمانهم ، وخوفهم فى تحمل التبعة ، وفتنة الدنيا ، والواقع أن بيعة سيدنا عثمان لا تعقيد فيها، ولا منافسة ، لذا لم يتخلف رجل عن البيعة ، ولم يعقبها أية حادثة تدعو إلى الشقاق**".

وكانت البيعة لعثمان فى مستهل المحرم سنة ٢٤ هـ ، وحضر طلحة بن عبيد الله فى اليوم نفسه ، وأقر بالبيعة لعثمان ، وبدا هذا الخليفة بالقيام بأمور المسلمين ، وكان أول ما قام به هو الخطبة فى المسلمين[٣].

---

(١) البداية ١٣٩/٧.

(٢) شاكر مصطفى : الخلفاء ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٧٢/٣ ، ابن كثير : البداية ١٣٩/٧ ، ١٤٠.

ثالثاً : خطبة عثمان وملامح خلافته :

بعـد أن بويـع عثمان بالخلافة من مجلس الشورى ، تقدم لمنبر رسـول الله ، فوقف فى الناس خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قـال : " إنكم فى دار قلعة (رحلة) وفى بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخـير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم ، صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت علـى الغـرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغـرور ، اعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ، ولا تغفلوا ، فإنه لا يغفل عـنكم ، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومُتعوا بها طويـلاً ، ألـم تلفظهـم ، أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب لها مثلاً ، وللذى هو خير ، فقال عز وجل: **﴿ وَاضْـرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ.......﴾**[١] وختم بذلك عثمان خطبته فأقبل الناس عليه يبايعوه بالخلافة .

وهذه الخطبة كما ترى خطبة دينية ، أكثر منها سياسية ، حيث وعـظ فـيها عـثمان رعيته ، وطالبهم بالعمل للدار الآخرة ، وعدم الاغـترار بالدنيا ، لأنها لم تدم لمن عمروها ، ولم يخلد فيها مخلد ، ولا مـراء فـى أن السـن التى بُويع فيها عثمان ، وهو على رأس السبعين ، كما أن ما عرف عنه من اللين والرقة والحياء ، كانت وراء مـثل تلك الخطبة ، التى استهل بها خلافته ، وعلى الرغم من ذلك فلم ينه عثمان خطبته ، إلا وقد وسع على الناس فى أعطياتهم ، حتى لا يصابوا بالضجر من أول يوم لخلافته [٢].

---

(١) الآيتان ٤٥ ، ٤٦ سورة الكهف ، الطبرى : تاريخ الرسل ٤/٢٤٣.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/١٤٠ .

وأمـــا ما قاله البعض : من أن عثمان لما تأهب للخطبة ارتج عليه الناس ، فلم يدر ما يقول حتى قال : " **أيها الناس إن أول مركب صـــعب ، وإن أعــش فتأتيكم الخطبة على وجهها** " ، فهذا لا يمكن قـــبولـــه فى حق من هم دون عثمان ، فكيف بعثمان ، وقد كان من كـــبار الصحابة علماً ، ومنزلة ، وقد استبعد بن كثير صدور هذا من عثمان [١].

رابعاً : النظر فى قضية عبيد الله بن عمر :

كـــان علـــى عثمان أن يواجه فور توليه الخلافة أول قضية ، وكانـــت معقـــدة إلى حد كبير ، وهى قضية عبيد [٢] الله بن عمر بن الخطـــاب ، الـــذى غضب لمقتل والده ، غضباً شديداً ، ولما تحدث المســـلمون عن أبى لؤلؤة قاتل عمر ، قال عبد الرحمن بن أبى بكر : لقد رأيت البارحة قاتل عمر مع الهرمزان وجفينة يتناجون فيما بينهم ، فلما رأونى اضطربوا ، وسقط منهم خنجر لـــه رأسان ونصل واحد ، فأحضـــروا الخنجر فكان كما قال عبد الرحمن بن أبى بكر ، فانطلق عبـــيد الله بـــن عمـــر بن الخطاب إلى الهرمزان فطلب منه الخروج لحاجة له ، فلما فعل اعتلاه بالسيف ، فقتله ، وكان قد تشهد قبل أن يقتل ، ثم انطلق عبيد إلى جفينة فقتله ، فصلب جفينة قبل مصرعه ، ثـــم انطلق عبيد الله وقتل ابنة صغيرة تسمى لؤلؤة ابنة فيروز قاتل

---

(١) ابن كثير : البداية ١٤٠/٧.

(٢) عبـــيد الله بن عمر بن الخطاب قتل فى معركة صفين سنة ٣٧ هـ ابن كثير : البداية ٧/ ٢٥١ ، ٢٥٢.

عمـــر ، وتوعــد عبيد الله بقتل كل من كان فى المدينة من السبى[١]، وحدث هذا وعمر لم يفارق الحياة بعد .

قام بعض المهاجرين بالقبض على عبيد الله بن عمر ، وإيداعه الســجن ، لحيــن البــت فـــى أمر الخلافة ، ولما بويع عثمان أمر بإحضـــاره بين يديه ، وقال لجموع الصحابة : أشيروا علىَّ فى هذا الـــذى فتق فى الإسلام ما فتق ، فقال على : اقتله قصاصا لقتله هؤلاء بيـــنما قال جموع الحاضرين : يقتل أبوه بالأمس ، ويقتل هو اليوم ، لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه ، فتحدث عمرو بن العاص وقال : يـــا أمير المؤمنين لقد وقع ذلك الأمر قبل أن يكون لك على المؤمنين سلطان ، وقد أعفاك الله من ذلك ، فقال عثمان: أنا ولى هؤلاء القتلى، وقد جعلت لمقتلهم دية ، واحتملتها من مالى الخاص ، وبذلك طويت صفحة هذه القضية [٢] .

مما تقدم نرى أن الصحابة اجتهدوا فى هذه القضية ، فعلى بن أبـــى طالـــب رأى القصاص من عبيد الله بن عمر ، لأنه قتل هؤلاء الـــثلاثة بنفسه ، من دون إذن ولى الأمر ، حتى ولو كانوا مذنبين ، ومتواطئين فى جريمة قتل عمر بن الخطاب ، فالأمر للحاكم لا لولى الـــدم ، وأمـــا الصحابة وعلى رأسهم عمرو بن العاص فقد رأوا أن هـــؤلاء القـــتلى مـــن الموالى ، الذين لا ولى لهم فى دمهم إلا خليفة المســـلمين ، وهـــو عـــثمان ، وقد أجاز المولى لولى الدم العفو عن

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣٥٥/٣ ، ٣٥٦ ، ابن كثير : البداية ١٤٠/٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣٥٦/٣ ، الطبرى : تاريخ الرسل ٢٣٩/٤ ، ابن الأثير: الكامل ٧٥/٣ ، الذهبى : السير ٥٧٩/٢.

القـاتل، حيـث قـال تعالى : ﴿ **وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُـلْطَاناً فَـلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ** ﴾ [١] ، ومن ثم رأى هؤلاء الصحابة العفو عن عبيد الله بن عمر ، ودفع دية هؤلاء القتلى من مال عثمان، لوليهم وهو الخليفة ، الذى ردها إلى بيت المال ، وبالرغم من ذلك ، فقد ظل على بن أبى طالب متمسك برأيه فى هذه القضية ، ولما آلت الخلافـة إلـيه ، كاد أن ينفذ حكم القصاص فى عبيد الله بن عمر ، ولكـن هذا الأخير أسرع بالخروج من المدينة ، وانضم لمعاوية فى صراعه مع على بن أبى طالب [٢].

خامساً : كتب عثمان :

بدأ عثمان خلافته بتلك القضية الشائكة ، ووفقه المولى للفصل فـيها ، فشـمر عـن ساعديه ليدير شئون المسلمين ، واستهل ذلك بمجموعـة مـن الكتـب لعماله ولرعيته يبين فيها منهجه فى الحكم والإدارة ، وهى ما يلى :

١- كتابه إلى عماله على الأمصار :

وهـذا نصه : " **أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ، لـم يخلفـوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ، ولا يكونوا رعـاة ، فإذا عادوا كذلك ، انقطع الحياء ، والأمانة ، والوفاء ، ألا وإن أعـدل السـيرة أن تـنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم ،**

---

(١) من الآية ٣٣ سورة الإسراء.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٧٦ .

فتعطوهم مالهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تُثنوا بالذمة ، فتعطوهم الــذى لهــم ، وتــأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدو الذى تنتابون ، فاستفتحوا عليه بالوفاء " (١).

خطبة بليغة ، وضع فيها عثمان يده على الداء الذى قد يصيب الأمــة فــى مقــتل ، وهو تحول العمال ، والقادة ، إلى جباة للمال ، واضطهاد الرعية ، وغمطهم حقوقهم ، وضياع العدل.

٢- كتابه إلى أمراء الأجناد :

وإليك نصه : " **أما بعد فإنكم حماة المسلمين ، وزادتهم ، وقد وضــع لكم عمر ما لم يغب عنا ، بل كان عن ملإ منا ، ولا يبلغنى عــن أحد منكم تغيير ، ولا تبديل ، فيغير الله ما بكم ، ويستبدل بكم غــيركم ، فانظروا كيف تكونون ، فإنى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه ، والقيام عليه" (٢).**

يأمــر عثمان قواده العسكريين بأن يسيروا على المنهج الذى وضعه لهم عمر بن الخطاب ، والذى يرتضيه عثمان فى الزود عن حدود الأمة ، وألا يبدلوا ماهم عليه ، فيستبدل الله بهم قوماً آخرين .

٢- كتابه إلى عمال الخراج :

وها هو ذا رسمه : " **أمــا بعد فإن الله خلق الخلق بالحق ، فلا يقــبل إلا الحق ، خذوا الحق ، وأعطوا الحق به ، والأمانة الأمانة، قومــوا علــيها ، ولا تكونوا أول من يسلبها ، فتكونوا شركاء من**

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٢٤٤/٤ ، ٢٤٥.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٢٤٥.

بعدكـم إلـى مـا اكتسبتم ، والوفاء الوفاء ، لا تظلموا اليتيم ، ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم "(١).

وصية جامعة للاقتصاديين ، والقائمين على أمور الدولة المالية، باتباع الحق ، والتزام الأمانة ، والتخلق بالوفاء ، والبعد كل البعد عن ظلم اليتيم ، أو أهل الذمة ، حتى لا يكون الله خصما لهم يوم القيامة.

٤- كتابه إلى الرعية :

وإليك نصه : "**أما بعد فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع ، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع ، بعد اجـتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فإن رسول الله ﷺ قال : الكفر فى العجمة ، فإذا استعجم عليهم أمر ، تكلفوا وابتدعوا "**(٢).

لله درك يا عثمان ، كأنى بك تستشرف الأمور قبل حدوثها ، أو أنـك تـرى بنور الله ، فها أنت ذا تضع يدك على مكامن الفتنة ، كما يضـع الطبيب مشرطه على أصل الداء ، فما حدث بعد بضع سنوات فى خلافتك من الفتنة ، كان سببه ما حذرت رعيتك منه ، تكامل النعم، ووصـول البذخ والترف إلى المسلمين ، وظهور جيل جديد من أولاد السبايا ، الذين تأثروا بفكر أمهاتهم ، من الثقافة ، والحضارة ، ونقلوها للإسـلام ، وظهـور هـؤلاء الضلال من أجلاف الأعراب ، وأتباع الديانات الأخرى ، والذين بثوا سمومهم بين الناس ، والقول بأمور لم تكن فى الدين من شىء ، كما سنبينه عند الحديث عن الفتنة.

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/٢٤٥.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/٢٤٥ - ٢٤٧ .

الفصل الثانى

أهم الأعمال التى قام بها عثمان فى خلافته

استهل عثمان خلافته بلفته طيبة ، بأن وسع على جموع المسلمين فى أعطياتهم ، فكانت خلافته محل الرضا والطمأنينة إليها والاغتباط بها من جانب العرب ، ومن دان إليهم من غيرهم، ويذهب أكثر المؤرخين إلى القول : إن الرضا والطمأنينة كانت أكثر شمولاً فى النصف الأول من عهد عثمان ، عما كانت عليه فى عهد عمر ، إذ كان عثمان ليناً فى غير ضعف ، عادلاً عدل عمر، من غير أن يكون باطشاً بطشه ، وقاسياً قسوته[١].

ولم لا يرضى الناس على عثمان ، وقد كان الناس قد ملوا من عمر بن الخطاب ، لأنه حصر وجوه المهاجرين والأنصار فى المدينة ، وقال لهم : أن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد ، فقد كان الرجل يستأذنه فى الغزو، وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ، فيقول له عمر : قد كان فى غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلغك ، وخير لك من الغزو اليوم، ألا ترى الدنيا ولا تراك ، ولم يأذن عمر بن الخطاب لأحد من هؤلاء الصحابة فى الخروج من المدينة ، إلا بأذن ، وأجل ، ولما اشتكوا إليه من ذلك قال عمر : ألا أنى قد سننت الإسلام سن البعير ، يبدأ فيكون جذعاً ، ثم ثنياً ، ثم رباعياً ، ثم سدسياً ، ثم بازلاً ، ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ، إلا فإن الإسلام قد بزل ، إلا وإن قريش يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ، ألا فأما وابن

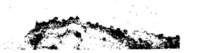
---

(١) هيكل : عثمان ١٠٤ .

الخطاب حى فلا ، إنى قائم دون شعب الحرة ، آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا فى النار ، فلما تولى عثمان لم يأخذهم بالذى كـــان يـــأخذ به عمر ، فانساحوا فى البلاد ، وكان أحب إليهم من عمر بن الخطاب [١].

ولـــم لا يرضى الناس عن عثمان وهو وسع عليهم من أمور الدنـــيا ، بينما كان يعيش عيشة عمر فى أول خلافته ، فهو يلبس الغليظ من الثياب ، ويقوم من نومه فى المسجد وقد أثر الحصى فى جنبيه ، ويطعم الناس من جيد الطعام فى مقر ولايته ، وإذا ما عاد لبيته أكل الخل والزيت [٢].

لكل هذه الأسباب استبشر الناس بخلافة عثمان ، وبدأ هو فى القيام بأمور المسلمين خير قيام ، ومن أهم الأعمال التى قام بها فى خلافته ما يلى :



أولاً : كتابة المصحف العثمانى :

مـــن أجـــل الأعمـــال الـــتى قام بها عثمان فى خلافته توحيد المصاحف فى الدولة الإسلامية ، وقد كان القرآن الكريم قد تم جمعه فـــى مصحف واحد فى خلافة أبى بكر ، ولما توفى انتقل المصحف إلـــى عمر بن الخطاب ، ولما لقى ربه انتقل إلى أم المؤمنين حفصة ابـــنة عمر ، فما الذى دفع عثمان إلى الإتيان به ، ونسخه ؟، وتعميم نسخة وحيدة للمصحف على كافة الأمصار ، وحرق ما عدا ذلك .

يـــرجع أصل ذلك إلى الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان الذى

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/٦٤ ، الطبرى: تاريخ الرسل ٤/٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(٢) الكاندهلوى : حياة الصحابة ٢/ ٢٧٠.

كان قد خرج للجهاد نحو أذربيجان ، ورأى فى خروجه هذا ما أثاره، وحرك جوامع نفسه لمواجهته ، إذ وجد جنود الشام والعراق يختلفون فى قراءة القرآن ، فيقول بعضهم: نقرأ بقراءة ابن مسعود ، ويقول آخرون نحن نقرأ بقراءة أبى ، وآخرون : يقرؤون بقراءة أبى موسى الأشعرى ، ولما عاد حذيفة للكوفة أخبر الصحابة بذلك الأمر الجلل ، وحذرهم مما يخاف وقوعه من اختلاف المسلمين حول القرآن وقراءته ، وعزم على إبلاغ الخليفة عثمان بذلك [١].

وصل حذيفة بن اليمان إلى عثمان ، وقال له : أنا النذير العريان، أدرك الأمة قبل أن يختلفوا فى كتابها ، كما اختلف اليهود والنصارى فى كتبهم ، وقص لعثمان ما شاهده من اختلاف المسلمين فى قراءتهم للقرآن ، وتعصب كل جماعة منهم لقراءة واحد من الصحابة ، وطعنهم فى قراءة غيرهم ، فجمع عثمان الصحابة ، وشاورهم فى الأمر ، فأجمعوا على توحيد المصاحف، وجعل المصحف على لغة قريش ، وحرق ماعدا ذلك من مصاحف[٢].

ومن المسلم به أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف من أجل التيسير على بعض القبائل لقراءته ، وقد قرأ بها الرسول ﷺ فى حياته ، واقرأ بها غيره ، حتى يمكن للقبائل المختلفة آدائه ، وتلاوته، مع أن اللهجة الأساسية التى نزل بها القرآن هى لهجة قريش [٣].

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/ ١١١، ١١٢ ابن كثير : البداية ٢٠٥/٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣/ ١١٢ ، ابن كثير : البداية ٢٠٥/٧ ، الذهبى : السير ٢/ ٥٧٢ ، ابن العربى : العواصم ٦٨ .

(٣) الخطيب : دراسات تحليلية ص ٩٣ - ٩٥.

شـــكل عـــثمان بن عفان لجنة لكتابة المصحف برئاسة زيد بن ثابت ، الذى كان قد جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق ، وعاون زيد فى مهمته ثلاثة هم : عبد الله [١]بن الزبير ، وسعيد[٢] ابن العاص ، وعـــبد الرحمن[٣] بن الحارث بن هشام ، ثم أمر عثمان بالمصحف الموجـــود عـــند أم المؤمنين حفصة ، فجئ به ، وأمر عثمان اللجنة

---

(١)عبد الله ، بن الزبير ، بن العوام ، أول مولود بعد الهجرة إلى المدينة ، حنكه الرســـول ﷺ ، ودعا له ، حضر خطبة عمر فى الجابية ، وكان من المشاركين لغـــزو القسطنطينية ، وشهد الجمل مع أبيه الزبير ، وبويع بالخلافة سنة ٦٤هـ ، ودانـــت له الأمصار جميعاً ، ماعدا بلاد الشام ، واشتهر بورعه ، وتقواه وتبتله فـــى العبادة ، ودارت الحروب بينه وبين المروانيين ، حتى حاصر الحجاج عبد الله فى مكة ، وقتله سنة ٧٣ هـ ، ابن كثير : البداية ٨/ ٣١٦ - ٣٢٨

(٢) سعيد ، بن العاص ، بن أبى أحيحة ، القرشى ، الأموى ، قتل أبوه يوم بدر مشـــركاً ، وكان سعيد صغيراً ، فكفله ورباه عثمان بن عفان ، وولاه الكوفة بعد عـــزل الولـــيد بـــن عقبة ، وانقلب عليه أهلها ، حتى عزله عثمان ، وكان من المدافعيـــن عن عثمان حين الحصار ، ولما قتل عثمان اعتزل سعيد الفتنة ، فلم يشترك فى الجمل ، ولا صفين ، حتى تولى الخلافة معاوية ، فولاه إمرة المدينة عدة سنين ، وكان سعيد أميراً شريفاً جواداً ، حليماً ، وقوراً ، ذا حزم وعقل ، ممـــن يصـــلح للخلافـــة ، وكـــان أحد من عهد إليهم عثمان بكتابة المصحف ، لفصاحته ، وشبه لهجته بلهجة الرسول ﷺ ، توفى سعيد سنة ٥٨ هـ ، ابن كثير: البداية ٨/ ٨٠ - ٨٤ ، الذهبى : السير ٤/٥١٧ - ٥٢٠ .

(٣) عـــبد الرحمـــن ، بن الحارث ، بن هشام المخزومى ، كان أبوه من الطلقاء الذين حسن اسلامهم ، ورأى عبد الرحمن الرسول ﷺ ، وكان من نبلاء الرجال، أرســـلته عائشـــة لحاجة لها عند معاوية ، وكانت تقول بعد معركة الجمل ، لئن قعدت عن المسير إلى البصرة ، كان أحب إلىَّ من أن يكون لى عشرة أولاد من رسول الله ﷺ ، مثل عبد الرحمن بن الحارث، وتوفى صاحبنا قبل وفاة معاوية ، الذهبى : السير ٥/١٠، ١١ .

بنسخه من جديد ، وان اختلفوا فى قراءة ما ، فليكتبوها بلغة قريش ، فبها نزل القرآن على رسول الله ﷺ .[١]

أتمت هذه اللجنة عملها ، فرد عثمان المصحف الأول لحفصة، ثم أمر بنسخ عدة نسخ من المصحف المكتوب ، وأرسلها للأمصار المختلفة ، وألزم الناس باتباع قراءتها ، بينما بقى المصحف المنسوخ بيد زيد بن ثابت فى بيت عثمان ، وعرفت هذه المصاحف التى قامت هذه اللجنة بنسخها بالمصاحف العثمانية ، نسبة إلى عثمان رضى الله عنه [٢].

ونال عمل عثمان هذا ثناء الصحابة ورضاهم عنه ، ومنهم أبو هريرة الذى قال لعثمان : أصبت ووفقت ، أشهد أنى لسمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إن أشد أمتى حبا لى قوم يأتون من بعدى، يؤمنون بى ولم يرونى ، ويعملون بما فى الورق المعلق**"، فقلت : أى ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، فأعجب عثمان بذلك ، وقال لأبى هريرة : والله ماعلمت أنك لتحبسن علينا حديث نبينا ﷺ ، ثم أمر عثمان بحرق ما عدا ذلك من مصاحف ، لئلا يعود الخلاف مرة أخرى للقرآن ، وأثنى على بن طالب على ذلك وقال: لو لم يصنعه هو لصنعته [٣] .

ولا شبهة فى أن ما قام به عثمان من جمع الناس على قراءة واحدة قد كان عين الحكمة ، لأنه بصنيعه هذا قد أبقى للقرآن صفاءه، كما أوحاه الله إلى رسوله ﷺ ، وبهذا العمل الجليل زال شبح

---

(١) ابن كثير : البداية ٢٠٥/٧ ، ابن العربى : العواصم ٦٨ - ٧٠ .
(٢) ابن كثير : البداية ٢٠٥/٧ ، ابن العربى ، العواصم ص ٧٠.
(٣) ابن كثير : البداية ٢٠٥/٧ .

الاخـــتلاف الخطـــير على كتاب الله تعالى ، وتحققت للمسلمين وحدة رائعة إلى يوم الدين ، فجزى الله الراشدين خير الجزاء على اهتمامهم بكتاب الله ، وحفاظهم على وحدة الأمة [١].

ثانياً : توسيع الحرمين الشريفين :

أولـــى عثمان بن عفان عنايته لعمارة الحرمين الشريفين ، ففى سنة ٢٦هـ أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم المكى ، كما ابتاع العديد مـــن الـــدور المجاورة له وضمها إليه ، وفى سنة ٢٩ هـ ولى وجهه شـــطر مســـجد الرسول ﷺ فزاد فى مساحته ، وأعاد بناءه بالحجارة المنقوشـــة ، والجـــص ، كمـــا جعـــل عمـــده من الحجارة المحشوة بالرصـــاص ، وســـقفه بالســـاج ، وجعل طوله مائة وستين ذراعاً ، وعرضـــه مائة وخمسين ذراعاً ، وترك أبوابه ستاً ، كما كانت على عهد عمر بن الخطاب[٢] .

وقـــد يتســـأل سائل لماذا أضفى عثمان هذه الهيبة على المسجد النبوى ؟ وترك الحرم المكى كما هو ، واكتفى بتوسيعه ، نقول : إن المســـجد النـــبوى كان يقوم بوظيفة سياسية ، بالإضافة إلى وظيفته الدينية ، فقد كان مقراً للخليفة ، ومركزاً للحكم ، ومنه تصدر الأوامر إلـــى الـــولاة الذيـــن كانوا يقيمون فى قصور دمشق ، والفسطاط ، والكوفـــة ، والبصـــرة ، أمـــا الحرم المكى فقد كان خالصاً للعبادة ، والصلاة ، وأداء الشعائر الدينية ، ومن ثم قام عثمان بما قام به[٣].

---

(١) الخطيب : دراسات تحليلية ص ٩٥ ، هيكل : عثمان ص ١١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨٧/٣ ، ١٠٣ ، الذهبى ٥٨١/٢.

(٣) هيكل : عثمان ص ١٠٨.

ثالثاً : الفتوحات فى عهد عثمان :

أقـبل الخلـيفة عثمان على متابعة ما بدأه أبو بكر وعمر ، من توسـيع رقعـة الدولة الإسلامية ، والمحافظة على ما تحت يدها من أقطار ، وأمصار ، وسارت الفتوح فى كل الجبهات ، شرقاً ، وغرباً ، شمالاً ، وجنوباً ، فإليك إطلالة سريعة على هذه الفتوحات.

١- فى الجبهة الشرقية :

فـى الشرق خرجت فارس على الدولة الإسلامية ، وهمَّ الفرس باسـترجاع ملكهم بقيادة يزدجر بن شهريار آخر ملوك الساسانيين ، فعهـد عـثمان لعبد الله بن عامر ، والى البصرة بقمع هذه الثورة ، وتمكن هذا الوالى الشاب من القضاء على الفتنة فى بلاد فارس ، ثم تـابع سيره إلى خراسان وفتحها ، بعد أن ترك لجنده أمر إعادة نفوذ الدولـة فـى كـرمان ، وسجستان ، وفى أثناء هذه الحروب طورد يزدجـر حـتى قتل سنة ٣١ هـ على يد بعض الفرس، وبموته انتهت سلسلة ملوك الدولة الساسانية فى فارس[١].

ولم يكن والى الكوفة سعيد بن العاص ، أقل إقداماً وشجاعة من والى البصرة عبد الله بن عامر ، حيث افتتح سعيد طبرستان ، وطلب ملـك جرجان الصلح منه فى مقابل دفع مائتى ألف درهم كل عام ، كما عبر الأحنف بن قيس بالقوات الإسلامية نهر جيحون ، فصالحه أهالى بلاد ما وراء النهر ، ثم توغل فى طخارستان وفتحها ، مدينة بعد أخرى ، حتى أرغم أهلها على مصالحته [٢].

---

(١) الذهـبى : السير ٥٨٧/٢ – ٥٨٩ ، على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى ص ٢٤٥ ، ٢٤٦.

(٢) الذهبى : السير ٥٨٦/٢ – ٥٨٩ ، على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى ص ٢٤٦.

٢- بلاد الشام :

كانـــت بلاد الشام فى عهد عثمان فى يد معاوية بن أبى سفيان، الذى عرف بحسن السياسة والتدبير ، وتمكن من جمع الشام كله تحت يـــده ، وطالـــت فـــيها مدة ولايته عاملاً حتى وصلت لعشرين سنة وصارت لـــه فى قلوب أهل الشام مكانة سامية ، كان لها أكبر الأثر فـــى تعضـــيدهم لــــه عندما عزله على ، ورفض معاوية أن يطيع الأمر، فكان ما كان من الفتنة [١].

٣- مصر وأفريقية :

كـــان عمرو بن العاص والياً لمصر حتى تولى عثمان الخلافة، فعـــزلـــه وولى عليها أخاه من الرضاعة عبد الله [٢]بن سعد بن أبى السرح ، وكانت مصر آنذاك مهددة من الدولة البيزنطية ، فدافع عبد الله عنها ، وغزا أفريقية لتامين حدود مصر الغربية [٣].

٤- بناء الأسطول البحرى :

كانت الدولة الإسلامية حتى عصر عمر بن الخطاب دولة برية، وليســـت بحرية ، فكانت جيوشها تجيد الحروب براً ، ولم تكن تجيد

---

(١) الذهبى : السير ٤/ ٢٩٥ على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى ص ٢٤٦.

(٢) عـــبد الله ، بن سعد ، بن أبى السرح ، القرشى ، أخو عثمان من الرضاعة ، كان ممن ارتد ، ثم استأمن لـــه عثمان من الرسول ﷺ يوم فتح مكة ، فأمنه ، وولاه عثمان مصـــر ، فغزا أفريقية ، وكان قائداً لمعركة ذات الصوارى البحرية، ولما قتل عثمان اعـــتزل الفتـــنة ، وأقام بعسقلان حتى توفى سنة ٣٧ ، ابن كثير : البداية ٧/ ٢٩٥ ، الذهبى : السير ٤/٢٢٥ – ٢٢٧ .

(٣) الذهبى : السير ٢/ ٥٨٣ ، ٥٨٤.

الحـــروب البحرية ، لحداثة المسلمين بذلك النوع من الحروب ، وما يحتاجه من أسطول ، وعتاد ، وفى عهد عثمان بدأ المسلمون يكونون الأساطيل البحرية ، وكان معاوية يحاول فعل ذلك فى خلافة عمر ابن الخطــاب ، لحماية السواحل الإسلامية من الهجمات المتكررة للروم، ولكن عمر رفض ذلك ، حفاظاً على أرواح المسلمين ، خاصة بعد أن وصف عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب البحر ، وحال من يركبه، ولمـــا تولـــى عـــثمان الخلافة ، واصل معاوية إلحاحه عليه ، لبناء أسطول إسلامى ، لكثرة إغارة الروم على السواحل الشامية ، فوافق عثمان على ذلك ، بشرط ألا يجبر مسلماً على ركوب البحر معه[١].

اجتهد معاوية فى بناء الأسطول ، وجعل أفراده من العرب واليمنين وأمَّر على الأسطول الإسلامى عبد الله بن قيس الحارثى ، فكان أول أمراء الــبحر ، وحـــارب معاوية بهذا الأسطول البيزنطيين ، حتى وصل إلى عمورية فى آسيا الصغرى ، كما استولى على جزيرتى قبرس ورودس ، وفتح كثيراً من الحصون ، وسار إلى أرمنية الصغرى ، حتى وصل إلى قالقيلا ، فصالحه أهلها ، ثم استمر فى غزوه البرى حتى بلغ تفليس [٢].

معركة ذات الصوارى البحرية ٣١ هـ :

وقعـــت هـــذه المعـــركة البحرية سنة ٣١ هـ ، بين الأسطول الإســـلامى بقيادة عبد الله بن أبى السرح ، وبين الأسطول البيزنطى، بقيادة قسطنطين ملك الروم ، وذلك فى البحر المتوسط ، أمام سواحل

---

(١) الذهبى : السير ٥٨٥/٢ ، على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى ص ٢٤ ، ٢٤٧.

(٢) ابن كثير : البداية ١٤٤/٧ ، ١٤٥ ، على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى ص ٢٤٧.

مصـــر الشـــمالية ، بالقـــرب مـــن الإسكندرية ، حيث حاول الروم اســـترجاع مصـــر ، وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين ، وسميت هذه المعركة بهذا الاسم ، لكثرة عدد السفن التى اشتركت فيها ، ومنذ ذلك الوقت بد الأسطول الإسلامى يقوم بدور هام فى التاريخ الإسلامى[١].

٥- بلاد النوبة :

كان عمرو بن العاص قد غزا بلاد النوبة ، ولما خلفه فى ولاية مصـــر عبد الله بن سعد بن أبى السرح سار سيرة سلفه ، فغزا بلاد الـــنوبة من جديد ، وواصل توغله حتى دنقلة ، ولكنه لم يتمكن من فـــتحها ، رغـــم ما بذله من جهود فى القتال ،وكان ذلك سنة ٣١هـ ، فاضـــطر إلـــى مهادنـــة أهلها ، وعقد الصلح معهم ، على أن يرسل النوبيون إليه الرقيق ، ويعوضهم هو عن ذلك بالحبوب [٢].

تلـــك كانت لمحة سريعة عن حركة الفتوح فى عهد الخليفة الثالـــث عثمان بن عفان ونتأهب للدخول إلى أخطر أحداث خلافة عثمان بن عفان وهى :

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) الذهبى : السير ٢/ ٥٩٢ ، على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى ص ٢٤٨.

الفصل الثالث

الفتنة فى عهد عثمان وأسبابها

إن المسلمين رضوا بخلافة عثمان ، واستبشروا بها ست سنين ثم احتملوها أربع سنين ، فلما جاوز عثمان بخلافته الأعوام العشرة ، جعل المسلمون يضيقون به ، ويستطيلون خلافته ، يظهرون ذلك فى شيء من الرفق أول الأمر ، ثم فى شيء من الحدة بعد ذلك ، ثم فى عنف جعل يتزايد شيئاً فشيئاً ، حتى انتهى إلى غايته المنكرة ، وهى قتل الإمام عثمان سنة ٣٥ هـ [١].

وكانت تلك الحادثة ، هى بداية الفتن والانقسامات فى الإسلام، حتى يومنا هذا ، ومنذ ذلك التاريخ انتهت الخلافة الحقة ، القائمة على الفكـرة الشـورية ، وقام على إثرها الملك العضوض ، واعتبر عهد على بن أبى ، الذى خلف عثمان ، فترة انتقالية بين عهدين [٢].

قـد يقول قائل : قتل عثمان ومن قبله قتل عمر ، فلا جديد فى الأمـر ، أقـول : إن عمر بن الخطاب قتل بأيدى غير إسلامية ، لم تسـجد لله سـجده واحدة ، وأن الدولة الإسلامية لم تتأثر كثيراً بتلك الحادثـة ، إذ سـرعان ما اختار مجلس الشورى عثمان لخلافة عمر ، أما حادثـة مقتل عثمان فقد كانت بأيدى إسلامية ، ليس هذا فحسب بل زعم قتلته أنهم يجاهدون فى سبيل الله بقتله ، ويغيرون منكراً ، ومما يؤسف له أنهم قتلوه ، وقد تجاوز عمره الثمانين عاماً ، ولقى ربه صائماً .

لـيس هـناك شك فى أن تذكر تلك الحادثة ، ومحاولة الإلمام

---

(١) طه حسين : الفتنة عثمان ص ٢٠٠.

(٢) على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى ص ٢٥٩ .

بخيوطها ، للخروج بالحقيقة ، لأمر بالغ الأهمية ، لنجلى عن تاريخنا الإســلامى العديــد من الشبهات ، التى روج لها المؤرخون قديماً ، والمستشــرقون حديثاً ، فى محاولة للربط بين تاريخ المسلمين وحكم الخلافة الراشدة ، وبين هذه الأحداث التى وقعت بالفعل ، فهم يلمزون الصحابة الأجلاء ، الذين عاصروا تلك المرحلة ، ويتغامزون عليهم بســوء القــول ، ومما زاد الأمر تعقيداً ، أنه انبرى لكل فريق ممن شارك فى هذه الفتنة دعاة ، نافحوا عن آراء ذويهم، فكانوا كمن صب الزيــت على النار ، فازدادت آواراً ، واشتعل لهيبها، وكلما سعرت نارهــا ، انطمســت الأدلة والبراهين ، وكادت الحقيقة أن تضيع بين بطــون المصادر ، أو على ألسنة الرواة ، حتى انقسم المسلمون على إثــر هــذه الفتنة أحزابا وشيعاً ، ودارت رحى المعارك فيما بينهم ، علــى أســنة الــرماح ، وظبى السيوف ، ثم بين الفرق الإسلامية المخــتلفة فــى ساحات المؤلفات والمدونات ، التى يدافع فيها كل عن رأيه ، ويطعن فى معارضيه ، فكيف حدثت الفتنة فى عهد عثمان ؟ ومــا أســبابها ؟ وكيف كانت خاتمتها الأليمة ؟ هذا ما ستطالعه فى الصفحات التالية :

أسباب الفتنة :

تجمعــت مجموعات من الأسباب ، أدت إلى وقوع الفتنة ، كان لعثمان دخل فى بعضها ، وبعضها الآخر لم يكن له شأن به، ويمكن أن نقسم هذه المجموعات إلى ما يلى :

أولاً: التحولات الاقتصادية والاجتماعية فى الدولة .

ثانياً : مآخذ أخذها الناس على عثمان وطريقة حكمه.

ثالثاً : نشاط الجماعات السرية المعادية للإسلام .

رابعاً : اضطراب حالة الأمصار . وإليك تفاصيل هذه الأسباب:

أولاً: التحولات الاقتصادية والاجتماعية فى الدولة .

ويتمثل هذا الأمر فيما يلى :

١- سماح عثمان بخروج الصحابة إلى مختلف البلاد :

يقول سيف بن عمر [١]: " **لم يمت عمر حتى ملته قريش ، وقد كان حصرهم بالمدينة ، فامتنع عليهم ، وقال : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد ، فإن كان الرجل ليستأذنه فى الغزو ، وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ، ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة ، فيقول : قد كان فى غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلغك ، وخير لك من الغزو اليوم ، ألا ترى الدنيا ، ولا تراك ، فلما ولى عثمان خلى عنهم ، فاضطربوا فى البلاد ، وانقطع إليهم الناس ، فكان (عثمان) أحب إليهم من عمر** " .

يعلق طه حسين [٢]على ما ذكره سيف بن عمر قائلاً : لم يأذن عمر لكبار المهاجرين بالتفرق فى الأرض خوفاً عليهم ، وخوفاً منهم، فكان راشداً فى هذه السياسة كل الرشد ، إذ أمسك هذه الطبقة الممتازة من الصحابة ، ضنا بها ، وضناً بالمسلمين من علو شأن هؤلاء الصحابة فى الأمصار ، فاستقامت أمور المسلمين ، وأمور هذه الطبقة ، بما قام به عمر ، ولما تولى عثمان ، وخلى بنها وبين الطريق ، لم تلبث الفتنة أن أطلت برأسها ، لا لأن هذه الطبقة أرادت ذاك ، بل لأن الأنصار والمشايعين التفوا حول هؤلاء الصحابة ، الذين جمعوا بين

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل ص ٧٦.

(٢) الفتنة عثمان ص ٤٦ ، ٤٧ ، شعوط : أباطيل ص ١٧٧ .

الماضـــى العـــريق فى خدمة الإسلام ، والأموال الطائلة التى أفاءها الله علـــيهم، وبدأ المناصرون لهؤلاء الصحابة فى الأمصار المختلفة ، يدلون بدلوهم فى الأحداث السياسية ، فالبصرة تطالب بطلحة خليفة ، والكوفة تطالب بالزبير ، ومصر تطالب بعلى بن أبى طالب .

٢- تذمر الأعراب والموالى من استبداد قريش بالسلطة :

إن الـــذى ظهر فى خلافة عثمان ، يمكن اعتباره على وجه من الوجوه ، ثورة من العرب على قريش ، لأن أعداداً كبيرة من هؤلاء الأعراب ، قد خاضوا القتال فى معارك الردة ، وفى حركة الفتوح ، واستشـــهد منهم ألوف ، ولكن القيادة والحكم ظل فى قريش[١] ، مما أوغـــر قلـــوب هؤلاء الأعراب ، ونظروا للخلافة نظرتهم إلى القوى المستأثر بجاه الدين ، والدنيا ، وحق الخلافة والسطوة ، وقالوا : إن ســـابقة قـــريش فـــى الإسلام قد تسوغ لها تبوء منصب الخلافة دون العـــرب ، ولكن هذا لا يسوغ لقريش تولى قيادة الأمصار الإسلامية دونهم ، كما أن العبيد والموالى الذين دانوا بالإسلام كانوا على نفس الوتـــيرة من السخط ، متبرمين ، لا يرضون عن حظهم من العيش ، بعد أن علمهم الإسلام حقوق المساواة ، وشرع لهم شريعة الانصاف، وحسبك دليلاً على ما نقوله أن معظم المتآمرين على قتل عثمان كانوا من هؤلاء العبيد والموالى والأعراب [٢].

٣- التحول الاجتماعى فى المدينة :

اخـــتلف المجتمع الإسلامى فى عهد عثمان ، عما كان فى عهد

---

(١) مؤنس : تاريخ قريش ص ٦٣١ ، ٦٣٢ .

(٢) العقاد : عبقرية على ص ٤٦ ، ٤٧ ، هيكل : عثمان ص ١٠١ – ١٠٣.

أبى بكر وعمر ، ولعلنا نذكر فى كتاب عثمان للرعية أنه ذكر حديث الرسـول ﷺ ، الـذى يحذر من الفتنة ، لتكامل النعم ، ولبلوغ أولاد السـبايا ، ولقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، حيث حدث هذا على عهـد عثمان ، وظهر جيل جديد من المسلمين ، لم يشاهدوا الرسول ﷺ ، بـل كـانوا من أصول فارسية ، أو رومية ، وكان لنشأتهم تلك أثـرها الواضـح فـى تصرفاتهم ، فهم لم يفهموا الإسلام كما فهمه الصـحابة ، والذيـن أخـذوا عن الصحابة ، وكان بعضهم ذا لسان أعجمى ، فإذا أشكل عليهم شىء فى الدين ، تأولوا [1].

وقد قال ﷺ ، " **الكفر فى العجمة**" ، وقد دخلت أعداد من هؤلاء إلى المدينة المنورة ، من ذوى الأصول الفارسية والرومية ، وبعضهم لـم يتعمق فى الإسلام ، وبعضهم حاقد عليه ، وما حادثة مقتل عمر بن الخطاب على يد بعض هؤلاء منا ببعيد [2].

كما أن ازدياد أعداد هؤلاء من مسلمى الفرس والروم والموالى فى المديـنة ، وخـروج الصحابة منها للأمصار ، قد شجع أصحاب الأهواء على البدء العمل فى الخفاء ، وزاد الأمر سوءاً كثرة الأموال فى المدينة ، وشيوع الرفاهية من صيد الحمام ، مما جعل الألسنة تتكلم ، وبدا الحديث عن الخليفة نقطة انطلاق ، والتهديم فى المجتمع بدء ارتكاز [3].

٤- السياسة المالية لعثمان :

حيث سمح عثمان للمسلمين بنقل الفئ ، وبيعه ، وشراء غيره، بدلاً من حصر كل شخص بجوار أملاكه من الفئ ، وابتهج المسلمون بذلك ،

---

(١) شعوط : أباطيل ص ١٧٧.
(٢) محمود شاكر : الخلفاء ص ٢٤٢.
(٣) محمود شاكر : الخلفاء ص ٢٤٢.

حيث فتح الله عليهم أمراً لم يكن فى حسبانهم ، لا سيما وقد كان فريق من كـبار الصحابة يملكون كثيراً من الأموال ، فاشتروا بها أرضاً بالعراق ، حيـث خصوبة الأرض ، وتحولوا بعد قليل إلى كبار الأثرياء ، مما أدى إلى تذمر العرب ، الذين يقيمون فى أمصار العراق ، وازداد سخطهم على عثمان وولاته ، لاستئثار تلك الطبقة من الصحابة بالأموال ، والأراضى ، والأمـلاك، فطلـبوا من الخليفة عثمان ألا يعطى من الفئ إلا الذين قاتلوا عليه، وبالتالى فقد جاءت خطوة نقل الفئ بنتيجة عكسية ، على غير ما كان يتوقع عثمان، وكان هذا سبباً من أسباب الثورة عليه [١].

ثانياً : **مآخذ أخذها الناس على عثمان وطريقة حكمه** :

وهى تنقسم بدورها إلى عدة أنواع فمنها سياسى ، ومنها دينى، ومنها مالى، ومنها شخصى ، وإليك بيان ذلك .

١- الأسباب الدينية : **ومن أهمها** :

أ- أنـه أتم الصلاة فـى مـنى وعرفة ، مع أن الرسول ﷺ وصاحبه كانوا يصلونها على القصر.

الـرد على ذلك : أن عثمان كان قد اتخذ زوجة له بمكة ، فتم الصـلاة ، ولأنه علم بأن الناس قد افتتنوا بالقصر فى الصلاة ، حتى قصـروها فى منازلهم ، فرأى عثمان أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة ، فترك القصر ، وأتم وعد ذلك اجتهاداً له [٢].

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/٢٨٠ ، ٢٨١ ، هيكل :عثمان ص ١١٥، ١١٦ ، طه حسين : الفتنة عثمان ص ١٩٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ابن العربى : العواصم ص ٦٢ ، ٧٨ ، ٧٩ ، الذهبى : السير ٢/٥٨٧.

ب- أنه جمع القرآن وحرق المصاحف :

تحدثنا فيما قبل عن أسباب قيام عثمان بتوحيد المصاحف على لغـــة قـــريش ، وبيـــنا الحكمة من ذلك ، وهى الخوف من اختلاف المسلمين فى قراءتهم للقرآن ، كما اختلف اليهود والنصارى .

وقـــد أثنى ابن العربى على هذا العمل من عثمان فقال : " **وأما جمـــع القـــرآن فتلك حسنته العظمى ، وخصلته الكبرى ، وإن كان وجدهـــا كاملـــة ، لكـــنه أظهرها ، ورد الناس إليها ، وحسم مادة الخلاف فيها ، ... وأما ما روى أنه حرقها ، ... فإذا كان فى بقائها فساد ، أو كان فيها ما ليس فى القرآن ، أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمه ، فقد سلّم فى ذلك الصحابة كلهم** "[١].

ج - أنه وقف على المنبر درجة رسول الله ﷺ على المنبر :

بيـــنما كـــان أبـــو بكـــر قد انحط عنها درجة ، وكذلك عمر ، والحقيقة أنه لو كان على كل خليفة أن ينزل درجة لكان على الخليفة السابع عشر أن يخطب الناس من بئر[٢] ، كما أن الصحابة لم ينكروا ذلـــك علـــيه إذ رأوا جوازه ابتداء ، ناهيك عن أن اتساع المسجد ، ووجـــود بعـــض المصـــلين بعـــيداً عـــن المنبر يجوز أن يكون من ضرورات ارتفاع الخطيب ليراهم ويسمعوه [٣].

د - أنه امتنع عن القصاص من عبيد الله بن عمر :

وقد أوضحنا ذلك آنفا وبينا أنه اجتهد فى الأمر .

---

(١) ابن العربى : العواصم ص ٦١ ، ٦٦ ، ٧١ - ٧٣.

(٢) مقدمة الفتنة لسيف بن عمر ص ١٠ - ١٤.

(٣) ابن العربى : العواصم ص ١٠٣ متن وحاشية .

٢- تعرض عثمان لبعض الصحابة ومن ذلك :

أ- ضربه لعبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه ، وضربه لعمار بـــن ياسر حتى فتق أمعاءه ، حينما قام الأخير بوعظه ، ومطالبته لعثمان بمــراجعة الحق ، واستنكار ما يقوم به من أعمال ، وتولية أقاربه ، وأجـــاب عـــن ذلـــك ابن العربى بأن قصة ضربه لابن مسعود زور وبهتان ، وضربه لعمار إفك مثله ، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً [١].

ب - نفى أبى (٢) ذر إلى الربذة :

حيـــث كان أبو ذر يقيم فى بلاد الشام ، واشتد فى إنكاره على مـــن يكتـــنز المال والذهب والفضة لقوله تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾**[٣]، فـــنهى معاويـــة أباذر عن ذلك ، فلم ينته ، فأرسل بخبره إلى عثمان ، فاســـتدعاه إلى المدينة ، ولامه على ما صدر منه ، فاستأذن أبو ذر من عـــثمان أن يقيم فى الربذة ، لأن رسول الله ﷺ قال له : " **إذا بلغ البناء**

---

(١) الطبرى ٤/ ٢٧٥ ، ٤٧٦ ، ابن العربى : العواصم ص ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤.

(٢) أبو ذر الغفارى : جندب ، بن جنادة ، أسلم قديماً على يد الرسول ﷺ، فكان خـــامس من أسلم ، ثم عاد إلى بلاده وقومه ، وظل معهم حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المديـــنة ، فهاجر أبو ذر إليه بعد الخندق ، ولازم الرسول ﷺ ، حضراً وسفراً ، وأثنى علـــيه الرســـول ﷺ ، وخرج إلى بلاد الشام فى خلافة عمر ، ولما اشتد أبو ذر على الأغنـــياء ، واشـــتكى منه معاوية ، استقدمه عثمان إلى المدينة ، فنزل أبو ذر الربذة ، ومـــات بها سنة ٣٢ هـ ، وصلى عليه عبد الله بن مسعود ، وهو فى طريقه من العراق إلى المدينة حاجاً ، ابن كثير : البداية ٧/ ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) آية ٣٤ سورة التوبة.

سـلعا ، فاخـرج منها " ، فأذن لـه عثمان، وأمره بأن يتعاهد المدينة حتى لا يرتد أعرابياً بعد هجرته ، ومكث بها حتى توفى[١].

جـ - إخراج أبى الدرداء من الشام :

كـان أبـو الـدرداء قاضياً لمعاوية فى بلاد الشام ، واشتد فى تطبيق سيرة عمر فى بلاد الشام ، ودار بينه وبين معاوية كلام ، ولم يحـتملوا سـيرته فـيهم ، فعزله معاوية ، فعاد للمدينة ، وهذه كلها مصالح لا تقدح فى الدين ، ولا تؤثر فى منزلة أحد [٢].

٣- نسبة أمور تقدح فى صحبة عثمان للرسول ﷺ :

ومـنها عدم حضوره لغزوة بدر ، وفراره يوم أحد ، وحنين ، وتخلفـه عـن بيعة الرضوان ، ولقد أجاب ابن العربى عن ذلك بأن تغيـبه عن بدر لأن عثمان كان بإذن من الرسول ﷺ يمرض زوجه رقية ابنة الرسول ﷺ ، وضرب لـه ﷺ بنصيبه وأجره فى الغزوة ، وأما فراره يوم أحد فإن الله عفا عنه ، وغفر لـه ولمن معه ، حيث قال : ﴿ **وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ** ﴾ [٣] وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فلو كان أحد ببطن مكة أعز من عثمان ، لبعثه الرسول ﷺ سفيراً لقـريش ، ويكفى أن الرسول ضرب بيده اليسرى على اليمنى ، وقـال : هـذه يـد عثمان أبايعه بها ، فكانت يد الرسول ﷺ خير لعثمان من يده ، وأما يوم حنين فقد انخزل الجميع ، ولم يثبت مع الرسـول ﷺ إلا القلـيل ، فكان عثمان كغيره فى ذلك ، وهو أمر

---

(١) ابن العربى : العواصم ص ٦١ ، ٧٣ - ٧٦ ، ابن كثير : البداية ١٤٧/٧.

(٢) ابن العربى : العواصم ص ٦٢ ، ٧٧ .

(٣) من الآية ١٥٥ سورة آل عمران .

اشترك فيه الصحابة ، وقد عفا الله عنه ورسوله ، فلا يحل ذكر ما أسقط الله ورسوله والمؤمنون [١].

٤- أمور استحدثها عثمان : **ومنها** :

أ- أنه زاد النداء الثالث يوم الجمعة .

ب- أنه حمى الحمى لإبل الصدقة ، وقد أجاب ابن العربى عن ذلك بـأن هذا كان معمولاً به فى خلافة عمر ، ولما زادت الإبل ، زاد عثمان فى حماها ، فإذا جاز أصله للحاجة إليه ، جازت الزيادة للحاجة [٢].

جـ - أنه ضرب بالعصى ، وكان عمر يضرب بالدرة .

أجاب ابن العربى من ذلك بأنه باطل يحكى وليس له سند[٣].

د- تطـاول عثمان فى البنيان ، حتى عدوا له سبع دور بناها بالمدينة [٤].

هـ - سقوط خاتم النبى ﷺ من يد عثمان فى بئر أريس ، وفقده، وحزن عثمان عليه ، واضطراره لصنع خاتم آخر ، فتشائم الناس من ذلك [٥].

٥- تخصيص عثمان لأهل بيته بالعطاء : ومن ذلك:

أ- أنـه أعطى عبد الله بن سعد بن أبى السرح خمس الخمس من غنائم أفريقية .

---

(١) ابن العربى : العواصم ص ١٠٣ - ١٠٥.

(٢) ابن العربى : العواصم ص ٧٢ ، ٧٣ ، عبد الوهاب النجار : الخلفاء ص ٣٤٥.

(٣) ابن العربى : العواصم ص ٦٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ..

(٤) عبد الوهاب النجار : الخلفاء ص ٣٤٥.

(٥) ابن الأثير : الكامل ٣/ ١١٤.

أجـــاب ابـــن العربى أنه أعطاه ذلك لجهاده المشكور ، ثم عاد فاســـترده ، لمـــا ظهر الرفض من الصحابة ، وعلى فرض أنه أقره علـــى هـــذا العطـــاء ، فقد أقطع الرسول ﷺ أقواما ، ليتألف قلوبهم للإســـلام ، وأقطـــع الخلفاء من بعده من رأوا فى إقطاعه صلاحاً ، وأقطع عثمان الزبير ، وخباب ، وابن مسعود ، وأقطع علىٌّ من بعده كردوس بن هانى ، فكيف ينكرون هذا على عثمان ؟ ويسكتون عن عمر وعلى ؟[١] .

ب- أنه وصل عبد الله بن خالد بن أسيد بأربعمائة ألف دينار، وأعطى أبا سفيان مائتى ألف دينار ، وزوج الحارث بن الحكم ابنته عائشـــة ، وأعطـــاه مائة ألف دينار [٢]**، وبالجملة احب أهل بيته ، وأعطـــاهم المال الوفير**[٣] ، ولقد رد عثمان على هذه الأمور ، بأنه أحب أهل بيته ، ولم يمل معهم على جور ، وأما إعطاؤهم فكان من مالـــه الخاص ، وهو لا يستحل أموال المسلمين لنفسه ، ولا لأحد من الناس من دون حق [٤].

ج – أن عـــثمان رد الحكـــم بـــن العاص إلى المدينة ، وكان رســـول الله قد طرده ونفاه منها إلى الطائف ، ووصله عثمان بمائة ألف دينار .

أجاب ابن العربى عن ذلك بأن عثمان كان قد استأذن رسول الله

---

(١) ابن العربى : العواصم ص ٦٢ ، ١٠٠، وحواشى ص ١٠٠ – ١٠٢.

(٢) عبد الوهاب النجار : الخلفاء ص ٣٤٥.

(٣) هيكل : عثمان ص ١١٩ ، ١٢٠.

(٤) هيكل : عثمان ص ١٢٠.

ﷺ فـــى رد عمه الحكم ، فأذن له الرسول ﷺ ، ولم يتم الأمر لوفاته ﷺ، فطلـــب عثمان من أبى بكر وعمر رد الحكم ، فقالا له : إن كان معـــك شاهد رددناه ، فلما تولى عثمان قضى فى أمر الحكم بعلمه ، ورده إلى المدينة ، وقال :رسول الله ﷺ سيره ، ورسول الله ﷺ رده ، وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ﷺ ، حتى ولو كان أباه (١).

٦- تخصيص عثمان لأهل بيته بولاية الأمصار :

أنكـــر الـــناس على عثمان قيامه بعزل العمال القدامى ، الذين كانوا يـــتولون الأمصـــار الإســـلامية على عهد عمر ، وتولية آخرين من بنى عمومته ، وأقربائه ، الذين أساءوا السيرة ، وتجاوزوا الحد، وأنهوا السيرة الطيـــبة الـــتى تمـــتع بها عمال عمر وهذا كان من أخطر الأسباب التى ســـعرت نار الفتنة ضد عثمان (٢) ، ولنحاول أن نقف على سيرة هؤلاء العمال والأوضاع السياسية فى أمصارهم لنتمكن من رد هذه الشبهة عن عثمان وعماله .

أ- معاوية بن أبى سفيان والى الشام :

تولـــى معاوية ولاية الشام لأبى بكر ، ثم عمر ، وأقره عثمان على ذلك ، لجدارته بمنصبه ، ولحسن قيامه بأمور الإقليم (٣) ، ومن ثـــم فلا لوم على عثمان فى إبقائه لأن معاوية استحوذ على ثقة أبى بكـــر وعمر ومن قبلهما ثقة النبى ﷺ وكان معاوية جديراً بتولى حكم هذا الأقليم طيلة هذه الفترة .

---

(١) ابن العربى : العواصم ص ٦٢ ، ٧٧ ، هيكل : عثمان ص ١١٩ ، ١٢٠.

(٢) السيد سالم : الدولة العربية ص ٢٨٣.

(٣) ابن العربى : العواصم ص ٦٢ ، ٨١.

ب- عبد الله بن عامر بن كريز والى البصرة :

هو ابن خال عثمان ، ولاه على البصرة ، وعزل أبا موسى الأشعرى الذى أثنى عليه قبل مغادرة البصرة ، فقال للقوم : قد آتاكم فتى من قريش ، كريم الأمهات ، والعمات ، والخالات ، وكان لما ولدته أمه جئ به إلى النبى ﷺ وهو صغير ، فقال : هذا يشبهنا ، وجعل رسول الله ﷺ يتفل فى فيه ، ويعوذه ، وعبد الله يسُوغُ ريق النبى ﷺ ، الذى قال : إنه لمسقى ، فكان عبد الله لا يعالج أرضاً إلا ظهر فيها الماء [١]، وكان كثير المناقب ، وافتتح خراسان ، وقتل يزدجر فى ولايته ، وأحرم من نيسابور شكراً لله ، وهو الذى عمل السقاية بعرفة .

ويبدو أن قضاء عبد الله بن عامر على آخر ملوك الفرس ، دفع أهل الأهواء منهم للحقد على عبد الله ، ومحاربته بسلاح الكذب والدس عليه [٢].

جـ - الوليد بن عقبة والى الكوفة :

هو من أكثر ولاة عثمان ، الذين نالوا كثيراً من التشنيع من الثوار ، وحملوا بسببه على عثمان حملة عنيفة ، لأنه كان أخو عثمان لأمه ، ولاه عثمان الكوفة سنة ٢٥ هـ ، وعزل عنها سعد بن أبى وقاص ، واتُهم الوليد بالفسق وأنه المراد فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [٣]، كما اتهم بشرب الخمر ، والصلاة

---

(١) الزبيرى : نسب قريش ص ١٤٨ ، الذهبى : السير ٤/ ٢١٥ - ٢١٧.

(٢) محب الدين الخطيب : حاشية العواصم ص ٨٤ .

(٣) من الآية ٦ سورة الحجرات .

بالمسلمين الفجر أربعاً وهو سكران[١].

ونـــرد علـــى ذلـــك بأن الوليد عمل مع أبى بكر الصديق ، فكان رســـولاً بينه وبين خالد بن الوليد ، وتولى الوليد جمع صدقات قضاعة، كمـــا قاد فيالق الجهاد إلى بلاد الشام ، وتولى سنة ٢٥ هـ إمارة تغلب ، وفـــى عهـــد عثمان تولى إمارة الكوفة ، فكان من خير ولاتها ، عدلاً ، وإحساناً ، وكانت جيوشه تسير فى آفاق الشرق فاتحة [٢].

وأما كون الوليد هو المراد بالفسق فى الآية الكريمة فمختلف فيه، لأنـــه كـــان صـــبياً حيـــن فـــتح الرسول ﷺ مكة ، فكيف يرسله لجمع الصـــدقات، وكيف يسمى القرآن الوليد فاسقاً ، ثم يستخدمه أبو بكر، ثم عمر ، وتكون لـــه المكانة المرموقة التى نالها فى عهديهما ، إذ لابد أن هناك لبسا فى الموضوع ، فمن قال فى التفسير أن الآية نزلت فى الوليد قوله موقوف ، لا سند له ، وبالتالى فإن الأخبار الواردة بشأن الوليد فى ســـبب نـــزول الآيـــة لا يجوز علمياً أن يبنى عليها حكم شرعى ، أو تـــاريخى ، ولا يجوز أن يوصم بهذا الوليد المجاهد ، الذى كان موضع ثقة أبى بكر وعمر [٣] .

وأما حد الوليد فى الخمر فعلى فرض اقترافه لذلك ، فقد حد عمـــر بـــن الخطاب قدامة بن مظعون على الخمر وهو أمير ، ثم عزلـــه ، وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت ، والذين شهدوا على الوليد بشرب الخمر هم : أبو زينب بن عوف الأزدى ، وأبو

---

(١) الذهبى : السير ٤/ ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٨٣، ابن كثير :البداية ٧/١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) محب الدين الخطيب : حاشية العواصم ص ٨٥ – ٨٧.

(٣) ابن العربى : العواصم ص ٩٠ – ٩٣ متن وحاشية .

مورع ، وجندب أبو زهير ، والثلاثة اقتص الوليد من أبنائهم حينما ارتكبوا جريمة قتل فى الكوفة ، ومن ثم حرصوا على الانتقام منه، والـدس لـه عند عثمان ، فسرقوا خاتمه وهو نائم ، وادعوا عند عـثمان أنهم أخذوه منه وهو سكران ، فاستدعاه عثمان ، وسأله ، فأنكر الوليد ، ولكن شهادة الشهود اقتضت إقامة الحد عليه (١).

وأمـا ما اتهم به الوليد من صلاته الفجر أربعاً وهو سكران فهذا الخبر منقول عن "**الحضين بن المنذر**"، وهو لم يكن بالكوفة وقت الحادثـة ، ولـم يكـن من شهود إقامة حد الشرب على الوليد ، ومنقول الخـبر أيضـاً عـن شـخص يسمى "**حمران**" ، وهذا طرده عثمان من المديـنة، لـزواجه من امرأة وهى فى عدتها ، فذهب للكوفة وهو يحمل غـلا لعـثمان ، ومن ثم فمثل هؤلاء الشهود لا يقام بهم حد على عوام المسـلمين ، فكيف لو كان صحابى مجاهد ، وضع الخليفة فى يده مقاليد الكوفة ، وقيادة جيشها، فكان عند الظن به من حسن السيرة ، وكان موضع ثقة لثلاثة من الخلفاء (٢).

وقرابة الوليد من عثمان التى يزعم الكذبة أنها سبب المحاباة مـنه لهم إنما كانت سبب التسامح من عثمان فى عزلهم ، والقسوة علـيهم ، لئلا يقول السفهاء : إن له هوى فى ذوى قرابته ، وعلى كـل حال فالشهود الذين شهدوا بين يدى عثمان على الوليد بشرب الخمر ، لم يدعوا حكاية صلاته بهم سكرانا الفجر أربعاً ، مع أنهم لم يكونوا ممن يخاف الله (٣).

---

(١) ابن العربى : العواصم ص ٩٠ – ٩٣ ، وحواشى ص ٩٤ – ٩٨.

(٢) محب الدين الخطيب : حاشية العواصم ص ٩٤ – ٩٩.

(٣) محب الدين الخطيب : حاشية العواصم ص ٩٤ ، ٩٩.

وقـد أثـنى الشعبى المتأخر على الوليد حينما سمع ببطولة مسـلمة بن عبد الملك ، وجهاده ، فقال : كيف لو أدركتم الوليد بن عقـبة ، غـزوه ، وإمارته ، إنه كان ليغزو .. ، ما قصر ، ولا انـتقض علـيه أحد ، فهذه شهادة حق بظهر الغيب من قاضى من أعظم قضاة الإسلام [١].

ولقـد انصف طه حسين الوليد حينما قال : إن هذه القصة – صـلاة الوليد للفجر أربعاً وهو سكران – مخترعة من أصلها فيما اعتقد ، فلو قد زاد الوليد فى الصلاة لما تبعته جماعة من المسلمين من أهل الكوفة ، وفيهم نفر من أصحاب النبى ﷺ ، وفيهم القراء ، والصـالحون ، ولما رضى المسلمون من عثمان بما أقام عليه من حـد الخمر ، فإن الزيادة فى الصلاة ، والعبث بها ، أعظم خطراً عند الله ، وعند المسلمين من شرب الخمر [٢].

د – مروان [٣] بن الحكم كاتم السر :

اتهم عثمان بأنه استعمل الأحداث ، ومنهم مروان فى الوظائف، وأجاب عثمان عن هذا بنفسه فقال : إن الرسول ﷺ استعمل أسامة بن

---

(١) محب الدين الخطيب : حاشية العواصم ص ٩٩ ، ١٠٠.

(٢) طه حسين : الفتنة عثمان ص ٩٦.

(٣) مـروان ، بـن الحكم ، بن أبى العاص ، القرشى ، الأموى ، ولد فى حياة النبى ﷺ ، وله صحبه ، وقربه عثمان إليه ، فكان كاتبه ، وحامل ختمه ، ودافع عـن عـثمان حينما حوصر ، ثم خرج إلى مكة بعد مقتله ، وقاتل فى الجمل ضد الإمـام على ، ولما تولى معاوية الخلافة استنابه على المدينة غير مرة ، وتولى مروان الخلافـة سـنة ٦٤هـ ، بعد موت معاوية بن يزيد، وتوفى مروان سنة ٦٥ هـ ، عن ثلاث وستين سنة ، ودفن بدمشق ، ابن كثير : البداية ٨/ ٢٤٢- ٢٤٦ .

زيـد وهـو حدث [١]، كما اتهم مروان كالوليد بالفسق فنافح عنه ابن العـربى ، وقـال : أما قول القائلين فى مروان والوليد فشديد عليهم وحكمهمـا عليهما بالفسق فسق منهم ، فمروان رجل عدل ، من كبار الأئمـة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين ، أما الصحابة فإن سـهل بـن سعد الساعدى روى عنه ، وأما التابعون فأصحابه فى السـن، وإن جازهم باسم الصحبة ، وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه، واعتبار خلافته ، والتلفت إلى فتواه ، والانقياد إلى روايته ، وأما السفهاء من المؤرخين ، والأدباء فيقولون على أقدارهم [٢].

هـ - عبد الله سعد بن أبى السرح والى مصر :

ولاه عثمان ولاية مصر بدلاً من عمرو بن العاص ، وكان أخا لعـثمان مـن الرضاعة ، وممن كذب على رسول الله ﷺ ، وارتد، وأهـدر النبى ﷺ دمه ، حتى عاد للإسلام ، وتوسط لـه عثمان عند الرسـول ﷺ عـند فتح مكة ، وأتُهم عبد الله بن سعد بالاستبداد بأهل مصـر ، والإساءة إليهم، وشكاه جماعة منهم إلى عثمان ، فأمره أن يحسـن معاملـتهم ، ولكن عبد الله بن سعد أبى أن يقبل ما نهاه عنه عثمان ، وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان [٣].

قـال عنه الذهبى : كان محمود السيرة ، وأحد عقلاء الرجال، وأجودهـم ، أسلم يوم الفتح ، ولم يفعل ما ينقم عليه بعد ذلك ، وولاه عـثمان مصر كلها ، ولما احتضر قال ابن أبى السرح : اللهم اجعل

---

(١) هيكل : عثمان ص ١١٩ ، ١٢٠.

(٢) ابن العربى : العواصم ص ٨٨ - ٩٠.

(٣) الذهبى : السير ٢٢٥/٤ - ٢٢٧ ، السيد سالم : الدولة العربية ص ٢٨٥ - ٢٨٧.

خاتمة عملي صلاة الصبح ، فصلاها ، وقبض من فوره [١].

إذا فهؤلاء هم الولاة والعمال ، الذين كال المتهمون لهم الاتهامات ، وشــنعوا علــى عــثمان لتوليــتهم ، واتهموه بالمحاباة لهم ، وترك كبار الصحابة ، وقد كان لعثمان الحجة فى ذلك ، إذ كان عمر يولى بعض الصحابة ، ويترك من هم أفضل منهم ، ورد على من انتقد ذلك ، بأنه لا يــريد أن يدنس هؤلاء الصحابة الأجلاء بالعمل ، وحتى لا يكون هناك حرج إذا ما أراد محاسبتهم ، وكذلك كان عثمان.

كمــا أن جــيل الصــحابة المعاصر لعثمان كانوا قد كبروا فى الســن، بالمقارنة بأعمارهم فى خلافة أبى بكر وعمر ، وقد كان يتم ترجــيح الصف الثانى من الصحابة ، والثالث ، لولاية الأقاليم ، كما حــدث فــى عهد الرسول ﷺ ، حيث كان عتاب بن أسيد الأموى فى مكة ، وعثمان بن أبى العاص فى الطائف [٢].

وبالنسبة لاتهام المحاباة من جانب عثمان لأقربائه فليس بصحيح تمامــاً ، فقــد كان بعضهم ممن عينه عمر كمعاوية ، كؤفاً للولاية ، فأقره عثمان ، وأما باقى الولاة كالوليد بن عقبة ، وعبد الله بن عامر، وعــبد الله بن أبى السرح ، فقد شوهت المصادر صورهم الحقيقية ، فــبالرجوع لكتــب الرجال نجد أنها أثنت عليهم ، ومعهم مروان بن الحكــم ، فكــانوا أصــحاب كفاءة وفضل ، كما ذكر ابن العربى فى العواصــم ، وكانوا أهلاً لهذه الوظائف ، وجديرين بها ، ومن الظلم

---

(١) الذهبى : السير ٤/ ٢٢٧.

(٢) ابــن ســعد : الطــبقات ٣/٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠٥ ، محمد ياسين : البحاث المغرضة ص ١٢٥.

حرمان القريب الكفء من الوظيفة بسبب القرابة ، فهذا ليس عدلاً[١].

ثالثاً : نشاط الجماعات السرية المعادية للإسلام :

لا مــراء فى أن هذا السبب كان من الأسباب المهمة ، والخطيرة، التى أشــعلت نار الثورة على عثمان ، - رضى الله عنه - فهؤلاء بسوء نية مــنهم ، أو قصــد ، هــم الذين تجرؤا ، وتحركوا ، وتحزبوا، واقتحموا المدينة على حين غفلة من أهلها ، وارتكبوا هذا الجرم الخطير ، ألا وهو قتل الخليفة عثمان ، فكيف ظهر هؤلاء ؟، وما هى مشاربهم ومعتقداتهم ؟ وما أشهر جماعتهم ؟ ، إليك بيان ذلك .

١- الأعاجم وأهل الكتاب :

فقــد شعر الأعاجم باستعلاء العرب المسلمين عليهم ، وتحكمهم فــيهم ، ولــم يكن للعرب قبل عشرين سنة أى سلطان ، فكيف يقبل هؤلاء الأعاجم سيادة العرب عليهم ، فكانت هذه المحاولات لبث روح الفــرقة والخلاف فى الدولة الإسلامية ، وأما أهل الكتاب من اليهود والنصـــارى ، وخاصـــة اليهود ، سواء من أسلم منهم نفاقاً ، ومن لم يسلم ، لم يكن أحد منهم يظن أن ديناً جديداً سيجيلهم عن مواطنهم فى شــبه الجزيرة العربية ، وها هم أولاء العرب قد أجلوهم عنها ، وقد حقــق الأعــاجم وأهل الكتاب نجاحاً ، بقتلهم الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، وكان ذلك نزيراً باستفحال الأمر فى عهد عثمان ، ولم يكن أحد يتوقع أن يتطور هذا العامل ، ليشعل حرباً وثورة داخلية ، تؤدى لقتل عثمان بعد ذلك [٢].

---

(١) محمد ياسين : الهجمات المغرضة ص ١٢٥ - ١٣٠.

(٢) هيكل : عثمان ص ١٠١ - ١٠٣.

٢- السبئية :

ينـتمى هـؤلاء السبئية إلى عبد الله بن سبأ ، يهودى من أهل صـنعاء ، أسلم على عهد عثمان ، ويكنى بابن السوداء ، وقد أضمر الشـر والكـيد للإسـلام ، فعمل على نشر الضلالة بين المسلمين ، والقول بما ليس فى الدين ، وجال فى الأمصار الإسلامية ، الحجاز ، ثـم الكوفة ، ثم البصرة ، ثم الشام ، ولم يتمكن من تحقيق شىء ذى بال فيها ، فاستقر به المقام فى مصر ، وأثمرت فيها دعوته الخبيثة ، ونشر فيها جملة من المبادئ الضالة [١] وهى :

أ- الرجعة : حيث قال : العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكـذب بـأن محمداً يرجع ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَـيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾[٢] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، فقبل هذا الرأى منه .

ب - الوصية : حيـث قـال : إنه كان ألف نبى ، ولكل نبى وصـى، وكـان على بن أبى طالب وصى محمد ﷺ ، ومحمد خاتم الأنبـياء وعلى خاتم الأوصياء ، وأضاف قائلاً : ومن أظلم ممن لم يجـز وصـية رسـول الله ﷺ ، ووثب على وصى رسول الله ﷺ ، وتحدث ابن سبأ فى شأن الأمة والخليفة وقال : إن عثمان أخذ الخلافة بغـير حـق ، وهـذا وصى رسول الله ﷺ ، فانهضوا فى هذا الأمر وحركوه ، ووضع لأتباعه خطه يسيرون عليها ، وهى البدء بالطعن فـى الأمراء ، والعمال ، أتباع عثمان ، وإظهار الأمر بالمعروف ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٣٤٠ ، ٣٤١.

(٢) من الآية ٨٥ سورة القصص.

والنهى عن المنكر ، واستمالة الناس ، ودعوتهم لهذا الأمر [١].

لـيس هـناك شك فى أن تعاليم ابن سبأ من القول بالرجعة ، والوصـية، لـيس مـن الإسلام فى شىء ، بل هى من تعاليم النحل والديانـات المخـتلفة ، التى وجدت قبل الإسلام ، فليس للرسول ﷺ وصى ، وليس هناك رجعة ، فكل نفس ذائقة الموت[٢].

بـث عـبد الله بن سبأ دعاته فى الأمصار ، وكاتب المفسدين من أمـثاله ، ودعـاهم إلـى الدعوة بمبادئه سراً ، وإظهار الأمر بالمعروف والـنهى عـن المـنكر ، كما بدأ هؤلاء السبئية بكتابة الكتب لبعضهم فى مساوئ ولاتهم ، وتبادل هذه الكتب مع بعضهم، حتى وصلوا لنقد الأمور فـى المديـنة المـنورة ، وتناول الخليفة عثمان ذاته ، ونشر الإشاعات وإظهار غير ما يبطنون ، حتى أجمع سبئية الأمصار على القول: إنا لفى عافية مما ابتلى به أهل المدينة [٣].

ومـن أشـد الأمور خطوره قيام هؤلاء السبئية بكتابة الرسائل والكتب على لسان الصحابة ، كالسيدة عائشة ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحـة ، والزبـير ، ومفـاد هذه الكتب التحريض على عثمان من هؤلاء الصحابة ، ودعوة الوفود الثائرة للوثوب على المدينة ، لتغيير عـثمان ، وتولـية أحد هؤلاء الصحابة بدلا منه ، وقد ظهرت حقيقة هـذه الكتـب المفـتراة ، حينما دخل الثوار المدينة ، ورفض هؤلاء الصحابة الاستجابة لمطالبهم ، من تولية أحدهم للخلافة ، فقالوا لهم :

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٣٤٠ ، ٣٤١.

(٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ص ١١١ ، ١١٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٣٤١.

فلماذا أرسلتم إلينا هذه الكتب بالمجئ ، وتغيير المنكر ؟ فأقسموا أنهم ما كتبوا لأحد بذلك ، والسيدة عائشة حين اتهمها البعض بكتابة كتب التحريض على عثمان ، قالت : والله ما كتبت لهم سواداً فى بياض ، إذن كانــت هــذه الكتــب إحــدى وسائل السبئية ، لاشعال الثورة ، والإيحاء بأن كبار الصحابة يحرضونهم على عثمان[١].

ويحاول طه حسين [٢] التشكيك والتقليل من أثر السبئية فى اشعال نــار الفتــنة ، فــيقول : فلنقف من هذا كله موقف التحفظ ، والتحرج ، والاحتياط ، ولنكبر المسلمين فى صدر الإسلام ، من أن يعبث بدينهم ، وسياســتهم ، وعقولهم ، ودولتهم ، رجل أقبل من صنعاء ، وكانت أمه سوداء ، وكان يهودياً ، ثم أسلم ، لا رغباً ولا رهباً ، ولكن مكراً وكيداً، وخداعاً ، ثم أتيح له من الحجج ما كان يبتغى ، فحرض المسلمين على خليفتهم ، حتى قتلوه ، وفرقهم بعد ذلك .

ولا أدرى هل هذا تحفظ على دور ابن سبأ كما فى صدر كلامه ؟ ، أم هــو تأكــيد على دوره فى الفتنة كما جاء فى عجزه ، وهذا ما أظنه الصواب .

رابعاً : **اضطراب حالة الأمصار** :

١- الحالة فى مصر :

كانــت مصــر كما أوضحنا مستقراً لفتنة السبئية وأفكارهم ، التى نشــروها ، وروجــوا لها فى شتى الأمصار ، حتى وصل خبرها إلى

---

(١) ابــن العــربى : العواصم ص ٦٠ ، ١٣٦ ، خليفة بن خياط : تاريخه ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية ١٦٣/٧.

(٢) الفتنة عثمان ص ١٣٤.

المدينة المنورة ، ووصلت إلى آذان الخليفة ، فاستثار الصحابة فى كيفية التحقق من ذلك ، ومواجهته ، والتصدى لـه ، فأشاروا عليه بإرسال مندوبين ثقات من عنده إلى كل الأمصار ، لمعرفة مصادر هذه الإشاعات المضللة ، التى تطعن فى الخليفة ، وحقيقة ما يروج لـه السبئية فى مصر[١].

أرسل عثمان محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعبد الله بن عمر إلى الشام ، وعمار بن ياسر لمصر ، فعاد جميع هؤلاء ، إلا عمار بن ياسر ، وقالوا للخليفة عثمان وللمسلمين فى المدينة المنورة : "**أيها الناس ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين ، ولا عوامهم ، ... والأمر أمر المسلمين ، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ، ويقومون عليهم**" ، أى أن هؤلاء المندوبين الذين أرسلهم عثمان عادوا وأخبروا بأن الأمور شبه مستقرة فى الأمصار التى زاروها ، وإن كان هناك حيف من بعض الأمراء على الرعية ، ولكنه ليس بالشيء الخطير[٢]، ولكن لماذا لم يعد عمار بن ياسر من مصر؟

فوجئ عثمان والمسلمون بأن عمار استماله سبئية مصر إليه، وأقام بها ، فصار من المؤلبين على عثمان ، والطاعنين فيه ، لأن هذا الصحابى وجد على عثمان بسبب أن عماراً وعباس بن عتبة بن أبى لهب كان بينهما حوار وكلام ، وتقاذفا ، فعذّرهما عثمان على

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٣٤١.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٣٤١.

ذلــك ، فوجد عمار ، وقليل من كان فى قلبه موجدة على إنسان ، ثم لا يصيخ إلى القول فيه ، والعيب له [١].

وكـــان فى مصر من الساخطين على عثمان قبل وصول عمار شخصان ، ألبا الناس ضد عثمان ، وكان لهما دور بارز فى الفتنة.

الأول : محمد بن أبى حذيفة ، الذى كان يتيماً فى حجر عثمان، ورباه ، حتى شب ، فطلب من عثمان أن يوليه إحدى الولايات ، فأبى عثمان ، لأنه لم يكن كفوءاً ، فأوغر ذلك قلبه ، واستأذن فى الخروج إلى مصر ، فأذن لـــه عثمان ، وأمده بما يبلغه مايريد ، ولما وصل محمد بن أبى حذيفة إلى مصر كان من الساخطين والخارجين على عثمان ، لأنه لم يوله وظيفة فى خلافته [٢].

الـــثانى : محمد بن أبى بكر ، كان ربيباً لعلى بن أبى طالب ، الـــذى تـــزوج أمه أسماء بنت عميس ، بعد وفاة أبى بكر ، وأصبح محمـــد هذا من الساخطين والناقمين على عثمان ، لأن محمداً ارتكب مـــا يستحق التعزير ، لطمعه فى حق من حقوق الناس ، فأخذ عثمان الـــتعزير مـــن ظهره ، ولم يدهن ، فسخط عليه محمد ، والتجأ إلى مصر ، وألب الناس على عثمان ، بل وكان من الثوار الذين اقتحموا المدينة ، وانتهى بهم المطاف بقتل عثمان [٣].

---

(١) سيف بن عمر : الفتنة ص ٧٩ ، الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٣٩٩ ، النجار : الخلفاء ص ٣١٣.

(٢) سيف بن عمر : الفتنة ص ٧٩ ، الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٣٩٣.

(٣) سيف بن عمر : الفتنة ص ٧٩ ، الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٤٠٠، الذهبى : السير ٥ /٩ .

وقـد لعب هذان الرجلان دوراً خطيراً فى التأليب على عثمان فى مصر ، فحينما خرجا لقتال الروم فى معركة ذات الصوارى ، مع والى مصر عبد الله بن سعد بن أبى السرح سنة ٣١ هـ ، كانا يقولان للمقاتليـن كمـا يروى الطبرى [١]: "**أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقـا ، فـيقول الرجل : وأى جهاد ؟ ، فيقول : عثمان بن عفان ، فعل كذا وكذا ... ، حتى أفسد الناس ، فقدموا بلدهم ، وقد أفسدهم ، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به** "

لـم يقتصر دور هذين الرجلين على هذا فحسب ، بل طعنا فى عثمان ، وقالا : إنه خالف سيرة أبى بكر ، وعمر ، وأن دمه حلال، لأنـه استعمل مثل ابن أبى السرح ، الذى نزل القرآن بكفره ، وأباح الرسـول ﷺ دمـه ، وأن عثمان رد من طرده رسول الله ﷺ ، وأنه عزل أصحاب رسول الله ﷺ من الولاية ، وعين من هم أمثال الوليد بـن عقبة ، وعبد الله بن عامر ، ولما وصلت هذه المقولات للوالى ، ابن أبى السراج ، نهاهما عن ذلك ، ودارت معركة ذات الصوارى ، فكانـا أقل الناس قتالاً ، فلما تكلم الناس معهما فى ذلك، قالا : كيف نقاتل مع رجل لا ينبغى لنا أن نحكمه ، فاستدعاهما ابن أبى السرح ، ونهاهمـا عن ترديد ذلك ، وقال : والله لولا لا أدرى ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما [٢].

إذا صارت مصر فى أواخر خلافة عثمان كالمرجل الذى يغلى، وكاد يقذف بلهيبه وناره كل من يطاله ، وكانت هناك عوامل ساعدت علـى جعل مصر هى المحرك الأول للفتنة ، والقائد للثائرين على يد

---

(١) تاريخ الرسل ٢٩٢/٤.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ٤/ ٢٩٢ ، ابن كثير : البداية ١٤٩/٧.

عثمان ومن أهمها :

١- وجود عديد من العرب غير القرشيين فى مصر ، ورغبتهم فـــى زعـــزعة سيادة قريش على الخلافة ، تلك السيادة التى تبوأتها قريش منذ ظهور الإسلام .

٢- وجـــود بعض الناقمين على عثمان من الصحابة والتابعين فـــى مصر ، كعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، وميل عمار بن ياسر لتعاليم ابن سبأ .

٣- ســخط ســكان مصر على واليهم عبد الله بن سعد بن أبى الســـرح ، الـــذى حكمهم بعد عمرو بن العاص ، وحملهم فى الفتوح والمعارك ، التى لم يجنوا من ثمارها شيئاً ، كما أن كثرة غيابه عن مصـــر أتـــاح للســـبئية والناقمين على نشر مبادئهم ، وانتظار لحظة الوثوب على المدينة [١].

٢- الحالة فى بلاد الشام :

كانـــت بـــلاد الشام من أحسن الأمصار والأقاليم استقراراً إبان الفتنة ، إذ كان واليها معاوية بن أبى سفيان قابض على زمام الأمور فـــيها بحـــزم ، حال دون تفاقم أى شيء يطعن فى الخليفة ، أو يثير الرعية ضد عثمان ، ولما نشر الصحابى أبو ذر الغفارى آراوءه التى تحض على عدم كنز المال ، والمساواة بين الرعية فيه، وتحذير من يكـــنزه بقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [٢]، ولع الفقراء بذلك ، وأوجبوه

---

(١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ص ١١٤ - ١١٦ .

(٢) آية ٧٢ سورة التوبة.

علـــى الأغنياء ، فانتاب القلق والى الشام معاوية ، فأرسل بخبر أبى ذر إلى عثمان ، الذى استدعاه للمدينة ، والتمس منه الكف عن ذلك ، ولكـــن أبا ذر تمسك برأيه ، واستأذن عثمان فى العيش فى الربذة ، وترك المدينة ، فأذن له ، وظل بها حتى توفى سنة ٣٢ هـ [١].

٢- الوضع فى الكوفة :

ولى عثمان سعد بن أبى وقاص على الكوفة سنة ٢٥ هـ ، تنفيذاً لوصـــية عمـــر لمجلس الشورى ، إن لم تصب سعدا الخلافة فليرجع للكوفــة، لأنه لم يعزله لعجز أو خيانة،وما لبث أن وقع بين سعد بن أبى وقاص الوالى وعبد الله بن مسعود صاحب بيت المال خلاف ، لقـــرض اقترضـــه ســـعد ، وتأخر فى سداده ، ووصل الأمر للخليفة عـــثمان، فاستدعاهما ، وعزل سعداً عن الإمارة ، وأبقى ابن مسعود علـــى بيت المال ، ثم عين عثمان الوليد بن عقبة واليا على الكوفة ، فسار فى اهلها سيرة حسنة ، حتى قلبوا لـــه ظهر المجن ، واتهموه بشرب الخمر ، والزيادة فى الصلاة ، وقد رددنا على هذه التهم آنفا ، وأثبتـــنا براءة الوليد منها ، ولكن شهادة الشهود اضطرت عثمان لحد الوليد فى شرب الخمر ، ليبرئ نفسه من تهمة المحاباة، ثم عزله سنة ٣٠هـ ، وولى مكانه سعيد بن أبى العاص ، الذى وصل إليها كارها ، وعلـــم أن الفتـــنة قـــد أطلـــت برأسها فيها ، وأن الغالب على أهلها الأعراب، وغير ذوى السابقة فى الإسلام ، فكتب لعثمان بذلك[٢].

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ١٤٧ ، ابن الأثير : الكامل ٣/١١٣ - ١١٥ .

(٢) الديـــنورى : الأخبار الطوال ص ١٣٩، ابن الأثير : الكامل ٣/ ٨٢ ،٨٣ ، ١٠٥ - ١٠٨.

أجاب الخليفة عثمان والى الكوفة ، وطلب منه أن يعالج ما فى مصــره ، بــتقديم أهل السابقة والبلاء ، وأن يكون اللاحقون تبع لهؤلاء، وأن يحفــظ لكــل منزلــته ، وأن يســير فيهم بالعدل والإحسان، ولكن اضطرمت نار الفتنة فى الكوفة ، وظهر من بين أهلها من نقم على قريش ســيادتها ، واســتبدادها بخيرات الخلافة ، وهم الذين فتحوا تلك البلاد ، فأرســل سعيد والى الكوفة بخبر هؤلاء لعثمان ، فأمره بأن يخرجهم منها إلــى بــلاد الشــام حيث معاوية ، لعله يصلح من أمرهم ، ويخفف من حــنقهم، ولكن معاوية استيأس من ذلك ، فكتب لعثمان بالأمر ، فأمره أن يرسلهم لوالى حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، الذى أحسن تأديبهم، وأقروا بخطئهم ، والتمسوا منه العودة للكوفة ، فأعادهم بأمر من عثمان ، وكــان فيهم رؤساء الفتنة ، من أمثال ، الأشتر النخعى ، وثابت بن قيس الــنخعى ، وكميل بن زياد النخعى ، وغيرهم ، وخرج والى الكوفة سعيد بــن العاص للقاء عثمان فى موسم الحج سنة ٣٤ هـ ، وتقديم صورة أوفى عــن حــال الكوفــة ، ولما عاد سعيد لولايته منعه هؤلاء من دخولها ، وطلــبوا مــن عــثمان تولية أبى موسى الأشعرى عليهم ، فاستجاب لهم عثمان ، بعد أن ضعف سلطان الأمراء فى الكوفة، وتغلب الغوغاء [١].

وكتــب عــثمان لأهــل الكوفة : " فقد أمرت عليكم من اخترتم ، وأعفيــتكم من سعيد ، ووالله لأقرضنكم عرضى ، ولابذلن لكم صبرى ، ولاستصــلحنكم بجهدى ، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه ، لا يعصى الله فيه ، إلا سألتموه ، ولا شيئاً كرهتموه ، لا يعصى الله فيه ، إلا ماستعفيتم

---

(١) ابــن الأثــير :الكــامل ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٣٧ - ١٤٢ ، ١٤٧ - ١٤٩ ، ابن كثير : البداية ٧ /١٥٦ ، ١٥٧ .

منه ، أنزل فيه عندما أحببتم ، حتى لا يكون لكم على الله حجة "[١].

لا مـــراء فـــى أن هـــذه الخطبة قد نالت رضا أهل الكوفة ، وأدركـــوا وخاصة الناقمون منهم أنهم أصبحوا يملون إرادتهم على الخلـــيفة ، ويغـــيرون مـــا يشاؤون من أمرائهم ، فزادتهم طمعا إلى طمعهم ، وحركت وأشعلت الثورة فيهم ، فكان ما كان من خروجهم ، ووثوبهم على المدينة سنة ٣٥ هـ .

٤- الأوضاع فى البصرة :

البصـــرة هـــى الحاضـــرة الثانـــية للعراق ، ونالها من الفتن والاضـــطراب بعض ما نال الكوفة ، فقد هاج أهلها على واليهم أبى موســـى الأشعرى سنة ٢٩ هـ ، فعزله عثمان ، وولى خلفا له عبد الله بن عامر ، الذى تحدثنا عنه آنفاً ، وسار فيهم سيرة حسنة ، وكان حكيم بـــن جبلة لصاً ، يعيث فساداً فى أطراف البصرة ، ويؤذى أهل الذمة ، فشكاه الجميع لعثمان ، فأمر عبد الله بن عامر بحبس حكيم فى البصرة ، ومنع خروجه منها ، ثم قدم عبد الله سبأ إلى البصرة ، ونزل عند حكيم هـــذا ، ولقـــنه أفكاره الفاسدة ، ودعاوية الباطلة ، من القول بالرجعة ، والوصـــية ، ولمـــا وصـــلت تلك الأخبار لوالى البصرة استدعى ابن السوداء ، وسأله عن شخصه ، وطرده من البصرة ، فالتجأ الخبيث إلى مصر كما أوضحنا قبل قليل [٢].

وبذلـــك نـــرى أن البصـــرة لم تكن أحسن حالاً من غيرها من الأمصار المتأهبة للثورة والخروج على عثمان .

---

(١) المصدران السابقان الجزءان والصفحات.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٤.

الفصل الرابع

موقف المدينة من الفتنة

أولاً : عثمان يحاول القضاء على أسباب الفتنة:

ازدادت وتيرة الأحداث في المدينة عاصمة الدولة الإسلامية ، إثر نشوب الفتن والقلاقل في الكوفة ، والبصرة ، ومصر ، وزاد الأمر سوءاً أن خرج وفد من ثائري الكوفة سنة ٣٤ هـ ، لمقابلة عثمان بن عفان ، والشكوى إليه من أمور منها : عزله كبار الصحابة، وتولية الأحداث ، وتقريب أقربائه من بني أمية ، وطالبوه بعزل هؤلاء ، واستبدال بعض الصحابة بهم ، حتى اغتم عثمان من ذلك ، وأرسل لولاته على الأمصار للقدوم للاجتماع به[١].

كما أرسل عثمان كتاباً عاماً لجميع الرعايا في أنحاء الدولة ، يأمرهم فيه بالأمر بالمعروف ، والتناهي عن المنكر ، وأن من اشتكى من واليه فليفد إلى مكة في موسم الحج ، لرفع شكايته للخليفة ، الذي يقف مع الضعفاء والمظلومين ماداموا كذلك [٢].

اجتمع عثمان بولاة الأمصار في موسم الحج سنة ٣٤ هـ وهم: معاوية والي الشام ، وعبد الله بن عامر ، والي البصرة ، وسعيد بن العاص ، والي الكوفة ، وعبد الله بن سعد والي مصر ، وأشرك معهم عمرو بن العاص ، وسألهم عن تلك الشكايات التي تتردد على ألسنة الناس ، من الشكوى منهم ، والنقمة عليه ، وخوفه من أن تكون

---

(١) ابن كثير : البداية ١٥٧/٧ .
(٢) سيف بن عمر : الفتنة ص ٧٧.

الشــكايات صادقة ، ويكون للرعية حق فى طلب عزلهم ، وحقيقة ما يروج له هؤلاء من أمور منسوبة للخليفة، فأجابوه بأنه أرسل مندوبيه للأمصار المختلفة ، وقد عاد هؤلاء ، وأخبروا بأنه ليس هناك شيء ذى بــال ، وإنما هى إشاعات متداولة لا أصل لها ، ثم طلب عثمان مــن عمالــه أن يشيروا عليه بدواء لهذا الداء ، فعرض عبد الله بن عامــر أن يشغل الخليفة هؤلاء الناس بالجهاد فى سبيل الله ، حتى لا يكون لديهم وقت للفتنة ، وتكلم سعيد بن العاص وعرض أن يتصدى الخلــيفة لهــذه الفتنة بالقبض على رؤس الثورة ، وضرب أعناقهم ، فيــتفرق أتباعهم ، ومال عثمان لهذا الرأى ، وقال : لولا ما فيه من إراقــة الدمــاء ، وتحدث معاوية وعرض أن يقوم كل وال بمواجهة هــؤلاء فــى مصره وإعفاء الخليفة من تبعة ذلك ، ثم تكلم ابن أبى السرح ، وعرض أن يغدق الخليفة على هؤلاء الثوار ، ويعطيهم مما أنعــم الله علــيه ، فيســتميل بذلك قلوبهم ، وأخيراً تحدث عمرو بن العاص ، وقال للخليفة إنك قد حدت عن سيرة أبى بكر وعمر ، فلنت لهم ، وتراخيت ، فاعتدل فيهم ، وسر بسيرة عمر ، أو اعتزل ، فوجد مــنه عثمان ، ثم تفرقوا ، وآب إليه عمرو مرة أخرى ، وعلل قوله هذا، لعلمه أن تفاصيل ذلك الاجتماع ستصل للثائرين ، فيثقوا بعمرو بن العاص ، فيتمكن من رد الشر عن الخليفة أو جلب خير له [١].

ســمع عثمان آراء ولاة الأمصار فى كيفية نزع أسباب الفتنة ، فعــزم علــى تأليف قلوب الناس ، وإرسال بعضهم للغزو والجهاد ، وأمر بعودة كل عامل إلى إقليمه ، فعادوا إلا سعيد بن العاص ، الذى

---

(١) ابن الأثير :الكامل ١٤٩/٣ ،١٥٠ ، ابن كثير : البداية ١٥٧/٧، ١٥٨.

رفــض ثوار الكوفة دخوله ، وتمسكوا بأبى موسى الأشعرى ، فأقره عثمان عليهم [١].

معاوية مع الخليفة فى المدينة :

عــاد عثمان للمدينة بعد أداء شعائر الحج ، ورافقه معاوية بن أبـــى ســـفيان ، الـــذى رأى ما تمور به المدينة من مخاض الفتنة ، فعرض على عثمان أن يرافقه إلى بلاد الشام ، حتى يكون فى مأمن ، ولكـــن عــثمان أبى ذلك ، وقال : لا أختار بجوار رسول الله سواه ، فعرض عليه معاوية أن يرسل له جيشاً من الشام لحمايته ونصرته ، ولكن عثمان رفض ذلك ، وقال : أخشى أن أضيق بهم بلد رسول الله ﷺ وعلـــى المهاجريـــن والأنصار ، فقال له معاوية : فوالله يا أمير المؤمنيـــن لتغتالن ، فقال عثمان : حسبى الله ونعم الوكيل ، ثم خرج معاويـــة من عند عثمان ، والتقى بشيوخ المهاجرين ، وفيهم طلحة ، والزبـــير ، وعلـــى ، فأوصاهم بعثمان خيراً ، وحذرهم من خ١له ، وتسليمه لأعدائه [٢].

ثانياً : **خروج الثوار إلى المدينة شوال ٣٥ هـ ومقتل الخليفة** :

٢- الخروج المشؤوم :

تســارعت وتــيرة الأحداث ، وتكاتب الناقمون على عثمان مع بعضهم البعض ، واتفقوا على الخروج من الأمصار الثلاثة : الكوفة، والبصـــرة ، ومصـــر ، فـــى وقت واحد ، والتظاهر بالخروج لأداء

---

(١) ابن الأثير :الكامل ١٥٠/٣ ، ابن كثير : البداية ١٥٧/٧، ١٥٨.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ١٦٠.

شـعيرة الحج ، وخرج من مصر مجموعة ما بين الستمائة والألف ، على رأسها : عبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر الليثى، وسـودان بـن حمـران السكونى ، وقتيرة السكونى ، وعلى رأسهم الغافقى بن حرب العكى ، وكان من بين هذا الوفد السبئية[١].

كمـا خرج وفد البصرة والكوفة فى مثل هذا العدد ، والتقى الجميع علـى مشـارف المديـنة فى شهر شوال سنة ٣٥ هـ ، حيث نزلوا بذى القصـة، والأعوص ، وذى المروة ، وأرسل كل وفد منهم إلى من يهواه لـتولى الخلافة ، فأرسل المصريون لعلى بن أبى طالب، فأبى ، وأرسل الكوفـيون للزبـير ، فأبى ، وأرسل البصريون لطلحة، فأبى ، وقال وفد مصر لعلى: فلِمَ أرسلت إلينا بالمجئ ، وكتبت كتباً بذلك فقال لهم : والله ما كتبت إليكم بذلك ، وكذلك كان رد طلحة والزبير[٢].

ويؤكـد ابـن كثـير [٣] هـذه الحقيقة التى تبرئ ساحة هؤلاء الصـحابة الأجـلاء من التآمر ضد عثمان مع هؤلاء الثوار فيقول : **"وزورت كتـب علـى لسان الصحابة الذين بالمدينة ، وعلى لسان علـى، وطلحة ، والزبير ، يدعون الناس إلى قتال عثمان ، ونصر الدين، وأنه أكبر الجهاد ".**

٢- مناظرة الثوار مع عثمان :

وجـد عثمان أن الخطر قد حل بالمدينة ، فأرسل لهؤلاء الثوار وفـداً يسـألهم عما يريدونه ، وما ينقمونه عليه ، فذكروا لهم أشياء منها: أن عثمان حمى الحمى ، وأحرق المصاحف ، وأتم الصلاة، فى

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ١٦٤.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ١٦٤ ، ابن العربى : العواصم ص ١٢٨ .

(٣) البداية ٧/ ١٦٣ .

السـفر وولى الأحداث على الأمصار ، وترك أكابر الصحابة وأغدق على بنى أمية دون غيرهم ، فطلب عثمان مواجهتهم ، وأجابهم عن هـذه المأخذ - وقد سبق أن وضحنا ذلك - فاقتنعوا بها ، وكتبوا مع عـثمان كـتابا ، ينص على إعادة المنفى من اتباعهم ، وإعطاء المحـروم ، والعـدل فـى تقسيم الفئ ، وأن يُستعمل ذو الأمانة والقوة، وتأهبوا للرجوع لأمصارهم ، بعد أن أجاب الخليفة مطالبهم التى أعلنوها [١].

٢- عودة الثوار مرة أخرى للمدينة :

لـم تمـض سـوى بضعة أيام على مغادرة الثوار المدينة إلا وعـادوا مـرة أخرى ، ودخلوا المدينة ، وهم يكبرون ، وأعلنوا فى العامة أن من كف يده فهو آمن ، فلزم الناس بيوتهم ، وسيطر الثوار علـى المدينة ، فأرسل إليهم عثمان علياً ، يسألهم عن سبب عودتهم مـرة أخرى ، وقد كانوا ناظروا الخليفة آنفاً ، واتفقوا على الرجوع لأمصارهم ، فقالوا : لقد وجدنا كتاباً مع غلام لعثمان ، مرسل لوالى مصر عبد الله بن سعد بقتلنا ، فور رجوعنا ، وقال بذلك الكوفيون ، والبصـريون ، وزعـم وفـد البصـرة والكوفة أنهم جاءوا لنصرة إخوانهـم ، فسـألهم أصحاب رسول الله ﷺ ، وكيف علمتم بذلك من أصـحابكم ؟ ، وقد سرتم، وافترقتم ، وصار بينكم مراحل ؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه فى المدينة قبل مغادرتكم لها ، فقال الثوار: ضعوه على ما أردتم ، لا حاجة لنا فى خلافة عثمان ليعتزل ونتركه [٢].

---

(١) ابن العربى : العواصم ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ابن كثير: البداية ٧/ ١٦١، ١٦٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٦٠/٣ ، ابن كثير : البداية ٧/ ١٦٤ ، ١٦٥.

٤- قصة الكتاب المزور :

واجـه الـثوار عـثمان بالكتاب ، فأقسم بالله أنه ما كتب هذا الكـتاب، ولا أملاه ، ولا يعلم به ، وأن الكتاب قد يزور على لسانه، ويكتبه غيره ، ويختم بختم مزور ليس ختمه ، فقالوا له : إن كنت قد كتبت فينا لعاملك على مصر بقتلنا ، فقد حل لنا دمك ، لخداعك لنا ، وعودتك عما اتفقنا عليه ، وإن كان الكتاب قد كتب ، وختم من دون علمك ، فأنت عاجز عن إدارة شئون الخلافة ، لاستبداد مروان بك ، إذ هـو حامل ختمك ، وكاتم سرك ، وهو الذى دبر لنا هذه المكيدة ، فسلمه لنا ، لنقتص منه ، فرفض عثمان ذلك ، حتى لا يقتلوه ظلماً[١].

وواضـح مـن سير الأحداث أن السبئية هم الذين دبروا هذا الأمر، حيث ظل الأشتر النخعى فى المدينة عند رجوع الثوار ، فهو الـذى قـام بذلك ، وهو الذى رتب للثوار رجعوهم فى وقت واحد ، وكيف يكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بقتلهم ؟ ، وقد كان قد خرج مـن مصر للقاء عثمان ، إذن فهو أمر دبر بليل بين الثوار ، للعودة للمدينة ، وقتل عثمان [٢].

وجـد عـثمان أن الحوادث قد أخذت منحنى خطيراً ، بعد سيطرة الثوار على المدينة ، فأرسل للاستنجاد بعماله على الأمصار ، يصف لهم ما دار بينه وبين هؤلاء الثوار من مناظرة ، ورده على مزاعمهم ، وأنهم يظهـرون غـير ما يبطنون ، وشبه عثمان وجودهم فى المدينة كوجود الأحـزاب ، وطلب بسرعة النصرة ، فهرع العمال لإرسال قواتهم للدفاع

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٦.

(٢) محب الدين الخطيب :حاشية العواصم لابن العربى ص ١٢٦ ، ١٢٧.

عــن الخلــيفة فى المدينة ، فأخرج معاوية قواته بقيادة حبيب بن مسلمة ، ومــن مصر خرجت قوات بقيادة معاوية بن حديج ، ومن الكوفة القعقاع بن عمر بقواته ، وقام جماعة من الصحابة والتابعين فى الأمصار بحض الناس على الخروج للدفاع عن عثمان [١].

ظل الثائرون يسيطرون على المدينة ، وعثمان يخرج من بيته للصــلاة أياماً عدة ، وبعضهم يصلى خلفه ، وهم أحقر فى عينه من الــتراب حــتى كانت الجمعة الأولى لدخول الثوار لمدينة ، فأرتقى عــثمان المنــبر ، وخطب فى هؤلاء قائلاً : الله الله ، فوالله إن أهل المديــنة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فامحوا الخطأ بالصــواب ، فــثار القوم ، وعلت أصواتهم ، وحصبوا عثمان، حتى صــرع عــن المنــبر مغشــياً عليه ، فحمل إلى بيته ، وزاره كبار الصحابة ، وأسمع بنو أمية عليا بن أبى طالب ما ساءه ، من تحميله وزر ما حدث للخليفة ، وتأليبه للثوار ، فخرج والتزم بيته[٢].

٥ - حصار عثمان :

زاد الأمر سوءاً على الخليفة ، إذ منعه الثوار من الخروج لأداء الصلاة ، وحصروه فى بيته ، ليبدأ فصل جديد من فصول المأساة ، ويحــاول عثمان من داخل داره أن يستثير مشاعر الثوار ، فيذكرهم بصــحبته للنــبى ﷺ ، ومناقبه فى تجهيز جيش العسرة ، وفى غزوة تــبوك ، وشــراء بــئر رومــة ، فيقرون بذلك ، ولكنهم يواصلون الحصار ، ويطالبوه بخلع نفسه ، أو القتل[٣].

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٣٥١/٤ ، ٣٥٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٦٠/٣ ، ١٦١ ، ابن كثير : البداية ٧/ ١٦٥ .

(٣) ابن كثير : البداية ٧/ ١٦٧ - ١٧٠.

كـــان عثمان يرفض أن يعتزل الخلافة ، ويقول : كيف أخلع سربالاً سربلنيه رسول الله ، فوالله لأن تضرب عنقى أحب إلىّ من أن أخلع أمة محمد بعضها على بعض ، وإن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبداً ، ولا تصلـون بعدى جميعاً ، ولا تقاتلون عدواً جميعاً أبداً [١].

اســتمر الحصار على عثمان أربعين يوماً ، واشتد حتى منعوه الماء ، فكان لا يصل منه شيء إليه إلا خفية ، حيث استغاث عثمان بالصــحابة ، فحمل على بن أبى طالب إليه بعض الماء ، فاعترض الثوار طريقه ، بعد أن أوصله للخليفة فى داره ، وقال علىّ للثوار : والله إن فــارس والروم لا يفعلون فعلكم ، فهم يأسرون ، فيطعمون ، ويســقون ، فلــم يقبلوا قوله ، حتى رمى عمامته حنقا منهم ، وكان عــثمان يطــل على الثوار من وقت لآخر ويعظهم ، فلا تؤثر فيهم الموعظة ، ثم شددوا عليه الحصار ، لما بلغهم أن جندا من الأمصار أقبلــت لنصـــرة عــثمان ، وفى ظل هذا الوضع المأسوى ، لم ينس عثمان واجبه نحو الأمة ، فأناب عبد الله بن عباس على الحج، وكتب إلــيه كــتابا يقرءوه على المسلمين ، ويعلمهم بما هو فيه، ففعل ابن عباس ولكن بعد فوات الأوان [٢].

٦- مقتل الخليفة :

شـــعر المحاصـــرون لعثمان بالخطر ، وأرادوا التعجيل بقتله ، خوفـــاً من وصول إمدادات الأمصار لعثمان ، ووجدوا أن قتله سوف

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه ص ١٧٠ ، ابن سعد : الطبقات ٦٦/٣.

(٢) سيف بن عمر : الفتنة ص ٦٨ ، ابن الأثير: الكامل ١٧٢/٣ - ١٧٤ ، ابن كثير: البداية ٧/ ١٧٦ .

يشـــغل الناس عنهم ، ولما رأى الصحابة وأبناؤهم ذلك استبسلوا فى الدفـــاع عنه ، وخشى عثمان من إراقة الدماء ، فأقسم على من حوله مـــن المدافعين ليضعوا سلاحهم ، ولينصرفوا عنه ، منفذا لعهد النبى ﷺ ، الـــذى عـــاهده عليه ، فهو صابر عليه ، إذ أخبره أنه مقتول ، وأمـــره أن يكـــف يده ، واستسلم عثمان لقضاء الله ، وكان صائماً ، ورأى فـــى ليلـــته أن رسول الله ﷺ يقول لـــه : تعالى أفطر عندنا ، واقـــتحم الثوار الدار ، وأحرقوا بابها ، وتسوروا جدرانها ، ودخلوا علـــيه وهو يقرأ القرآن ، فضربه الغافقى بحديدة كانت معه ، ثم جاء ســـودان بـــن حمـــران ليضربه بالسيف ، فوقت نائلة زوجها عثمان بـــيديها، فقطـــع بعـــض أصابعها ، ثم علوه بالسيف ، ونهبوا داره ، وخرجوا ، وذلك فى الثامن عشر من ذى الحجة سنة ٣٥ هـ [1].

ولقد صمد الصحابة وأبنائهم فى الدفاع عن عثمان ، وتقاتلوا مع الـــثوار حول الدار ، واستشهد بعضهم ، وأصيب آخرون ، كعبد الله بن الزبير ، والحسن بن على ، ومروان بن الحكم ، ولم يتمكن الثوار من تنفيذ جريمتهم إلا بعد أن تسوروا الدار [2].

قتل الخليفة عثمان رضى الله عنه عن عمر ناهز ثنتين وثمانين سنة ، وأمعن الثوار فى غيهم ، حتى أنهم لم يسمحوا بدفن الخليفة إلا بعد ثلاثة أيام ، فدفن خفية ، ولم يشيعه أحد إلا حاملو نعشه ، وورى الثرى فى منطقة حش كوكب ، التى كان يمر بها عثمان فى حياته ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، الزبيرى: نسب قريش ص ١٠٣، الذهبى: السير ٢/٥٧٤، ابن العربى : العواصم ص ١٤٠ ، ١٤١ ، المقدسى : الرد على الرافضة ص ١٣٧ ، ابن كثير: البداية ٧/ ١٧١ – ١٧٨.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ١٧٧.

ويقـول :هـنا يدفن رجل صالح ، وكان أهل المدينة يرفضون دفن موتاهم فيها ، فكان – رضى الله عنه – أول من دفن فيها [١].

ومن نافلة القول : إن كل من شارك فى جزيمة قتل عثمان لقى جـزاءه فـى الدنيا قبل الآخرة ، فمنهم من قتل ، ومنهم من أصيب بالجنون ، ومنهم من صدقت فيه دعوة سعد بن أبى وقاص حينما علم بمقتل عثمان فدعى عليهم بالشلل [٢].

ثالثاً :موقف الصحابة وعثمان من جرأة الثوار على الخليفة وحصاره وقتله :

تلك كانت فصول مأساة الفتنة الكبرى ، التى انتهت بقتل عثمان رضى الله عنه وأرضاه ، فكيف حدث هذا فى المجتمع المدنى ، الذى كان قريب عهد برسالة النبى ﷺ ، وكيف تمكن ثلاثة آلاف من ثوار الكوفـة ، والبصرة ، ومصر ، من ارتكاب جريمتهم النكراء ، وأليس عجيـباً أن تـأتى جماعة من أمصار مختلفة، إلى عاصمة الخلافة ، ودار الهجـرة ، وجـوار رسول الله ﷺ ، يتألبون على الخليفة ، ثم يحصرونه ، وينتهى الأمر بقتله ، ولا ينتطح فى هذا الأمر عنزان ، مـع طول مدة الحصار ، وانفساح أجله ، وامتداد الزمن ، واتساعه لعمل ما يمكن ، فما الذى قعد بالمهاجرين والأنصار عن نصرته ؟

نقـول : إن أحداً لم يكن يتوقع أن تنتهى الأحداث بتلك النهاية المأسـاوية ، ألـم يـأت الثوار للمدينة فى شهر شوال سنة ٣٥ هـ ، ويناظروا الخليفة ، ويغادروها بعد أن الزمهم بالحجة ؟ ، ثم ألم يأتوا مرة أخرى على إثر حادثة الكتاب المزور ، ويواجهوا الخليفة والصحابة

---

(١) ابن سعد :الطبقات ٧٢/٣ – ٧٩ ، ابن كثير: البداية ٧/ ١٧٩ ،١٨٠ .

(٢) الذهبى : السير ٨/٥ ، ٩ ، ابن كثير: البداية ٧/ ١٧٨ ، ١٧٩ .

بذلك ، ويدافع الخليفة والصحابة عن أنفسهم ، ويتهموا الثوار بتزويره ؟، ثــم ألــم يظــل الخليفة يخرج من بيته ، ويصلى بالمسلمين فى المسجد النــبوى فترة طويلة ، حتى كان بعض الثوار يصلى خلفه ؟ ، فهذا كله طمــأن الجمــيع بــأن الغمة سوف تذول ، ولم يكن أحد يخطر بباله أن تــتطور الأحــداث إلى ما تطورت إليه [١]، ولنطالع معا مواقف عثمان والصحابة من جرأة الثوار على الخليفة ثم قتله :

١- موقف الخليفة عثمان :

أمــا الخليفة عثمان فقد كان يرى أن الأمة قد اختارته لخلافتها، فخلافته صحيحة ، ولا يجوز لهؤلاء الرعاع أن يخلعوه منها ، خاصة وقــد أثر عنه قول الرسول ﷺ لــه : إن كساك الله يوما سربالاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه ، فلا تخلعه لظالم ، فكان يقول للثوار لما حاصروه ، وطالبوه بالاعتزال ، أو القتل : كيف أخلع قميصاً قمصنيه الله تعالى ، فكان رضى الله عنه يرى أن هذا حقا له ، وأن رسول الله ﷺ قــد أوصــاه بالحفاظ عليه ، فتمسك به ، وكان يقول : فوالله لأن تضرب عنقى ، أحب إلى من أن أخلع أمة محمد بعضها على بعض، إذن فهذا موقف قوى من الخليفة تجاه الثوار ، يرفض فيه الاعتزال ، ويحبذ عليه القتل لأداء الأمانة التى حملها له الله تعالى ، وكان عثمان يــأمل فــى وصــول الإمدادات التى طلبها من ولاة الأمصار ، فلو وصــلت قبل مقتله بقليل ، لتفرق الثوار عنه ، ولما حدث ما حدث ، ولما أصيبت مدينة رسول الله بذلك الحدث الجلل[٢].

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ١٨٦ ، النجار : الخلفاء ص ٣٤٣ .

(٢) ابــن سعد : الطبقات ٦٦/٣ ، ٦٧ ، خليفة خياط : تاريخه ص ١٧٠ ، ابن العربى العواصم ص ١٣٠ .

واقــترب بالفعل وصول الامدادات ، وأُسقط فى أيدى الثوار ، ورأوا أنه لا نجاة لهم من هذا الأمر إلا بقتل الخليفة عثمان، فيصاب الناس فيه ، وينشغلوا بما حدث ، وينجوا هم بفعلتهم النكراء ، فشددوا علـــى حصار عثمان ، ليس هذا فحسب ، بل ومنعوه الماء ، ومنعوا أمهـــات المؤمنين من إدخال بعضه إليه ، وظل بعض الصحابة وأبناؤهم يقفون حول الدار يحفظونها كحفظ السوار للمعصم ، ويناشدون الخليفة ويســتحثونه ، لــيأذن لهــم فى القتال ، فماذا كان موقف عثمان ؟ تمثل عــثمان بحديــث رسول الله ﷺ له ، الذى بشره فيه بالجنة على بلوى تصــيبه ، فــأدرك أنها هى ، وقال : لقد عهد إلىَّ رسول الله عهداً ، فأنا صابر عليه ، وأقسم على المدافعين عنه ليلقوا سلاحهم ، ولينصرفوا عنه، وليتركوه ليلقى ربه ، ولمَ لا ، وقد رأى رسول الله ﷺ وصاحبيه أبو بكر وعمر فى ليلته تلك ، يقولون له : تعالى أفطر عندنا [1].

إذن لــم يكن عثمان حينئذ كالميت فى يد غاسله كما يقول أحد الباحثيــن[2] بــل كــان حيا فى يد قلوب ميته ، طمس الله على وجوهها، وانســاقت للشــر كمــا يساق من لا عقل له ، واستسلم عثمان لقضاء الله وقــدره ، حتى لا يراق فى الدفاع عنه قطرة دم واحدة ، ولم لا وقد طبع علــى الحــياء واللين ، وحب الناس ، وكان قد بلغ من الكبر عتياً ، فنال الشهادة ، وتحقق فيه حديث الرسول ﷺ ، بأن له الجنة على بلوى أصابته يوم الدار ، فرحمة الله عليك يا ذا النورين.

---

(1) سـيف بــن عمر : الفتنة ص ٦٨ ، الزبيرى : نسب قريش ص ١٠٤ ، ابن العربى: العواصم ص ١٤٠ ، ١٤١ ، المقدسى: الرد على الرافضة ص ١٣٧ ، ابن سعد : الطبقات ٣/ ٧٠ ، ٧١ .

(2) النجار : الخلفاء ص ٣٣٤.

٢- موقف الصحابة :

أمـــا عن موقف الصحابة من حصار عثمان وقتله فقد أورد لنا ابـــن سعد [١] رواية هامة أماطت اللثام عن هذا الأمر ، حيث قال : "**وكـــان أصـــحاب النبى ﷺ الذين خذلوه ، كرهوا الفتنة ، وظنوا أن الأمـــر لا يبلغ قتله ، فندموا على ما صنعوا فى أمره ، ولعمرى لو قـــاموا أو أقـــام بعضـــهم،فحـــثا فـــى وجوههم التراب ، لانصرفوا خاســـرين**"، إذن وقـــف الصحابة من هذه الأحداث هذا الموقف لأنهم كرهوا الفتنة ، وكرهوا إراقة الدماء ، ولم يكونوا يتخيلون أن الثوار ســـوف يصـــلون إلى هذه المرحلة من الجرأة على عثمان ، كما أنه رضى الله عنه، وفى المرحلة الأخيرة من الحصار، أقسم على كل مـــن له عليه طاعة ، أن يترك السلاح ، فتفرق كبار الصحابة عنه، بينما بقى أبناؤهم للدفاع عن عثمان ، بوصية من أبائهم [٢].

ولمـــا حـــاول المغرضـــون بعد مقتل عثمان النيل من على ، واتهامـــه بأنه كان ممن شارك فى هذا الأمر، أقسم علىٌّ أنه ما قتل عـــثمان ، ولا مالأ عليه [٣] ، وكان المرجون لهذه الفرية فريقان: محبين لعلـــى ، يقصدون بذلك الطعن فى عثمان ، بأنه كان يستحق القتل ، وأن عليا أمر بقتله ، وفريق آخر مبغض لعلى، ويهدف من ترويج ذلك الطعن علـــى علىٌّ أنه أعان على قتل الخليفة المظلوم عثمان ، الذى صبر نفسه للموت ، ولم يسفك دم مسلم واحد للدفاع عنه [٤].

---

(١) الطبقات ٣/ ٧١.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ١٨٦ .

(٣) ابـــن سعد : الطبقات ٣/٨٢ ، المقدسى :الرد على الرافضة ص ١٣٧ ، ابن تيمية : سؤال فى معاوية ص ٣٣.

(٤) ابن تيمية : سؤال فى معاوية ص ٣٣ ، ٣٤.

٣- موقف السيدة عائشة :

وقريب مما سبق موقف السيدة عائشة ، التى كانت تعتب على عثمان فى أمور وقعت منه ، واستغل السبئيون موقفها هذا ، فروجوا على لسانها أنها تحرض الناس على خلع عثمان ، والجهاد فى المدينة بقتله ، وطارت الكتب المزعومة إلى الأمصار المختلفة، ولما وقعت الفتـنة ، وحوصـر عثمان ، ومنع الماء عنه ، تأهبت السيدة عائشة لإمداده بالماء ، ولكنها تراجعت خوفاً من الثوار،الذين ردوا السيدة أم حبيبة رداً سيئاً ، وضاقت المدينة على السيدة عائشة ، فخرجت لأداء الحـج ، وحيـنما همـت بالعودة وصلها خبر مقتل عثمان، فقالت : تركـتموه كالـثوب النقى من الدنس ، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش ، ولما لامها بعض من كان معها على تحريضها على عثمان ، وقال لها : هذا عملك أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه ، فردت عليه السيدة عائشة قائلة : "لا والذى آمن به المؤمنون ، وكفر بـه الكافـرون ، مـا كتبت إليهم بسوداء فى بيضاء ، حتى جلست مجلسـى هـذا "[1] ، فهى تنفى عن نفسها تماماً تهمة الرسائل التى انتشرت فى الأفاق على لسانها ضد عثمان .

وقـد علق طه حسين [2] تعليقاً جميلاً يفسر فيه ما نسب لعائشة من تحمل وزر دم عثمان فقال : " اتفق على تكبير نصيب عائشة من الـتحريض على عثمان مصدران متناقضان ، وهما مصدر أصحاب معاويـة ، ومصـدر الشـيعة أصحاب على ، يريد الأولون تخفيف

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٨٢ ، سيف بن عمر : الفتنة ص ٦٦ ، ٦٧.

(٢) الصديقة ص ٩٧ .

وزرهم فى المثلة بأخيها (محمد) ، والحيف عليه ، ويريد الآخرون (الشيعة) أن يبطلوا موقفها من مطالبة على بدم عثمان ، وأن يثبتوا بـــراءة علـــى مـــن دم الخليفة القتيل ، ومشاركة عائشة فى هجمة قاتلـــيه " وهـــو مـــا يفســـر التناقض فى الروايات بين اتهام عائشة بالتحريض على عثمان حتى قتل ، ثم رفعها للواء المطالبة بدمه حتى وقعت الجمل وصفين.

أما عبد الله بن عمر فقد برأ عثمان من التهم التى نسبها الثوار إليه ، وقال : " **لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا علـــيه** "[1]، ثـــم قال بعد قتله : "**دعوتموه إلى أمر ، فلما أجابكم إليه قتلتموه ، والله ما أراكم إلاتبوأتم بذنبه** "[2].

وها هو ذا الصحابى عمار بن ياسر ، يعتزل الفتنة حين وقوعها ، ويتبرأ من دم عثمان بعد مقتله ، فيقول : " **اللهم إن كان قتل عثمان خيراً ، فليس لى منه نصيب ، وإن كان قتله شراً فإنى منه برئ** "[3].

٤- موقف معاوية :

بقى موقف معاوية من فتنة قتل عثمان ، وموقفه لم يكن صريحاً فـــى الدفاع عنه ، ونصرته ، إذ عرض معاوية على الخليفة حين التقاه فـــى المديـــنة إثر موسم الحج سنة ٣٤هـ ، أن يذهب معه إلى الشام ، أو يرســـل إليه قوات لحماية المدينة ، ولكن – كما أوضحنا قبل ذلك عثمان

---

(١) ابن العربى : العواصم ص ٥٤ ، ٥٥.

(٢) الزبيرى : نسب قريش ص ١٠٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٨٣/٣ .

رفض العرضين ، ومن ذلك اليوم تاقت نفس معاوية للخلافة ، فترك كما يبدو الأمور تسير فى مجراها الطبيعى ، ليحدث ما حدث ، وحينما استنجد الخليفة بمعاوية فور دخول الثوار المدينة ، ثم حصارهم لعثمان ، تباطأ معاوية فى إرسال النجدات له ، حيث كره إظهار مخالفة أصحاب الرسولﷺ [١]، وقد علم اجتماعهم فى المدينة ولم يحولوا دون وقوع ما وقع ، هذا من جهة، ومن أخرى كانت نفسه تتوق لما حدث ، حتى إنه هو وعمرو بن العاص لما اتهما عبد الله بن عباس وبنى هاشم بقتل الخليفة عثمان ، وإيواء قتلته ، قال ابن عباس لهما :" **إن أحق الناس ألا يتكلم فى أمر عثمان لأنتما** ، **وأما أنت يا معاوية فزينت ما كان يصنع ، حتى إذا حصر طلب نصرك فأبطأت ، وتربصت به ، ... فقال معاوية حسبك ، عرضنى لك عمرو ، وعرض نفسه**" فمعاوية أقر بتباطؤه ، وتربصه لمقتل عثمان[٢].

وقد علق أحد الباحثين[٣] على موقف معاوية هذا فقال : "**لعل معاوية كان يهدف من وراء ذلك أن يترك عثمان دون نصره، فيقتله الثوار ، وعندئذ يتولى معاوية المطالبة بدمه ، مستنداً فى ذلك على أهل الشام ، ويتخذ من المطالبة مبرراً لمحاربة من يتولى الخلافة من بعده ، بغية أن تؤول الخلافة إليه**".

ونحن لا نحاول التجنى على معاوية الصحابى ، ولكن المصادر هى التى تكاد تنطق بما نقوله ، من أنه كان يرغب فى حدوث ما

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل ٣٦٨/٤ ، ابن كثير : البداية ١٦٠/٧.

(٢) الذهبى : السير ٥٢/٤ ، ٥٤ .

(٣) السيد سالم : الدولة العربية ص ٢٩٦ ، ٢٩٧.

حـــدث ، فها هو ذا عبد الله بن سعد بن أبى السرح والى مصر على عهـــد عثمان ، يرفض بعد مقتله الانضمام لمعاوية ضد الإمام على ، ويقـــول : " **لـــم أكـــن لاجـــامع رجلا قد عرفته أنه كان ليهوى قتل عـــثمان**"[١] بـــل وأورد الزبيرى [٢] رواية ، إن صحت فهى تؤكد ما نقوله، إذ اجتمع مروان بن عبد الحكم ، وعمرو بن عثمان بن عفان ذات يوم ، فى خلافة معاوية ، وقال الأول للثانى : " **ما أخذ هؤلاء – بـــنو أمـــية – الخلافة إلا باسم أبيك ، فما يمنعك أن تنهض بحقك ، فلنحـــن أكـــثر مـــنهم رجالاً** "، فكل هذه الإشارات والدلائل ، تميل بالـــنفس إلـــى التســـليم بتكاسل معاوية ، وتباطؤه فى تقديم النصرة لعثمان، والدفاع عنه ، لغرض فى نفس يعقوب .

٥- موقف الأنصار :

بقيت نقطة أخيرة فى الحديث عن مواقف الصحابة من حصار عـــثمان وقـــتله ، ألا وهى موقف الأنصار من ذلك ، إذ تجنى بعض الباحثيـــن علـــى أنصـــار الله ورسوله ، واتهمهم زوراً وبهتاناً بأنهم تواكلـــوا فى الدفاع عن الخليفة عثمان ، حتى لقى مصرعه[٣]، ونحن نـــذب عن الأنصار هذه الفرية ، بما أورده ابن سعد [٤] حيث قال : "**جاء زيد بن ثابت – جامع القرآن – إلى عثمان فقال : هذه الأنصار**

---

(١) الذهبى : السير ٤/ ٢٢٧.

(٢) نسب قريش ص ١٠٩.

(٣) محمـــد أســـعد طلس : تاريخ العرب ١٩٥/٣ ، أحمد إبراهيم : دور الحجاز ص ٣٢٨.

(٤) الطبقات ٧٠/٣.

بالـــباب ، يقولون : إن شئت كنا أنصاراً لله مرتين ، فقال عثمان : أما القتال فلا " ، فهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الأنصار بذلوا أنفســـهم للدفاع عن الخليفة المظلوم ، ولكنه ضحى بنفسه ، ورفض أن تراق فى سبيله قطرة دم واحدة .

وخلاصــــة القــول: إن الخليفة عثمان قتل مظلوماً ، وأن الله لم يحــل دمه لقاتليه ، وأن الذين شاركوا فى هذه الجريمة الشنعاء كانوا طوائــف عــدة ، ففــيهم المغالون فى الدين ، الذين أكبروا الهنات ، وارتكــبوا فى إنكارها الموبقات ، والذين حقدوا على قريش انفرادها بالقــيادة ، والموتورون من حدود شرعية أقيمت عليهم ، أو على ذويهم، والحمقـــى الذيـــن اســـتغل السبئيون ضعف قلوبهم ، فدفعوهم إلى الفتنة ، والذيـــن أثقـــل كـــاهلهم خير عثمان ، ومعروفه نحوهم ، فطمعوا فيما لا يســتحقونه من الرئاسة ، وأخيراً المتعجلون بالرئاسة قبل أن يتأهلوا لها ، وبالجملـــة فـــإن الـــرحمة الـــتى جبل عليها عثمان ، وامتلأ بها قلبه ، أطمعـــت الكثيريـــن فيه ، واتخذوها مطية لأهوائهم [1] ، فرحمة الله عليك يا ذا النورين رحمة واسعة .

ولنـــترك هذه الصفحة من فصول الفتنة،وننتقل إلى تبعاتها،وما ترتـــب علـــيها مـــن مآسى فى عهد خلافة أبى الحسن على،وكيفية مواجهته لها فإليك بيان ذلك :

---

(١) طه حسين : الفتنة عثمان ص٢٢٢ . محب الدين الخطيب : حاشية العواصم ص ٥٨.

الباب الرابع

خلافة أبى الحسن على بن أبى طالب ٣٥- ٤٠ هـ

الفصل الأول : علىٌ من الميلاد حتى الخلافـــــة .

الفصل الثانى : آثار مقتل عثمان على الإمام

الفصل الثالث : العلاقة بين على ومعاويـــــة .

الفصل الرابع : وقفة متأنية من أحداث الفتنة.

الفصل الأول

علىّ من الميلاد حتى الخلافة :

أولاً : **نشأة على وحياته** :

نسبه :على ، بن أبى طالب ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، ابن عبد مناف ، بن قصى ، وأمه فاطمة ، بنت أسد ، بن هاشم ، ابن عبد مـــناف ، فهى ابنة عم أبيه ، مات أبو طالب مشركاً ، بينما أسلمت أم على ، وهاجرت معه ، وكانت أول هاشمية ، ولدت هاشمى ، وتوفيت بالمدينة ، وولد الإمام على قبل بعثة النبى ﷺ بعشر سنين (١).

كنيته وألقابه :

لما ولد على سمته أمه حيدرة ، ثم غير أبو طالب ذلك وسماه علياً ، وتكـــنى بعـــد زواجه وإنجابه بأبى الحسن ، وأبى الحسين ، وكانت أجمل الكـــنى إليه أبو تراب ، حيث كناه بها النبى ﷺ ، لما وجده ذات يوم نائما فـــى المسجد ، وقد سقط عنه بعض ردائه ، وأصابه التراب ، فقال له : قم أبا تراب ، فكان يُمدح بهذه الكنية (٢).

نشأته وإسلامه :

نشـــأ على فى بيت النبوة ، حيث كانت قريش قد أصيبت بقحط وجـــدب ، فهـــب النبى ﷺ وأعمامه حمزة ، والعباس ، للتخفيف عن

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٩ ، الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ١/ ٢٤ ، ابن كثير : البداية ٧/ ٢١١ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٩٧ .

(٢)الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ١/ ٢٤ – ٢٦ ، الذهبى : السير ٢/ ٦١٦.

عمهـم أبـى طالـب ، الذى كان كثير العيال ، فأخذ النبى ﷺ عليا ، وحمـزة جعفراً ، والعباس طالباً ، ليكفوا أباهم مؤنتهم ، ويخففوا عنه ثقلهم[١].

صان المولى - عز وجل - عليا من عبادة الأوثان ، إذ أسلم وهو فى العاشرة ، وكان أول من أسلم من الصبيان مع رسول الله ﷺ، وكـتم إسلامه خوفاً من أبيه ، حتى جهر الرسول ﷺ بالدعوة ، فأعلن إسلامه على الملأ ، واشتهر على بالفروسية ، والشجاعة ، والإقدام[٢]، ومارس النزال وهو فى العشرين من عمره[٣].

نـال على ثقة النبى ﷺ ، فأستأمنه على أداء الأمانات لما عزم الرسـول ﷺ علـى الهجرة ، وبات فى فراشه للتعمية على قريش ، وأدى الأمانـة ، ثـم خرج بعد ثلاث ليال لللحاق بالرسول ﷺ ، الذى آخـى بين نفسه وبين على فى المدينة ، وشهد علىٌّ المشاهد كلها مع الرسـول ﷺ ، وكانت لـه اليد البيضاء فى غزوة بدر ، لما صرع هو وعمه حمزة ، وابن عمه عبيدة بن الحارث ، رءوس المشركين ، عتبة ، وشـيبة ، والوليد ، وكان على حامل لواء الرسول ﷺ يومئذ ، كما شهد غـزوة أحد ، وحمل لواءها بعد استشهاد مصعب بن عمير ، وأبلى فيها بـلاءاً كبـيراً ، فأطـاح بـرؤس المشركين ، ولما دارت الدائرة على

---

(١) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ٢٦/١.

(٢) ابن كثير: البداية ٢١٢/٧. ابن سعد : الطبقات ٢١/٣ ، ابن حجر : الإصابة ٢٦٩/٢

(٣) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ٢٧/١.

المسلمين ، كان بجوار الرسول ﷺ ، يذب عنه ، وغسل عن وجه النبى ﷺ الدماء التى سالت منه ، وزوجه الرسول ﷺ بعد ذلك ابنته فاطمة[١].

وكان على من أبطال الخندق ، إذ بادر لمبارزة فارس العرب والمشركين عمرو بن عبد ود ، وأطاح برأسه ، وكبر المسلمون إثر تكبيرته ، وشهد الحديبية ، وبيعة الرضوان ، وقاتل فى خيبر ، حتى تحدث النبى ﷺ وقال : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فبات المسلمون ينتظرون من يأخذها ، فأعطاها الرسول ﷺ لعلى ، ففتح الله عليه حصون خيبر، وقتل مرحب اليهودى ، وشهد على عمرة القضاء ، والفتح ، وحنينا، والطائف ، وقاتل فى هذه المشاهد قتالاً كبيراً ، واستخلفه النبى ﷺ على المدينة حينما خرج لغزوة تبوك ، فحزن على ، وقال: أتخلفنى يا رسول الله ﷺ مع النساء والصبيان ؟ فقال له ﷺ : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبى بعدى ، وبعثه رسول الله ﷺ أميراً وحاكماً على اليمن ، والتقى بالرسول ﷺ فى حجة الوداع ، ولما طلب العباس من على أن يسأل الرسول ﷺ فى مرض موته لمن الأمر من بعده ، قال على : والله لا أسأله ، فإنه إن منعناها، لا يعطيناها الناس أبداً بعده [٢].

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٢،٢٣ ، ابن كثير: البداية ٧/ ٢١٢ – ٢١٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٩٨.

(٢) ابن كثير: البداية ٧/ ٢١٢ ، ٢١٣ ، ابن سعد : الطبقات ٣/ ٢٣ – ٢٥ ، الذهبى : السير ٢/ ٦١٧ – ٦٢٠.

ثـــم كانت خلافة أبى بكر فبايعه على ، وشارك معه فى الدفاع عن المدينة ضد هجوم مانعى الزكاة ، وكان من مستشاريه فى الأمور كلها ، وظل كذلك فى خلافة عمر ، وقد حفظ على للشيخين مكانتهما، فقال لمن حاول تفضيله عليهما : اعلموا أن خير الناس بعد نبيهم ﷺ أبـــو بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النوريـــن ، وقال أيضاً : لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر رضـــى الله عنهما إلاَّ جلدته جلد المفترى ، ولما طعن عمر جعله أحد أعضـــاء مجلـــس الشـــورى ، الذين يختار الخليفة منهم ، وأصابت الخلافة عثمان ، فبايعه على ، وظل ناصحاً أميناً له ، حتى نفذ قضاء الله ، فقـــتل عثمان رضى الله عنه، فنادى المسلمون بعلى فى المدينة خليفة [١].

وقصـــارى القـــول – كما قال ابن حجر [٢]: إن مناقبه كثيرة ، حـــتى إنـــه لم ينقل لأحد من أصحابة مانقل لعلى ، وكان ذلك سبب بغـــض بنى أمية له ، وكانوا كلما أرادوا إخماد سيرته ، وهددوا من يحدث بمناقبه ، لا يزداد الأمر إلا انتشاراً .

صفاته الخِلقية والخُلقية :

كان على مربوعاً ، أسمراً ، إلى القصر أقرب ، ضخم البطن، دقـــيق الأصـــابع ، غليظ الذراعين ، ضخم المنكبين ، عظيم اللحية ،

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٢١٣ ، ٢١٤ ، ابن حجر : الإصابة ٢/ ٢٦٩ ، الذهبى: السير ٢/٦٢٨ – ٦٣١ ، المقدسى : الرد على الرافضة ص ١١٥ – ١١٧ .

(٢) الإصابة ٢/ ٢٦٩.

شـديد الصـلع ، خفـيف المشـى ، ضحوك السن ، ثقيل العينين ، عظـيمهما ، كثير شعر الصدر ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، ولا يغير شيبه كثيراً ، وإن غير فكان يخضب بالحناء[1].

فمن هذا الوصف ترى أنه يتميز عن أبى بكر الذى كان نحيف الجسـم ، ويخـتلف عن عمر الذى كان طويلاً ضخماً ، وعن عثمان الـذى كـان متوسـط البنية ، فعلى كان لقصره ، وضخامة جسده ، وقوته، طابع خاص به.

وأما عن صفاته الخُلقية فحدث ولاحرج عن شجاعته ، وبلائه، وجهاده فى سبيل الله ، وعفته ، وطهارته عن مال المسلمين ، وعلمه الذى سبق فيه جل الصحابة ، وهو أحد المبشرين بالجنة .

ثانياً : اختيار على ومبايعته بالخلافة :

قـتل عثمان رضى الله عنه ، وظلت المدينة المنورة خمسة أيام من دون خليفة ، بل يتولى أمرها رأس الثوار الغافقى بن حرب ، الذى اجتهد هـو ومـن معه على تنصيب أحد الصحابة خلفاً لعثمان فالتمسوا الزبير ، فاخـتفى عـنهم ، وكذلك طلحة ، وعلى ، فذهبوا إلى سعد بن أبى وقاص فاعتذر ، وكذلك عبد الله بن عمر ، فأسقط ذلك فى أيدى الثوار ، وانتابتهم الهواجـس والظـنون ، مـن عاقبة رجوعهم لأمصارهم من دون اختيار خلـيفة للمسـلمين ، فجمع الثوار أعلام المدينة ، وطالبوهم باختيار أحدهم

---

(1) ابـن سعد : الطبقات ٢٥/٣ - ٢٧، الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ١/ ٢٧ ، ٢٨ ، ابن الأثير : أسد الغابة ٣٠٥/٢ ، ٣٠٦ ، الكامل ٣٩٦/٣ ، ٣٩٧ .

لينصبوه خليفة خلال يوم واحد ، وإلا فسيقتلوا طلحة ، والزبير ، وعلى ، ورؤس الصحابة [١].

هرع من بقى من الصحابة فى المدينة إلى على بن أبى طالب، يلتمسون منه إنقاذ المدينة من استبداد هؤلاء الثوار ، وتولى الخلافة ، حــتى لا يعم الفساد فى أرجائها ، فطلب منهم على أن يلتمسوا غيره لهــذا الأمر ، فناشدوه بالله ، وألحوا عليه فى الأمر ، فقبله على كره مــنه ، وألزم الثوار طلحة والزبير على البيعة لعلى ، فكان ذلك من أســباب خــروجهما عليه بعد ذلك ، ثم بايع جمهور المسلمين لعلى ، وذلــك فــى الجمعة التى تلت مقتل الخليفة عثمان ، أى فى الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة ٢٥ هـ [٢].

وتخلــف عــن البيعة لعلى نفر من الأنصار منهم : حسان بن ثابــت، وكعــب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد الخدرى ، ومحمــد بــن مســلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، وكانوا جمــيعاً مــن الذيــن سارعوا بالفرار من المدينة فور مقتل عثمان ، واتجهوا صوب مكة ، وعلى رأسهم مروان بن الحكم ، وسعيد بن أبى العاص ، والوليد بن عقبة [٣].

ولما بويع الإمام البيعة العامة فى المسجد النبوى ، ارتقى المنبر وخطــب الحضــور فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : "**إن الله تعالى**

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٩٢/٣ ، ابن كثير : البداية ٢١٥/٧.

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٩٣/٣ ، ١٩٤ ، ابن كثير : البداية ٢١٤/٧ ، ٢١٥ ، المقدسى : الرد على الروافض ص ١٣٨.

(٣)ابن الأثير : الكامل ٣/ ١٩١ ، ١٩٢.

أنــزل كــتاباً هاديــاً ، بين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير، ودعوا الشــر، إن الله حرم حرماً مجهولة ، وفضل حُرم المسلم على الحرم كلها ، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المســلمون من لسانه ويده ، إلا بالحق ، ولا يحل لمسلم أذى مسلم إلا بمــا يجــب ، بــادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فإن الــناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعة تحدو بكم ، فتخففوا تلحقوا ، فإنما ينتظر الناس أخراهم ، اتقوا الله عباده فى عباده وبلاده ، فإنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا رأيتم الشر فدعوه [1] ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْـعَفُونَ فِـي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ "[2].

وما إن فرغ الأمام من خطبته تلك ، حتى قال أحد الثوار له:

خذها إليك واحذرن أبا الحسن   إنا نمر الأمر إمرار الرســـن

وأهم الملامح التى تلاحظ على خطبة الإمام على أنه يعمل على تسكين النفوس ، وعلى العودة والآوبة لله تعالى ، والبعد عن ارتكاب المحــرمات ، وبيان حرمة دم المسلم وعرضه ، والتذكير بالآخرة ، والعمــل لها ، ولم يشر من قريب أو بعيد لمقتل الخليفة عثمان ، ولا ريــب فى ذلك ، فقد كان الثوار هم مركز القوة فى المدينة ، ولم يكن بإمكانه إثارتهم عليه من أول يوم .

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/٢١٥.
(٢) الآية ٢٦ سورة الأنفال.

الفصل الثانى

آثار مقتل عثمان على الإمام :

أولاً : الموقف من قتلة عثمان :

كانت أول مشكلة واجهها على بن أبى طالب فور استخلافه هى: مطالـــبة رهــط من الصحابة منه أن يقتص من قتلة عثمان ، وإقامة الحــدود عليهم ، فأجابهم على بأنه لا يجهل هذا الأمر ، ولكن هؤلاء الــثوار القــتلة هم الذين يسيطرون على زمام الأمور بالمدينة ، فهم يملكونـــنا ولا نملكهم ، ولا سيما وقد انضوى تحت لوائهم الأعراب ، والعبيد ، فلا نستطيع القصاص منهم الآن ، ولكن ننتظر حتى تنجلى الأمـــور ، خاصـــة وأن الصحابة افترقوا فى أمر القصاص من قتلة عــثمان والبـــيعة لعلى ، وليس هناك دواء لهذا إلا الهدوء والسكينة ، حـــتى تســـتقر الأمور ، ويخرج الأعراب من المدينة ، ويعود العبيد لمواليهم [١].

ولقــد أثنى المقدسى [٢] على موقف على هذا ، وأنه توقف عن القصـــاص مـــن قـــتلة عثمان ، إما لشوكتهم ، وكثرتهم ، وقوتهم ، وحرصـــهم بالخروج على من يطالبهم بدمه ، فاقتضت الحكمة تأخير الأخـــذ بهذا الحد ، خوفاً من إثارة فتنة أكبر ، أو لأن الإمام رأى أن هؤلاء بغاة ، لما لهم من المنعة والقوة الظاهرة ، والتأويل الفاسد حيث استحلوا دم عثمان ، وكانوا على استعداد لاستحلال دم على ، إن هو جاهرهم بالعداء من أول يوم .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/١٩٥ ، ١٩٦.

(٢) الرد على الرافضة ص ١٣٨.

أراد طلحـــة والزبير أن يساعدا علياً فى تحقيق القصاص من قتلة عثمان ، فطلبا منه أن يأذن لهما بالذهاب للكوفة والبصرة ، ليجلبا له القوات والعتاد اللازم لذلك ، وكان هذا كناية عن رغبتهما فى تولى طلحـــة البصـــرة ، والزبير الكوفة ، ولكن الإمام أراد إبقاءهما معه ، لمساعدته فى شئون الحكم ، والاستنارة برأيهما ، فلم يأذن لهما بذلك ، مما دفعهما للتنكر لـــه ، والتعلل بالرغبة فى الخروج لأداء العمرة[١].

ثانياً : موقف على من ولاة الأمصار :

لا مـــراء فى أن الناس بالمدينة قد استقبلوا خلافة على بغير ما اســتقبلوا خلافـــة عـــثمان ، الذى جاءهم بعد شدة عمر ، وحرصه ، فأعطـــاهم عثمان ، ووسع عليهم ، وفتح عليهم أبواب الدنيا ، فأحبوه فى أيامه الأولى ، حتى فضلوه على عمر ، ولما جاءهم علىّ بدأ يسير فـــيهم بســـيرة عمر ، فلم يوسع عليهم فى الأرزاق ، واشتد عليهم ، وحال بينهم وبين الخروج ، وهيجه افتراق القوم عليه ، واتجاه بعض بنى أمية إلى مكة ، وتفرق الصحابة فى الأمصار ، فاشتد علىّ عليهم، والـــنفس البشـــرية يصـــعب عليها الشدة بعد اللين ، على حين ترتاح وتطمئـــن للين بعد الشدة ، لذا كانت نفوس المدنيين يشوبها كثير من الوجوم والقلق لتسلم علىّ الخلافة [٢].

لـــم يقتصـــر هذا الوجوم على المدينة ، بل تعداه لمكة ، وبلاد الشام ، حيث خرج بعض الأمويين من أنصار عثمان إليها فور مقتله، وبـــدأوا فـــى تأليـــب الناس على خلافة على ، وأما الشام فكانت أشد سخطاً على خلافة الإمام ، ولمَ لا ، وقد حُمل إليها قميص عثمان الذى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/ ١٩٦ ، ابن كثير : البداية ٢١٦/٧ .

(٢) الطبرى :تاريخ الرسل ٤/ ٤٣٧، ٤٣٨، محمود شاكر : الخلفاء ص ٢٦٣ .

قتل فيه ، وبعض أصابع زوجه نائلة ، ونصب معاوية وآل الشام هذا القمـــيص على منبر مسجد دمشق ، ودفع الناس إلى رؤيته ، والبكاء علـــيه ، والمـــناداة بالـــثأر لمقتل عثمان ، وقام فى هذا الأمر بعض الصـــحابة مـــنهم : عبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء، وأبو أمامة ، وغـــيرهم ، وأقســـم بعض المسلمين بالشام على اعتزال النساء ،حتى ينالوا ثأر عثمان ، وينتقموا من قتلته [١].

١- رأى على :

رأى على بن أبى طالب أن يبسط سيطرته على كافة الأمصار ، وذلك بعزل جميع ولاة عثمان ، الذين كانوا سبباً فى الفتنة ، وأن يولى عمالاً آخرين ممن يثق فيهم ، حتى تدين له كافة الأمصار ، واستشار بعـــض الصحابة فى ذلك الأمر ، وكان منهم المغيرة بن شعبة ، الذى طلب من علىّ أن يقر عمال عثمان سنة ، حتى تأتى طاعتهم للخليفة ، فإذا تم ذلك ، فليبق من يشاء ، ويعزل من يشاء ، فأجابه على بأنه لا يداهن فى دينه ، ولا يعطى الدنية ، فقال المغيرة : فأبقى معاوية على إقلـــيمه ، واعزل من تشاء من العمال ، ولك حجة فى ذلك ، فقد ولى عمر معاوية ، وأقره عثمان ، فرفض على بن أبى طالب ذلك الرأى ، وصمم على عزل معاوية ، وقال: لا والله ، لا أستعمل معاوية يومين، ثـــم انصـــرف المغيرة بن شعبة ، وجاء فى اليوم التالى يحسن للإمام عـــزل جمـــيع العمال دفعة واحدة، وتعيين من يثق فيهم الإمام ، فهم أهون شوكة مما كان [٢].

---

(١) ابن كثير : البداية ٢١٦/٧.

(٢)ابن الأثير : الكامل ٣/ ١٩٧ ، ابن كثير : البداية ٢١٧/٧.

٢- رأى ابن عباس :

كـان ابـن عباس قد وفد لتوه من آداء شعيرة الحج ، واستلفت نظره دخول المغيرة بن شعبة على الخليفة مرتين فى يومين متتاليين ، فسـأل علـياً عـن ذلك ، فأخبره بما جرى بينهما ، فقال ابن عباس للخليفة : أما المرة الأولى فقد نصحك ، وأما المرة الثانية فقد غشك ، قال على : كيف نصحنى ، أجابه ابن عباس أن معاوية وأنصاره فى بـلاد الشام أهل دنيا ، فمتى ثُبِتَ ، واستقر فى ولايته ، لا يبالى بمن يكون الخليفة بعد عثمان ، أما إذا عزلته، فيقول ويشيع بين الناس: إنك أخـذت هذا الأمر من غير شورى من المسلمين ، بل وسيحملك وزر مقتل الخليفة عثمان ودمه ، ويؤلب عليك الناس فى الشام ، والعراق ، الشـام لوجوده فيها ، والعراق لتأهب طلحة والزبير للوثوب عليها ، وخـتم ابن عباس حواره مع الخليفة بطلبه أن يترك معاوية فى ولايته حيـناً حتى يبايع علىّ بالخلافة ، ويدين لـه ، فإن فعل خلعته لك ، فأجابه على والله لا أعطيه إلا السيف (١).

حاول عبد الله بن عباس مراراً أن يثنى علياً عن عزمه بعزل ولاة عـثمان ، فقال لـه : إن الحرب خدعة ، وإنك إن أعطيتنى فيما قلـت لك لأصدرنهم بعد ورد ، ولأتركنهم ينظرون فى دبر الأمور لا يعـرفون ما كان وجهها فى غير نقصان عليك ، ولا إثم ، فرد عليه على برفض ذلك ، فعرض عليه ابن عباس أن يترك أمر الخلافة فى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/ ١٩٧ ، ابن كثير : البداية ٢١٦/٧.

رقبة المسلمين ، ليولوا غيره وليلحق هو بماله فى ينبع ، فأبى ذلك ، وطلـب علىٌّ من ابن عباس أن يطيعه فيما يأمره به ، ويمتثل له ، ثم قال له على : لقد وليتك ولاية الشام بدلاً من معاوية، فقال ابن عباس: ليس هذا برأى مصيب ، لأن معاوية ابن عم الخليفة المقتول عثمان ، فلـو زاحمته فى ولاية الشام ، وحملت إليه خبر عزله ، فقد يضرب عـنقى قصاصـاً بعـثمان فى زعمه ، ولو تركنى حيا ، فقد يعتقلنى لقرابتى منك ، بل أرى أن ترسل إليه تعده وتمنيه ، فأنهى على حواره مع ابن عباس بالرفض التام لهذا الرأى [١].

لا يسـاور المرء ريب فى أن ابن عباس كان مصيباً فى كل ما قاله لعلـى ، ولـو أصـغى الخلـيفة لذلك ، لكان من الممكن تجنب كثير من العـثرات ، التى سقط فيها بعد ذلك ، فى الجمل ، ثم فى صفين ، وأقل ما يقـال على ابن عباس أنه كان جيد الاستقراء لمستقبل الأحداث ، إذ أثبتت النوازل التى حلت بعلى صدق ما قاله حرفاً حرفاً .

٢- إرسال الولاة الجدد وموقف الأمصار من ذلك :

عـزم الإمـام علـى تنفيذ سياسته ، بعزل كل عمال عثمان ، فاستهل سنة ٣٦هـ بإرسال عماله الجدد على الأمصار ، وهم:عثمان [٢]

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٣/١٩٧، ١٩٨، ابن كثير :البداية ٧/٢١٦ ، ٢١٧.

(٢)عـثمان ، بـن حنـيف ، الأنصـارى ، الأوسى ، بعثه عمر لمسح خراج السواد بالعـراق ، واستنابه على الكوفة ، وتصدى للزبير وطلحة والسيدة عائشة ، لما حاولوا دخولها ، فقبضوا عليه ، ثم أطلقوا سراحه ، لما هددهم بقتل أقربائهم فى المدينة ، على يـد أخـيه الذى استخلفه على عليها ، قبل خروجه إلى معركة الجمل ، وتوفى عثمان سنة ٥٢هـ . ابن كثير : البداية ٨/ ٧٨ ، الذهبى : السير ٣/٤ ، ٤.

بن حنيـف على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة ، وعبيد(١) الله بـن عباس على اليمن ، وقيس(٢) بن سعد بن عبادة على مصر ، وسهل (٣)بن حنيف على الشام ، واختلفت ردود أفعال سكان الأمصار، وولاة عثمان القدامى مع عمال على الجدد، ففى مصر تمكن قيس بن سـعد من دخولها بدهائه ، حتى بايع لـه الجمهور ، وتخلف قلة عن ذلـك، وانـتظروا أن يثأر من قتلة عثمان، واعتزلوا فى بلدة خربتا ، وأمـا اليمـن فقـد استقر بها عبيد الله بن عباس ، بعد أن جمع والى عـثمان يعلى بن أمية المال والخراج وفر إلى مكة ، وأما البصرة فقد دخلهـا عـامل علـىّ عثمان بن حنيف ، بعد أن غادرها عبد الله بن

---

(١) عبـيد الله ، بـن عباس ، بن عبد المطلب ، ولد فى حياة الرسول ﷺ ، وله رؤية، وكـان كـريما، جميلاً يشبه أباه ، استنابه على بن أبى طالب على اليمن، سنة ٣٦هـ ، وحـج بالناس بدلاً من على أعوام ٣٦ و٣٧هـ ، وأرسل معاوية لبلاد اليمن بسر بن أبى أرطـاة ، فقـتل ولدين لعبيد الله ، الذى فر إلى على فى الكوفة، ولما توفى على تقرب عبـيد الله إلى معاوية، فأكرمه، وتوفى عبيد الله سنة ٥٨ هـ ، ابن كثير : البداية ٨٧/٨ الذهبى : السير ٣٠/٥ ، ٣١ .

(٢) قـيس ، بن سعد ، بن عبادة ، الخزرجى ، صحابى كأبيه ، خدم الرسول ﷺ عشر سـنين ، وحمـل لـواءه فى بعض الغزوات ، وكان يقوم معه كصاحب الشرطة من الأمـير ، وكـان قيس سيداً ، مطاعاً ، ولاه على نيابة مصر ، فساسها أحسن سياسة ، حـتى أوقع معاوية بينه وبين على ، فعزله عنها ، وانضم قيس لعلى فى الكوفة ، وشهد معـه صفين ، والنهروان ، حتى قتل على ، ولما استخلف معاوية بايعه قيس على كره منه ، وتوفى بالمدينة سنة ٥٩ هـ ، ابن كثير : البداية ٩٥/٨ - ٩٨.

(٣) سـهل ، بـن حنيف ، الأنصارى ، الأوسى ، آخى الرسول بينه وبين على، وشـهد بـدراً ، وثبـت فى أحد ، وبايع على الموت ، وأعطاه الرسول من مال بنى النضـير لفقـره ، وشهد سهل مع على المشاهد كلها إلا الجمل ، وتوفى سنة ٣٨هـ ، وصلى عليه على ودفن بالكوفة ، ابن كثير البداية ٣٠١/٧ .

عامــر، وإن كــان أهلها قد افترقوا بشأن دم عثمان ، وأما الكوفة فلم يتمكن عامل عليٌ عمارة بن شهاب من دخولها ، حيث منعه من ذلك طلحـــة بن خويلد ، الذى كان قد خرج للثأر لمقتل عثمان ،وأما الشام فقد حال جنود معاوية من وصول عامل عليٌ عليها ، وردوه من على أبوابها [١].

حـــدث ما توقعه عبد الله بن عباس ، إذ رفض معاوية الامتثال لقـــرار عزـــله ، ليس هذا فحسب ، بل وأخذ فى تصعيد الأمور ضد الإمام على ، وتأليب الناس عليه ، واتهامه بقتل الخليفة عثمان ، فجمع علـــيٌ طلحـــة ، والزبير ، واستشارهما فى هذا الأمر ، وهو رفض معاوية لقرار عزله ، ليتعرف على نيتهما ، فاستأذنا منه فى الخروج لأداء العمـــرة ، فأذن لهما على كره منه ، ثم ما لبث أن وصل لعلى كـــتاب أبى موسى الأشعرى ، يعلن فيه طاعة أهل الكوفة ، وبيعتهم للخلـــيفة ، وبذلك استقامت الأمور فى كل الأمصار للخليفة ، إلا بلاد الشـــام، فأرســـل على سبرة الجهنى رسولاً إلى معاوية ، يطلب منه الدخول فى الطاعة ، فماطل معاوية فى الرد ثلاثة شهور ثم أجاب[٢].

وصـــل رســـول معاويـــة إلى المدينة ، يحمل طوماراً من دون كتابة، ولما سأله عليٌ عما وراءه ، قال : تركت سبعين ألف شيخ فى مســـجد دمشق ، يبكون تحت قميص عثمان ، ولا يطالبون بشىء إلا القصـــاص مـــن قـــتلة عثمان ، فأعلن على براءته من دم عثمان ، وخـــرج الرسول إلى الشام ، فهم السبئية بقتله ، لولا أن استجار منهم بعصـــبة له فى المدينة ، وبدأ الإمام عليٌ منذ تلك اللحظة الاستعداد

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ابن كثير : البداية ٧/٢١٧.
(٢) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ابن كثير : البداية ٧/٢١٧.

للـزحف على بلاد الشام ، لإجبار معاوية على ترك ولايتها ، وحاول الحسـن بن على تخذيل والده عن الخروج ، حتى لا تراق الدماء فى قـتال المسـلمين مع بعضهم البعض ، ولكن علياً صمم على موقفه، فاستخلف على المدينة قثم [١] بن عباس ، ورتب جيشه ، ودفع اللواء لابـنه محمد بن الحنفية ، وتأهب للزحف صوب بلاد الشام ،وحض سـكان المديـنة علـى قـتال معاوية ، كما كتب لعماله فى مصر ، والكوفة، والبصرة ، أن يندبوا الناس لقتال أهل الشام، وبينما هم كذلك إذ تواتـرت الأخـبار للإمـام باجتماع رهط من الصحابة فى مكة ، ومـناداتهم بالقصـاص من قتلة عثمان ، وعلى رأس هؤلاء : السيدة عائشة ، وطلحة ، والزبير ، فحول على بن أبى طالب وجهته وقواه ، لمواجهـة هـؤلاء ، خاصـة بعد أن أشيع عن عزمهم الخروج إلى العراق[٢].

ثالثاً : معركة الجمل ٣٦هـ :

١- انقسام الصحابة إثر مقتل عثمان :

يطلـق المؤرخون المسلمون على الفترة من بداية المؤامرة ضد الخلـيفة الثالث عثمان اسم الفتنة الكبرى ، وهذا اسم على مسمى ، إذ انفـرط عقـد الخلافـة الإسلامية ، وتخاصم المسلمون ، وتناحروا ، وانقسـمت الأمـة الإسلامية حينذاك إلى ثلاث مجموعات متحاربة ،

---

(١) قـثم ، بن العباس ، بن عبد المطلب ، كانت له صحبة للنبى ﷺ ، وقد أردفه النبى ﷺ خلفه ، وكان يشبهه ، ولما بويع على بالخلافة استخلف قثم على المدينة، لما خرج للعراق ، وظل عليها حتى قتل على ، وانضم لمعاوية بعد ذلك ، وغزا سمرقند ، فاستشهد ، ودفن فيها ، الذهبى السير ٥١٤/٤ ، ٥١٥.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ابن كثير : البداية ٢١٧/٧.

وإلى جماعة غير منحازة ، وهذه المجموعات ما يلى :

أ- مجموعـــة كانـــت فـــى صف الإمام على تؤيده ، وتسانده ، وقامت لانتخابه خليفة رابعاً ، بعد استشهاد عثمان .

ب- مجموعـــة أخرى كانت مع السيدة عائشة رضى الله عنها، وكـــان مـــن أتـــباعها طلحة ، والزبير ، ومن فى صفهم ممن وقفوا يطالـــبون بالقصـــاص لمقتل عثمان ، وقادوا حركتهم أولاً فى مكة ، وبعد ذلك فى البصرة .

جـ - المجموعـــة الثالثة وهى القوية ، وضمت معاوية والى الشام ، والأوفياء لـــه ، وقد قاموا يطالبون بالقصاص من قتلة عثمان، ورفض هؤلاء الاعتراف بخلافة على .

د- المجموعـــة الرابعة ضمت من احتاط من الصحابة الكرام، وكـــبار المســـلمين ، ممـــن لم يرغبوا فى أن يلوثوا أيديهم بالحرب الداخلـــية ، بيـــن المســـلمين [1]، ولـــنلقى نظـــرة سريعة على هذه المجموعـــات ، حـــتى نـــتعرف علـــى مواقف الصحابة من الصراع المرتقب بين المسلمين وبعضهم البعض .

أ- مجموعة اعتزال الفتنة :

ضـــمت ســـعد بن أبى وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم ، وكانوا يرون اجتناب القتال بين المســـلمين ، وكان هذا رأى أكابر الصحابة ، حيث قعدوا عن الفتنة ، وقيل لسعد : ألا تقاتل ، إنك من أهل الشورى ، وأنت أحق بهذا الأمر مـــن غيرك ؟ ، قال : لا أقاتل حتى يأتونى بسيف له عينان ، ولسان

---

(1) محمد ياسين : الهجمات المغرضة ص ١٣٦.

وشفتان ، يعرف المؤمن من الكافر ، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد ، وقـــال محمد بن مسلمة : أعطانى رسول الله ﷺ سيفاً وقال : قاتل به المشـــركين ، فـــإذا رأيـــت المســـلمين قد أقبل بعضهم على بعض ، فأضـــرب به أحد حتى تقطعه ، ثم اجلس فى بيتك ، فكان ابن مسلمة ممن اعتزل الفتنة ، ولم يحضر الجمل ولا صفين [١] بل اتخذ سيفاً من خشب ، واعتزل فى الربذة ، كما روى سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنـــه قال : " **سيكون بعدى فتنة ، القاعد فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى**"[٢].

لـــم يكـــن امتناع هؤلاء الصحابة عن الخروج مع الخليفة إلى الحرب عن نزاع فى خلافته ، أوشك فيها ، بل لأنه تركهم واختيارهم مـــن غير إلزام على الخروج ، فاختاروا ذلك بناء على تلك الأحاديث التى رووها عن الرسول ﷺ ، ولذلك لم يأثموا بالقعود عن الحرب مع الخليفة ضد مناوئيه [٣].

ولما حاول الأشتر[٤] النخعى – أحد قادة على – تأليبه على على

([١]) ابن تيمية :سؤال فى معاوية ص ٣٨ ، ٣٩ ، الذهبى : السير ٣٥/٤ – ٣٩، الكاندهلوى : حياة الصحابة ٣٨١/٢.

([٢]) المقدســـى : الـــرد علـــى الرافضة ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص ١٤٢ ، ١٤٣.

([٣]) المقدسى : الرد على الرافضة ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

([٤]) الأشـــتر الـــنخعى : مالك بن الحارث أحد الأبطال الذين شاركوا فى معركة الـــيرموك ، ألـــب على عثمان الناس حتى قتل، وشهد مع على صفين، وكاد أن يـــهزم معاويـــة حـــتى رفعـــت المصاحف ، فألزموه بوقف القتال، فأوقفه على مضـــض، وأرسله على إلى مصر واليا، بعد عزل قيس بن سعد، فاحتال معاوية علـــيه ، حـــتى سمه قبل أن يدخلها، فقال عنه على : على مثله فلتبك البواكى ، الذهبى : السير ٧٩/٥ ، ٨٠ .

هــؤلاء الصحابة ، وإلزامهم بالمشاركة فيما خرج فيه من قتال مناوئيه ، وإن رفضوا ذلك فيأدبهم بالحبس ، رفض عليٌّ ذلك ، وقال لــه : دعهم ورأيهم الذى هم عليه [١]، إذ أنهم من كبار الصحابة ، الذين يعرف على لهم حقهم ، وكان لهم اجتهاد فى عدم خروجهم ، ألا وهو أحاديث الرسول ﷺ ، التى تطلب اعتزال الفتنة إن وقعت .

ب - مجموعة الإمام على :

كــان علـــى يــرى أن عــثمان قــتل مظلوماً ، وأن قاتليه هم المســيطرون على زمام الأمور فى المدينة ، وأنه لا يمكنه القصاص مــنهم فور توليه الخلافة ، بل على الجميع أن يدخل فى طاعته أولاً، ثــم يقــوم ولـــى دم عثمان بالدعوى على قاتليه ،فيحكم على فى هذه القضية بما توجبه الشريعة ، بينما كان مخالفى على يطالبونه بقتل قتلة عــثمان من غير دعوى ، ولا إقامة بينة [٢] والذين بدأ لهم الحق فى جانــب علـــى ، وقفوا معه لله ، إحقاقاً للحق ، وإيماناً بأنهم مسئولون أمام الله إن تخلفوا عن نصرته [٣].

جـ - مجموعة السيدة عائشة وطلحة والزبير ومعاوية : :

هذه المجموعة اعتقدت أن الحق فى جانب المطالبين بدم عثمان، وإقامة الحد على قتلته ، ومن ثم حارب هؤلاء علياً بإيمان وصدق ،

---

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ص ١٤٣.

(٢) ابن حجر : الإصابة ٢٧٠/٢ ، محب الدين الخطيب : حواشى العواصم لابن العربى ص ١٤٦.

(٣) شعوط : أباطيل ص ٢٠٢.

لا بدافـــع المـــنافع الذاتـــية ، وحجتهم فى ذلك وجود قتلة عثمان فى صـــفوف الإمام على[١] ، وكان كما قلت:على رأسهم معاوية بن أبى ســـفيان والى الشام ، الذى استثار مشاعر المسلمين فى بلاده ، بتعليق قمـــيص عثمان الذى قتل فيه على منبر دمشق سنة كاملة ، حتى أقسم الرجال على اجتناب النساء حتى نيل الثأر من قتلة عثمان [٢]، ولكن معاوية كان داهية ، إذ لم يسارع بالدخول إلى حومة الوغى ، حتى لا يفقـــد قواتـــه مـــبكراً ، بـــل تريث فى دمشق ، منتظراً ما تسفر عنه الأحداث بين جبهة على ، وجبهة السيدة عائشة ، وطلحة ، والزبير ، فـــإن انتصـــر هـــؤلاء ، فقد تخلص من على ، الذى بادر بعزله فور اســـتخلافه ، وإن انتصـــر علـــى ، فسوف يخرج منهوك القوى بعد صراعه مع الحلفاء الثلاثة ، وهذا ما أثبتت الأيام حدوثه .

وأمـــا الســـيدة عائشة فضاقت بالمقام فى المدينة حينما حوصر عـــثمان ، وخرجـــت صوب مكة لأداء العمرة ، ثم تأهبت للعودة إلى المدينة ، وفى الطريق بلغها نبأ مقتل عثمان ، والبيعة لعلى: فأشارت إلـــى السماء ، والأرض ، وقالت : ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لعلى ، ردونى ردونى فعادت إلى مكة ، وهى تقول : قتل والله عـــثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه ، فقال لها مرافقها: لقد كنت أول من ألبت على عثمان ، وكتبت فيه إلى الأمصار ، فقالت : والذى آمن بـــه المؤمنون ، وكفر به الكافرون ، ما كتبت لهم سواداً فى بياض ، حتى جلست مجلسى هذا ، فعلم الناس أنه كتب على لسانها تلك الكتب،

---

(١) شعوط : أباطيل ص ٢٠٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٢٠٣.

التى حرضت الثوار على عثمان [١]، والتى طارت فى الآفاق ، بفعل السبئية وأعوانهم .

عادت السيدة عائشة إلى مكة والتزمت الحجر ، واستترت ، ثم خطبــت الـناس قائلة : " **أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياة ، وعبيد أهل المدينة ، اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ، ونقموا عليه ... فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحــرام ، والشــهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ، ووالله لو أن الذى اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه ، كما يخلص الذهب من خبثه ...**" [٢].

٢- مناداة السيدة عائشة فى مكة بالقصاص من قتلة عثمان :

أثارت خطبة السيدة عائشة المسلمين فى مكة ، لا سيما وأن فيها عــدداً مــن الأمويين ، الذين فروا إليها فور مقتل عثمان ، كما انضم إلـيها عامل عثمان على البصرة ، عبد الله بن عامر ، وعامل عثمان علــى اليمن يعلى بن أمية [٣]، الذى حمل من أموال اليمن ورواحلها الشــىء الكثير ، كما وفد على مكة طلحة ، والزبير ، بعد أن استأذنا عليا فى أداء العمرة ، فأذن لهما ، وبذلك تجمع عدد كبير من سادات

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه ص ١٧٦ ، ابن العربى : العواصم ص ١٢٦ ، ابن الأثير : الكامل ٣/٢٠٦ ، سيف بن عمر : الفتنة ص ٦٧.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣/٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٣) يعلى ، بن أمية ، بن أبى عبيدة ، التميمى ، المكى ، حليف قريش، أسلم يوم فتح مكة ، وحسن إسلامه ، وشهد الطائف ، وتبوك ، ولى نجران لعمر ، واليمن لعثمان ، وخرج مع المطالبين بدم عثمان إلى العراق ، ولما انهزم فى الجمل عاد إلى مكة ، وتوفى على رأس الستين ، الذهبى : السير ٤/٢٧١.

الصحابة فى مكة ، وأصبحت المحاورات بينهم قائمة عن الخطوة التالية ، وهـى المطالـبة بدم عثمان من قتلته الذين هم فى جيش على ، وتشاوروا إلـى أيـن يخرجون ،أإلى الشام ؟ ، فقال بعضهم : إن معاوية قد كفاكم إياهـا، ولـو نزلتم عليه لجاء على بن أبى طالب إليها، ولحاصركم جميعا فيها ، وعرض آخرون الذهاب إلى المدينة ، وطلب قتلة عثمان من على ، فـرفض هـذا الـرأى ، لوجود الثوار فيها ، واستبدادهم بالأمور ، وتكلم آخرون وقالوا : بـل الذهاب إلى البصرة ، لنتقوى بما فيها من الخيل ، والمال ، ولنبدأ بمن قتل عثمان من أهلها [١].

تسـاءل الكثـيرون قدامـى ومحدثون عن هدف خروج السيدة عائشـة مـع هـؤلاء الأمويين ، والمطالبيـن بدم عثمان ، وأجمع المنصـفون مـن الفريقيـن علـى أنْ خروجها كان للإصلاح بين المسـلمين، فوجودها فى صدر الأحداث ، وهى أم المؤمنين ، مدعاة لأن يسـمع الجميع كلامها ، فتأمر بالقبض على قتلة عثمان من جيش علـى ، وينفذ فيهم القصاص ، فيصفوا الأمر لعلى ، وتحقق لمعاوية رغبـته فـى نـيل قصاص ابن عمه عثمان ، فتوفق بهذا الفعل بين الطرفيـن المتنازعيـن على ومعاوية ، فكان هدف السيدة عائشة من الخـروج سامياً ، اقتداء بقوله تعالى : ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَـنْ أَمَـرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾[٢] فرجت السيدة عائشة المثوبة والثواب من هذا الخروج[٣].

---

(١) الديـنورى : الأخبار الطوال ص ١٤٤ ، ابن كثير : البداية ٧/ ٢١٨ ، ابن الأثير : الكامل ٢٠٧/٣ ، ٢٠٨.

(٢) من الآية ١١٤ سورة النساء.

(٣) ابن العربى: العواصم ص ١٥١، ١٥٢،شعوط : أباطيل ص ٢٠٥ ، ٢٠٦.

هــذا هــو السبب الحقيقى لخروج السيدة عائشة لا سواه ، وما يقال:من أنها خرجت لمنازعة على فى الخلافة ، وتولية طلحة قريبها، أو الزبــير زوج أختها ، أو ابنه عبد الله [١] ،هذا محض افتراء ، لا يليق بزوجة الرسول ﷺ ، ويتنافى مع مكانتها من الأمة ، ويتناقض إن صح مع خطبتها التى خطبتها فى القوم للمطالبة بدم عثمان .

اســتعد القوم فى مكة للخروج ، وعاونهم على ذلك أموال اليمن ورواحلهــا التى جاء بها يعلى بن أمية ، وتخلف أزواج النبى ﷺ عن الســيدة عائشــة ، إذ فضلن الرجوع للمدينة ، وواصل الموكب سيره نحــو البصــرة ، وكــان على صلاتهم عبد الله بن الزبير، ومؤذنهم مروان بن الحكم ،حتى اقتربوا من البصرة[٢].

٢- موقف على من تحرك السيدة عائشة وأنصارها نحو العراق :

لنــترك السيدة عائشة مع وفدها حيناً ، ونعود إلى الخليفة على لــنرى موقفه من ذلك ، وكنا قد ألمعنا إلى تأهبه للخروج للشام، ولما علــم بمــا دار فــى مكــة حول وجهته صوب العراق ، وما إن علم الأنصــار بذلــك حتى دخلوا عليه ، وتحدث عقبة بن عامر – وكان بدرياً – وقال : يا أمير المؤمنين إن الذى يفوتك من الصلاة فى مسجد رســول الله ﷺ ، والســعى بيــن قبره ومنبره، أعظم مما ترجو من العراق ، فإن كنت تسير لحرب الشام ، فقد أقام عمر فينا ، وكفاه سعد زحــف القادسية ، وأبو موسى زحف الأهواز ، وهؤلاء الرجال معك مــثلهم ، يكفــوك أمــر الشام ، فقال لهم على : إن الأموال والرجال

---

(١) العقاد : عبقرية على ص ٦٤ ، ٦٥.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/٢١٨ ، ٢١٩.

بالعـــراق ، ولأهل الشام وثبة ، أحب أن أكون قريباً منها ، ونادى فى الناس بالمسير نحو العراق[١].

إذن فعلـــى كـــان يـــدرك أن بقائه فى المدينة لن يمكنه من بسط ســـيطرته علـــى الأقالـــيم ، وخلع معاوية الذى رفض أمر عزله ، لأن المديـــنة كانـــت ماتزال فى قبضة الثوار ، ولم يكن فيها من الرجال أو العـــتاد ما يسمح لـــه بإرسال الجيوش تترى ، وأن يبقى هو فى عاصمة الدولـــة ، كمـــا أظـــن أنـــه أراد أن يناى بمدينة رسول الله ﷺ عن هذه الأحداث ، وكفى ما أصابها فى فتنة عثمان ، وبعد هذا وذاك كان يدرك أنـــه لا مـــناص من خروجه هو شخصياً ، لاستئصال هذا الداء النازل بالشام ، والذى يكاد يحل بالعراق ، جراء خروج طلحة والزبير إليه.

٤- وصول وفد السيدة عائشة للبصرة :

كان على بن أبى طالب يتأهب للخروج ليلحق بالخارجين من مكة قـــبل دخولهـــم البصـــرة ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، حيث نزل الحلفاء الـــثلاثة بالقرب من البصرة ، فأرسل عاملها عثمان بن حنيف رسولاً ليسألهم عن سبب قدومهم ، فأجابته السيدة عائشة بأنهم جاءوا للطلب بدم عـــثمان ، والقصاص من قتلته ، ثم تلت الآية الكريمة لا **خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[٢]ثم سأل الرسول طلحة والزبير عن سبب مجيئهما ، فقالا: مثل ما قالت السيدة عائشة ، فقال لهما الرسول : ألم تبايعا عليا ؟ ، قالا : بايعناه والسيف علـــى أعناقـــنا ، ثم عاد المبعوث لوالى البصرة عثمان بن حنيف ،

---

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ص ١٤٣.

(٢) الآية ١١٤ سورة النساء.

وانضـــم بعض أهل البصرة لوفد السيدة عائشة ، التى نزلت بالمربد ، ودارت بيـــن الفريقين محاورات ، ومناظرات ، تحولت بعد حين إلى مناوشـــات ، وقـتال أسفر عن اقتحام قوات طلحة والزبير للبصرة ، والقبض على عثمان بن حنيف ، وتوبيخه ، وإطلاق سراحه بينما نزل طلحة والزبير ومن معهما البصرة ، وسيطرا على أمورها ، وذلك فى الخامس والعشرين من ربيع الاخر سنة ٣٦هـ(١) .

٥- على بن أبى طالب يتحرك نحو العراق :

كـــان علـــى بـــن أبى طالب يجد فى الخروج من المدينة نحو البصرة ، ويحض أهل المدينة على ذلك ، إلا أنهم تثاقلوا ، فلم يخرج معـــه إلا تســـعمائة رجل ، منهم سبعة من الصحابة ، واستخلف علىّ تمـــام بن عباس على المدينة ، وقثم بن عباس على مكة ، ولما وصل بقواتـــه إلـــى الربذة تعلق بعلى عبد الله بن سلام ، وقال له : يا أمير المؤمنين لا تخرج منها ، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المســـلمين أبداً ، فشكره على وواصل مسيره ، وبين لمن معه الهدف مـــن الخـــروج ، ألا وهو الإصلاح ، ثم نزل على ذى قار ، وأرسل رســـولا مـــن لدنه إلى أهل الكوفة ، يحثهم على أن ينفروا معه على المخالفين له ، وكان رسولاه لذلك عمار بن ياسر ، والحسن بن على، فـــتكلم أمـــير الكوفة أبو موسى الأشعرى وحض الناس على اجتناب الفتنة ، وروى حديث الرسول ﷺ الذى قال فيه : " **ستكون فتنة القائم فـــيها خير من اليقظان ،واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القـــائم ، والقـــائم خـــير مـــن الراكب ، والراكب خير من الساعى ،**

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٢١٨ - ٢٢١.

فاغمدوا السيوف ، وانصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار .... "[١].

ثم تحدث رسولا على واستنفرا الناس للخروج إلى الإمام ، الذى بايعــه المســلمون ، فقال الحسن : أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم ، وســيروا إلــى إخوانكــم ، وأجيبوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا وابتليــتم ، فأجابه الناس ، وخرج معه تسعة آلاف إلى ذى قار ، حيث كــان معســكر الإمــام على ، حيث قال لهم : دعوتكم لتشهدوا معنا إخوانــنا مــن أهل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك ما نريد ، وإن يلحوا دونــياهم بالــرفق ، وبايعناهم ، حتى يبدأوا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه من الفساد [٢]، وهو بذلك يطمئن قلوبهم، ويبين لهم أنه سيقدم السلم فى تعامله مع أهل البصرة ومن نزل عليهم من الحلفاء الثلاثة .

٦- على يرسل القعقاع لمحاورة الحلفاء الثلاثة :

اخــتار علــى القعقاع بن عمرو ليقوم بالسفارة بينه وبين الحلفاء الــثلاثة السيدة عائشة ، وطلحة ، والزبير ، ويسألهم عن سبب خروجهم إلى البصرة ، فأجابوه بأنهم خرجوا للإصلاح بين الناس، والقصاص من قــتلة عثمان ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل كان إحياء للقــرآن ، فقــال لهم : إن هذا الأمر لا دواء له إلا التسكين ، وأن تبايعوا الخلــيفة ، فــإن حــدث ذلك فعلامة خير ، وإن حدث غيره فعلامة شر ، فكونــوا مفاتــيح للخــير ، ولا تعرضونا للبلاء ، فاستحسن القوم مقالته ، وقالوا : إن كان هذا رأى على صلح الأمر ، فرجع القعقاع لعلى ، وأخبره بالأمــر ، فاستصوبه ، واتفق الطرفان على الصلح ، ثم أمر على بالرحيل

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/٢٢١ – ٢٢٤، الذهبى : السير٣/ ٢٢١ – ٢٢٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٣/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ ابن كثير : البداية ٧/ ٢٢٤ ، ٢٢٥.

إلى البصرة ، ومنع من أعان على قتل عثمان من اللحوق به [١].

٧- السبئية ينشبون القتال :

كان هذا الاتفاق بين الفريقين المتنازعين ضربة قاصمة للسبئية فـــى جـــيش على ، الذين أسقط فى أيديهم ، وتزلزلت قلوبهم ، حتى بلغـــت الحناجر ، وقالوا لبعضهم : إن اجتمع الناس غدا واصطلحوا فستكون عاقبة ذلك وخيمة علينا ، إذ سيقتص الطرفان منا، ولا نجاة مـــن ذلـــك الأمـــر إلا بانتشاب القتال بين الطرفين ، حتى يفسد هذا الصلح، وينشغلوا بأمرهم عنا ، ونزل على وأصحابه البصرة، ودارت الرســـل بين الطرفين ، وبات القوم يرتقبون الصلح ، وقبل أن يتنفس الصـــباح ، أنشـــب الســـبئية القتال بين الطرفين ، حتى دارت رحى المعـــركة ، واستبسل كل فريق فى القتال ، وكانت السيدة عائشة فى هودجهـــا ، على الجمل ، وأتباعها يذودون عنه ، حتى لقى مصرعه عـــدد كبـــير مـــنهم ، فنادى على بعقر الجمل ، فسقط هودج السيدة عائشة، وحمله أخوها محمد بن أبى بكر ، فأدخله البصرة [٢].

قتل فى هذه المعركة عشرة آلاف من شجعان المسلمين ، كان مـــنهم حواريى الرسول ﷺ ، الزبير ، وطلحة الخير ، أما الأول فقد ذكّره الإمام على بحديث رسول الله ﷺ لهما ، حينما وجدهما يمزحان، فقـــال للزبير : " **لتقاتلن علياً وأنت لـــه ظالم**" فغادر ميدان المعركة ، وتـــبعه عمرو بن جرموز فقتله ، وجاء بسيفه لعلى ، وقال لمن على بابـــه قـــل لـــه : قاتل الزبير ، فقال على : ائذن لـــه وبشره بالنار ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٢٣٣ – ٢٣٥ ، ابن كثير :البداية ٧/ ٢٢٥ ، ٢٢٦.

(٢) ا بن الأثير : الكامل ٣/ ٢٣٥ ، ٢٥٥ ابن كثير : البداية ٧/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ابن العربى : العواصم ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، سيف بن عمر : الفتنة ص ١٥٦.

وأمـــا طلحـــة فقد رأى أنه تهاون فى الدفاع عن عثمان لما حوصر ، ورأى أنـــه لا كفارة لذلك إلا بذله لدمه ، فقال فى المعركة : اللهم خذ لعـــثمان منى حتى ترضى ، فرماه مروان بن عبد الحكم بسهم فقتله ، فقال : لقد نلت ثأر عثمان ، كما قتل فى هذه المعركة محمد بن طلحة، الملقـــب بالســـجاد ، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، وغيرهم من رجالات قريش[١].

٨ - ما بعد المعركة :

بعـــد أن انجلـــت المعـــركة ، تفقـــد على بن أبى طالب القتلى والجرحى من الفريقين ، ثم صلى على شهدائهم ، وأمر بدفنهم جميعاً، ثـــم زار الســـيدة عائشـــة فى البيت الذى استقرت فيه ، فسلم عليها ، وتعاتـــبا على خروجها ، وتمنى كل منهما أن يكون قد مات قبل تلك الواقعـــة بعشـــرين ســـنة ، ثم أمر بإعداد موكبها للرحيل إلى مكة ، فجهـــزت خير جهاز ، ولما حان موعد رحيلها ، خرج على لتوديعها بنفسه ، وقالت السيدة عائشة بين مشيعيها : إنه والله ما كان بينى وبين علـــى فـــى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه عندى على معتبـــتى من الأخيار ، وقال هو : أيها الناس صدقت والله وبرّت ، ما كـــان بيـــنى وبينها إلا ذلك ، وإنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة ، وخرجت من البصرة فى غرة رجب سنة ٣٦ هـ ، وشيعها علىٌّ أميالاً، وجعـــل معها رفقة من النساء فى ثياب الرجال ، حتى وصلوا بها إلى مكـــة ، ومـــا علمت بذلك إلا بعد وصولها ، فحمدت لعلى فعله هذا ، وقالت : أبى أبو الحسن إلا أن يكون علياً [٢].

---

(١) ابن كثير :البداية ٧/٢٢٧- ٢٣٢، الذهبى السير،٢/٦٤١، ٦٤٢، ٣/٢٣،٢٣.

(٢) سيف بن عمر : الفتنة ص ١٨٣ ، ابن كثير : البداية ٧ /٢٣٢ ، ٢٣٣.

لامـــراء فـــى أن هذه الموقعة المنكرة قد تركت فى نفوس المسلمين أعمق الأثر وأبقاه ، إذ سكن دور الكوفة والبصرة الحزن والثكل والحداد ، وكـــان ذلـــك ابتداء مشئوماً لخلافة كان يرجى أن تكون كلها بركة ويمنا للمســـلمين ، ولكن ستة أشهر لم تمض على خلافة على حتى جرت دماء المسلمين بأيدى المسلمين ، وأصبح بأسهم بينهم شديد [١].

٩- نتيجة معركة الجمل :

كان لمعركة الجمل نتائج سيئة على كل من اشترك فيها منها :

١- أن عليا خرج منهوك القوى ، رغم انتصاره ، إذ فقد عدداً كبيراً من جنوده .

٢- فقد أهل البصرة والكوفة رجالاً كانت الدولة الإسلامية فى أشد الحاجة إليهم فى ميادين الجهاد، زاد عددهم على عشرة آلاف.

٣- وقعـــت البغضـــاء والضغينة بين أهل الكوفة والبصرة ، لمقتل أبناء كل منهما بأيدى الأخرين .

٤- توقفت حركة الفتوحات الإسلامية فى المشرق ، لانشغال المسلمين بالفتنة .

٥- أســـرف المؤرخون قدامى ومحدثون فى نسبة الروايات المكذوبـــة ضـــد الصـــحابة للطعن فيهم ، والدفاع عن ذويهم ، أو الطعـــن فى المسلمين بصفة عامة ، الأمر الذى جعل مهمة المؤرخ لهـــذه الفترة مهمة عسيرة ، حتى صار فى حيرة من الأمر،لوجود روايات لا تتفق أبداً مع من نسبت إليهم .

---

(١) طه حسين : الفتنة على ص ٥١.

رابعاً : على من تقع مسئولية موقعة الجمل :

لم نكن فى حاجة ونحن نتحدث عن موقعة الجمل للدخول فى تفاصـيل المعركة ، وما دار فيها من أخذ ورد ، فهذا كله مسطور فـى بطـون المصادر ، ولكن أرى أننا فى حاجة ملحة للتحليل ، ومعرفة على من تقع مسئولية هذه المعركة ، التى سقط فيها ألوف الضحايا من المسلمين ، فلم يعد الأمر مسألة دم الخليفة عثمان ، بل صار الأمر دماء هؤلاء ، ومن يتحملها ؟

لا مـراء فى أن هذه الوقعة المشؤومة كانت أول نازلة التقت فـيها جـيوش المسـلمين ، يضرب بعضهم رقاب بعض ، ويسفك بعضـهم دماء بعض ، وكل من الجيشين تحت إمرة كبير من كبار الصـحابة ، فسهل بعدها أن يقف المسلم بإزاء المسلم ، كل منهما يسـفك دم الآخر ، ويستحل قتله ، بعد أن كان الموقف فى نظرهم عظيماً مهيباً [١] ، وقد اختلف المؤرخون قدامى ومحدثون حول تحديد من المسئول عن نشوب هذه المعركة فإليك بعضاً من آرائهم :

١- الفريق الذى يحمل طلحة والزبير والسيدة عائشة المسئولية:

حمّـل طه حسين الحلفاء الثلاثة مسئولية وقوع هذه المعركة، فقـال عن دور عائشة فى خروجها : "**وأما عائشة فقد أمرها الله فيمـن أمر من نساء النبى ﷺ أن تقر فى بيتها ، وكان عليها أن تفعـل فـى أيـام علىّ كما كانت تفعل أيام الخلفاء من قبله، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، دون أن تخالف عما أمرت به ، مـن القرار فى بيتها ، ... كما فعل غيرها من أمهات المؤمنين ،**

---

(١) عبد الوهاب النجار : الخلفاء ص ٤٠١.

ولو قد أبت أن تبايع علياً ، أو تؤمن له بالخلافة ، لما وجدت منه شيئاً تكرهه [١].

وأمـــا عن أحقية السيدة عائشة فى الطلب بدم عثمان فقد حمّلها أحــد [٢] الباحثين مسئولية ما حدث ، لأنها ما كان لها أن تتولى كبر هــذا الأمــر ، ولا أن تطالــب كمـــا تزعم بدم عثمان ، فإن أولياءه كثــيرون، وعلى رأسهم معاوية والى الشام إذ هو أقدر منها ، وأولى بــدم عثمان، وهى ليست ممن جعل الله لهم سلطان هذا الأمر، ولولا وجودهـــا فـــى هذا الجيش لماتت الفتنة ، وكان وجودها سبباً لاشتداد البلاء على المسلمين، ومثاراً لأمور أنتجت الحزن والأسى.

وأما طلحة فقد قال عنه الذهبى : إنه داهن فى أمر عثمان حتى قــتل ، وندم على ذلك حين رأى مقتله ، فقال : لقد كان منى شىء فى أمر عــثمان ، وما أرى كفارته إلا سفك دمى ، وطلب دمه ، وقال فى معركة الجمـــل : اللهـــم خذ لعثمان منى حتى ترضى ، وعلق الذهبى على موقفه هــذا بقولـــه : الذى كان منه فى حق عثمان تأليب فعله باجتهاد، ثم تغير عــندما شاهد مصرع عثمان ، فندم على ترك نصرتـــه ، وأما الزبير فقد قـــال له رجـــل يـــوم الجمل : ضيعتم الخليفة عثمان حتى قتل ، ثم جئتم تطلـــبون بدمه ، قال : إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعــثمان : ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** ﴾ [٣]، ولم نكن نحسب أنا أهلها ، حتى وقعت [٤].

---

(١) طه حسين : الفتنة على ٣١.

(٢) عبد الوهاب النجار : الخلفاء ص ٤٠١ ، ٤٠٢.

(٣) من الآية ٣٥ سورة الأنفال.

(٤) الذهبى : السير ٣/٢٢ ، ٢٣ ، ٣٦.

ويحمل أحد الباحثين الوزر لصاحبى رسول الله ﷺ ، لخروجهما على عليّ إلى العراق ، فيقول : ولم يكن لطلحة والزبير الدعوة بولاية دم عـثمان فى شيء، وقد كانا له بين قائم فى الفتنة ، مثير حريقها ، وبين خازل، مشير إشارته ترمى لأن تكون الفتنة بغير يده ، ويباشرها سـواه ، حـتى تسـاق لـه الخلافة ، ولما وقعت الواقعة ، وأخطأته الخلافة، ورأى أنه كان يسعى لغيره ، رجا أن ينال فى سلطانه بعض ما يكوّن له عزاء ، فلما رأى عليا قد ولى ظهره عنهما ، ندما وخرج كـل منهما ليغسل الدم بالدم ، ويكفر عن السيئة بأفحش منها ، فسهلا للسـيدة عائشة خروجها إلى ما ليس من شأنها ، راجين بلوغ الأرب بمكانها ، فكان الحتف فيما يرجوان ، وحيل بينهم وبين مايشتهون[١].

والـنفس لا تركن إلى ما ادعاه هذا الباحث ، من تحميل هؤلاء الصـحابة المسئولية ، والتجنى عليهم ، وإظهار السيدة عائشة وكأنها مـن طلاب التظاهر ، والخروج على الملأ ، والخطبة فى الجماهير لإثـارتهم ضـد على ، والمناداة بالثأر ، ولا ما وصم به الصحابيان الجليلان طلحة والزبير ، وإظهارهما بمظهر طلاب الدنيا ، والحكم ، والمنصـب ، والخلافـة ، وتأمرهما على الخليفة عثمان فى حياته ، وإضـمارهما الشر لعلى بعد استخلافة ، لما فاتهما من أمر الحكم أو الولاية ، فهل هذا يليق بالصحابة ، الذين رباهم الرسول ﷺ على يديه! وقـال عن الزبير : إن لكل نبى حوارى فى الجنة ، وحوارى الزبير بن

---

(١) عبد الوهاب النجار : الخلفاء ص ٤٠١ ، ٤٠٢.

العــوام ، وطلحـــة بن عبيد الله ، الذى أبلى مع النبى أحسن البلاء ، ودافـــع عــنه فى غزوة أحد ، حتى أصيبت يداه ، ولقبه الرسول ﷺ بطلحـة الخـير ، أو طلحة الفياض ، فهل نصدق رسول ﷺ فى ثنائه على هؤلاء ؟ أم نصدق ما يقوله الآخرون ؟!

وإن كان لابد من كلمة فصل ، حول مسئولية طلحة والزبير فى نشـوب معــركة الجمل ، فإننا نقتطف بعضا مما قاله طه حسين[1]، حيث قال : وأما مسئولية طلحة والزبير عما حدث فى الجمل ، فيرجع إلـى أنهمــا لم يبايعا علياً عن رضا ، ولم يجتهد ا معه لإصلاح ما أفســده الثائرون ، بل سارعا بالخروج عليه ، ومغادرة المدينة ، مما اضطر علياً إلى الخروج إليهما ، فكان ماكان .

٢- الفريق الذى يحمل عليا المسئولية :

وأمــا من حمّل علياً مسئولية ما حدث فى الجمل ، فأرجع ذلك إلى سرعة خروجه من المدينة ، لقتال طلحة ، والزبير ، بعد أن خلعا بيعــته ، واتجهــا للكوفة ، وقبل هذا سرعة خلع ولاة عثمان ، وعلى رأسهم معاوية ، الذى كان قد عقد العزم على عدم مغادرة ولاية الشام تحــت أى ظــرف ، وكــان يجــدر بعلى البقاء فى المدينة ، ودعوة مناصـــريه للانضمام لـــه ، خاصة وأن المدينة هى عاصمة الدولة ، وفــيها كــبار الصحابة ، ولها هيبتها فى عيون المسلمين ، والعرب مســتعده لنصرته ، ولو بقى فى المدينة لاحتفظ على بمكانته كخليفة ،

---

(١) الفتنة على وبنوه ص ٣٢ .

لأنــه بيــن قــوم لهــم فى الإسلام سابقة ، ومهما بلغت قوة التحالف المناوئ له فى العراق ، فما كان ليزعزع قوة الخليفة فى المدينة [١]، ولــنا فى أقوال ابن عباس لعلى السند فيما نقول ، إذ أشار عليه أولاً بعــدم عــزل معاوية، وطلب منه عدم الخروج ومغادرة المدينة ، فما كــان أحرى بعلى أن يستجيب لــه ، ولا يغادر مدينة رسول الله إلى أى مكان مهما كانت الأسباب أو الدواعى .

وأضــاف باحث [٢] آخر محملاً علياً المسئولية عما حدث لأنه كــان أقــل تريــثا للشر ، وأنه لم يكن عنده من الأناة وحسن التانى للأمــور، مــا يتألف به الشارد ، فلو أرضى الإمام الرجلين – طلحة والزبــير – ببعض ما فى يده ، مما ليس فى معصية الله ، ولا حيف على الرعية ، لكان ذلك أجمل أثراً فى العاقبة ، وأرجى للسلامة ، لا ســيما وقــد أشار ابن عباس عليه أن يولى طلحة البصرة ، والزبير الكوفة ، فيرضيهما بذلك ، ثم يصنع ما يشاء بعد ذلك .

وعلــى الــرغم من وجاهة ما ذكرناه من آراء للمحدثين حول مســئولية ما حدث ، إلا أن النفس لا تركن لتوجيه أدنى لوم أو شبهة لصــحابة رسول الله ﷺ ، فهم مجتهدون فيما قاموا به ، والقدح فيهم هــو تكذيب للرسول ﷺ ، الذى أثنى عليهم ، وعظمهم [٣]، ولا ندعى العصمة لأحدهم ، بل هم بشر ، يصيبون ، ويخطئون فى اجتهادهم ،

---

(١) مؤنس : تاريخ قريش ص ٦٦٢ ، ٦٦٣ .
(٢) عبد الوهاب النجار : الخلفاء ص ٤٠١ ، ٤٠٢.
(٣) المقدسى : الرد على الرافضة ص ٧٤.

فللمصـــيب أجران ، وللمخطئ أجر واحد [١]، ولا معنى لبسط اللسان فيهم ، إلا التهاون بنقلة الدين ، الباذلين أنفسهم ، وأموالهم فى نصرته، المكرمين بصحبة خير البشر [٢].

وإن كـــان لابـــد مـــن كلمة فصل حول مسئولية وقوع معركة الجمل، فإن مسئولية ذلك وإثمه يعودان إلى قتلة عثمان ، الذين فتحوا باب الفتنة ، وواصلوا تسعير نارها ، ولأنهم هم الذين أوغروا صدور المسلمين بعضهم على بعض ، حتى قُتل الزبير ، وطلحة ، وغيرهما من الصحابة والتابعين ، وحالوا بين إتمام الصلح بين الطرفين ، لأنهم أدركـــوا أن حدوثـــه معـــناه نيل القصاص منهم ، بل واستمر دورهم الخبيث بعد ذلك ، حتى كان ما كان من معارك متتالية ، أسفرت عن مصـــرع الألوف من المسلمين ، فهم يبوؤن بدماء هؤلاء ، ويحملون أوزارهم كاملة يوم القيامة غير منقوصة.

---

(١) ابن تيمية : سؤال فى معاوية ص ٢٨ ، ٢٩.

(٢) المقدسى : الرد على الرافضة ص ١٤٣.

الفصل الثالث

العلاقة بين على ومعاوية

أولاً معركة صفين :

دارت هـــذه المعركة بين الإمام على بن أبى طالب خليفة المسلمين الشـــرعى ، وبيـــن والى الشام معاوية بن أبى سفيان ، وذلك إثر معركة الجمـــل ، وقـــبل أن نـــتحدث عن ملابسات تلك الموقعة علينا أن نعرف بالطرف الثانى فى هذه المعركة ، ألا وهو معاوية بن أبى سفيان .

١- لمحة عن معاوية والى الشام :

أســـلم معاويـــة سراً يوم عمرة القضاء ، وخشى من أبيه فكتم إسلامه بينما أسلم أبو سفيان يوم فتح مكة ، فكان من الطلقاء ، وحسن إســـلامهما ، حتى استكتب النبى ﷺ معاوية للقرآن ، وأثنى عليه فى حـــياته ، وفى عهد أبى بكر انطلق معاوية ليعوض ما فاته من البلاء فى الإسلام ، وأخلص النية لله تعالى ، فكان من قواد الفتح الإسلامى لـــبلاد الشـــام، وتولـــى إحدى الولايات فيه ، ولما مات يزيد بن أبى سفيان فى خلافة عمر ، جمع الخليفة ولايات الشام كلها لمعاوية [١]، وقـــال عمـــر فى معرض ثنائه على معاوية : " **احذروا آدم قريش، وابـــن كـــريمها من لا ينام إلا على الرضا ، ويضحك فى الغضب ، ويأخذ ما فوقه من تحته**" [٢] ، وأثنى ابن تيمية [٣]على حسن اختيار

---

(١) الذهبى : السير ٢٨٥/٤ - ٢٩٥.

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٩/١.

(٣) سؤال فى معاوية ص ٢٢.

عمـــر لمعاويـــة عاملاً على الشام ، وأنه كان خبيراً بالرجال ، وظل معاويـــة والـــياً لـــبلاد الشام عشرين سنة ،فأحسن ضبط الإقليم على مجاورتـــه للـــروم ، وقام بواجبه خير قيام ، وأرضى الناس بسخائه وحلمه ، وكان محبا لرعيته ، ولم يخرج عليه أحد فى ولايته ، وقدَّمه عمر وعثمان على من هم أفضل منه ، لموهبته ، وقدرته على الحكم والإدارة ، فســـاس البلاد أحسن سياسة ، بكمال عقله ، وفرط حلمه ، وسعة نفسه ، وقوة دهائه ، ورأيه ، ودان له العرب والروم [١].

وفـــى خلافة عثمان بن عفان كان معاوية الوحيد من بين ولاة الأمصـــار الـــذى لـــم يفارق مصره ، لا عزلاً ، ولا نقلا ، بل ثبت وجوده فيه ، حتى إذا ما أحدقت الأخطار بالخليفة ، وبدأت نذر الفتنة، عرض معاوية على الخليفة أن يحمله معه إلى بلاد الشام ، أو يرسل لـــه قـــوات لتدافع عنه ، مما يعطيك دليلاً على ثقته فى نفسه ، وفى قـــدرات إقلـــيمه وقواتـــه ، واستشهد عثمان رضى الله عنه، فأعلن معاويـــة أنه ولى دم الخليفة المقتول ، ونصب قميص عثمان الملطخ بالدمـــاء علـــى منبر مسجد دمشق ، حتى ألهب مشاعر المسلمين ، فأقســـموا علـــى اجتناب النساء حتى ينالوا وترهم من قتلة عثمان ، وحمَّـــل معاويـــة علياً دم الخليفة ، وامتنع عن البيعة لـــه ، وتمسك بولايـــته، وحال بين الخليفة و بين تعيين والى آخر مكانه حتى دارت معـــركة الجمـــل ، وكان معاوية يرقب سير الأحداث ، حتى انجلت المعـــركة عن هزيمة الحلفاء الثلاثة ، وانتصار على بن أبى طالب ، ولكنه كان انتصاراً قد ضعضع قوات علىٍّ ونشر بينها بذور الكراهية

---

(١) الذهبى : السير ٢٩٥/٤.

والإحـــن والأحقاد ، التى لم يكن فى مقدور الإمام ولا غيره تجاوزها وبـــدأ الإمـــام يـــرنو ببصره لهذا القائد ولإقليمه ليدخله فى طاعته ، طوعاً، أو كرهاً ، فكانت معركة صفين ، ومقدماتها، وجولاتها ، التى دارت بين الغريمين الكبيرين [١].

٢- معاوية يستعين بعمرو بن العاص :

بـــدأ معاويـــة يستعد لهذا الصراع الطويل مع على ، فضم إليه واحـــداً مـــن دهاة العرب ، وهو عمرو بن العاص ، الذى كان واليا على مصر ، وعزله عثمان فى أخريات حياته ، فاعتزل بمكة ، حتى قُـتل عـثمان ، ووقعـت معـركة الجمل ، فلم يحتمل البقاء خاملاً، واستشـار عمرو ولديه : عبد الله ومحمد ، لمن ينضم فى هذا الصراع، لعلـى ، أم لمعاويـة ، فقـال عبد الله ، لعلى ، وقال محمد : لمعاوية ، فـرفض عمرو الانضمام لعلى ، الذى سوف يجعله معه كآحاد المسلمين ، وانحاز لمعاوية ، فوجده يذكّر الناس بدم الشهيد عثمان ، فقال له عمرو : يـا معاوية أحرقت كبدى بقصصك ، أترى أنا نخالف علياً لفضلنا عليه ، كـلا والله ، إن هـى إلا الدنـيا نتكالب عليها ، أما والله لتقطعن لى من دنياك، أو لأنابذنك،فوعده معاوية بمنحه ولاية مصر ، تلك التى كان أهلها قـد بعـثوا بطاعتهم لعلى بن أبى طالب ، ومما يؤكد ذلك ، أن عمراً بن العـاص اتهم عبد الله بن عباس وبنى هاشم بقتل الخليفة عثمان ، وإيواء قتلـته ، فقـال ابـن عـباس لعمرو معرضاً لـه لانضمامه لمعاوية فى الصراع ضد على : لقد بعت دينك بمصر [٢].

([١]) الذهبى : السير ٤/ ٢٨٥ - ٢٩٨.

([٢]) الدنيورى : الأخبار الطوال ص ١٥٦ - ١٥٨ . الذهبى : السير٤/٢٥١ - ٢٥٣.

وأمـــا علـــى بن أبى طالب فكان قد استقر فى الكوفة ، بعد معركة الجمل ، وصارت من يومئذ عاصمة الخلافة الإسلامية ، بدلاً من المدينة المـــنورة ، وبدأ على فى مداوة قلوب أهل المصرين – الكوفة والبصرة – والذيـــن قتل منهما عشرة آلاف ، فافتتح بيت مال الكوفة ، ووزعه على أتباعه ، حتى نال الواحد منهم خمسمائة دينار ، ووعدهم بمثلها بعد دخول الشام ، والقضاء على تمرد معاوية ، وخروجه على الخليفة (١).

٣- المراسلات بين الطرفين :

بـــدأ علـــى بـــن أبى طالب يدعو معاوية للدخول فى طاعته ، وإقراره بخلافته سلماً ، فأرسل من لدنه جرير بن عبد الله البجلى إلى معاويـــة ، فوصـــل دمشق ، وأبلغ الرسالة إلى معاوية ، وفيها خبر اجـــتماع المهاجريـــن والأنصار على الخليفة ، ودعوته للدخول فيما دخلت فيه الأمة ، فجمع معاوية رؤوس الشام ، وعلى رأسهم عمرو بن العاص ، واستشارهم فى رسالة على ، فأبوا أن يبايعوا علياً ، إلا إذا اقـــتص مـــن قتلة عثمان ، أو سلمهم لمعاوية ليقتص منهم ، وإلا فليس بينهم إلا السيف (٢).

٤- الخروج إلى صفين :

عـــزم علـــى بن أبى طالب على الخروج لقتال معاوية ، الذى يصر على عناده ، وعدم الدخول فى الطاعة ، فاستخلف على الكوفة أبـــا مســـعود عقـــبة بن عامر البدرى الأنصارى ، وخرج فى قواته

---

(١) ابن كثير : البداية ٢٣٢/٧.

(٢) الدنيورى:الأخبار الطوال ص ١٥٦ – ١٥٨،ابن كثير:البداية ٢٤٠/٧.

صوب الشام ، التى كان واليها معاوية هو الآخر على أهبة الاستعداد للخروج بقوات صوب صفين ، حيث مظنة وصول علىّ بقواته ، التى تحركت بالفعل من معسكر النخيلة إلى الجزيرة،حيث عبرت الفرات عند الرقة ، وأرسل علىّ مقدمة قواته ، فالتقت بطلائع معاوية ، ودارت بينهما مناوشات قليلة ، ثم تحاجزوا ، حتى وصلت قوات الفريقين إلى سهل صفين ، ووقفت أمام بعضها البعض ، وذلك أوائل ذى الحجة سنة ٣٦هـ [١].

حاول جنود معاوية منع قوات على من الوصول إلى ماء الفرات ، وصدوهم عن ذلك ، ولما علم عمرو بن العاص بذلك ، أشار على معاوية بالسماح لقوات على أتباع بالشرب من الماء ، خوفاً من تبادل المواقف ، فيمنع جنود على معاوية من الشرب من الماء، ولكن قوات معاوية رفضت ذلك ، انتقاماً لمنعهم الماء عن الخليفة عثمان فى حصاره ، مما اضطر قوات على إلى مدافعتهم ، حتى ردوهم عن الماء ، ثم سمحوا لهم بالشرب منه [٢].

٥- المراسلات فى صفين :

استمر على فى مراسلاته لمعاوية ، ودعوته للدخول فى الطاعة، فأرسل إليه وفداً مكوناً من : بشير بن عمرو الأنصارى ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، وشبث بن ربعى التميمى ، وتكلم بشير فقال : يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ،... وإنى أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماؤها ،

---

(١) ابن كثير :البداية ٢٤٠/٧ - ٢٤٢.

(٢) ابن كثير :البداية ٢٤٣/٧.

بيـــنها ، فقال له معاوية : هلا أوصيت بذلك صاحبكم ؟ ، فقال له : صـــاحبى أحـــق هـــذه البرية بالأمر فى فضله ، ودينه ، وسابقته ، وقرابته ، وإنه يدعوك إلى مبايعته ، فقال معاوية : والله لا أفعل ذلك أبداً ، ثم تحدث شبث بن ربعى بكلام فيه غلظة وجفاء لمعاوية، الذى لم يطق ذلك منه ، فأمر برجوع الوفد من دون تحقيق نتيجة[١].

فشلت مساعى السلام بين الطرفين ، فكان لابد من النزوع إلى الحسام طيلة شهر ذى الحجة سنة ٣٦هـ ، حتى أهل المحرم ، فتوادع الفريقان حتى انصرم ، فعادا للمراسلات مرة أخرى ، لعل الله ينهى ما هم فيه ، وأرسل على وفداً جديداً لمعاوية ، ضم : عدى بن حاتم ، ويزيد بن قيس الأرحبى ، وزياد بن حفصة ، وشبث بن ربعى ، حيث دخلـــوا علـــى معاوية ، ودعا عدى بن حاتم معاوية للدخول فى الطاعة ، وتحذيـــره مـــن مثل يوم الجمل ، مما أغضب معاوية، فقال : كأنك جئت مهـــدداً ، وتواصـــل الحوار بين الطرفين، وفد العراق يبين منزلة على ، وســـابقته ، وبـــلاؤه ، وأحقيته بالخلافة، وإجماع الأمة عليه ، ومعاوية لا يـــردد إلا مقولة واحدة ، وهى تسليم قتلة عثمان إليه، حتى عاد الوفد لعلى من دون نتيجة مثمرة[٢].

وبذلـــك انتهت هذه السفارة التى لم يكن يظن أن تنتهى إلا بمثل ماانتهـــت إلـــيه ، لأنـــه كان من الضرورى أن تكون قاعدة الصلح والدعـــوة شيئاً فى مصلحة كل من الفريقين ، يتناول هذا عن شىء ، وهـــذا عـــن شىء حتى يكون صلحاً ، أما هذه السفارة فكانت دعوة

---

(١) ابن كثير :البداية ٢٤٣/٧.

(٢) ابن كثير :البداية ٢٤٤/٧.

كسوابقها مع ما فى بعض الداعين من هذه الشدة ، التى تفسد القلوب، وتباعد ما بينهما [١].

أراد معاوية أن يطرق طريق المراسلات ، فأرسل من لدنه وفداً إلـى على ، ضم: حبيب بن مسلمة الفهرى ، وشرحبيل بن السمط ، ومعـن بن يزيد ، والأخنس بن شريق ، وطالبوا من على تسليم قتلة عـثمان ، أو اعتزال الخلافة ، وجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فيخـتاروا من شاءوا ، فنهر على المتحدث منهم بذلك ، ثم تكلم فبين أن الأمـة أجمعت على البيعة له بعد مقتل عثمان ، ولم يشذ عن ذلك إلا الطلـيق بـن الطليق ، ويقصد معاوية ، وحاول وفد الشام انتزاع تصـريح من على بأن عثمان قتل مظلوماً ، فقال : لا أقول مظلوماً، ولا ظالماً ، وعاد وفد الشام وهو يجر أذيال الخيبة [٢].

٦- نهاية المعارك فى صفين برفع المصاحف :

تـرك الفـريقان سبل السلام جانباً ، وامتشقا الحسام ، وبدأت المعـارك بيـنهما عـن طريق خروج كل فرقة إلى أختها من الجهة الأخرى ، حتى كان الثامن من صفر سنة ٣٧ هـ ، فاحتشد الجيشان، وتصـارعا ، وتقاتلا قتال الأبطال أياماً عدة ، حتى خرج على للقتال بنفسه ، ونادى على معاوية للخروج للمبارزة ، فأبى خوفاً على نفسه، وأخرج له عمرو بن العاص ، الذى كاد أن يقتل، لو لا أن تركه على بـن أبى طالب ، ثم قُتل عمار بن ياسر، الذى كان مع جيش على ، فازداد العراقيون استبسالاً فى القتال لعلمهم أنهم على الحق، حيث قال

---

(١) الخضرى : تاريخ الأمم الإسلامية ص ٢٩٠ ، ٢٩١.

(٢) ابن كثير :البداية ٢٤٤/٧ ، ٢٤٥.

الرسول ﷺ لعمار : تقتلك الفئة [١].

ويعلق طه حسين [٢] على ضرواة المعارك فى صفين فيقول: " **كـــان كثير من أولئك وهؤلاء ، يرون القتال ديناً ، ويتقربون به إلى الله ، يذكـــر أهـــل العراق مكان على من النبى ﷺ ، ... فهم كانوا يـــرون أنهـــم حيـــن يقاتلون مع على ، كأنهم يقاتلون مع النبى ﷺ نفسه، .. وكان أصحاب معاوية يرون أن بيعة عثمان فى أعناقهم ، وأن الذيـــن قتلوه قد أحدثوا فى الإسلام حدثاً خطيراً ، واستحلوا من دمـــه مـــا حرم الله ، واستحلوا من الإمامة ما لا يحل للمسلمين أن يفرطو فيه ، فضلاً عن أن ينتهكوا حرمته** "

كادت الهزيمة أن تحل بمعاوية وقواته ، فأمر عمرو بن العاص بـــرفع المصـــاحف على أسنة الرماح ، والدعوة إلى تحكيم كتاب الله تعـــالى، فلما رأى أهل العراق المصاحف مرفوعة قالوا لعلى : أجب إلـــى كـــتاب الله ، فقال لهم : على : يا عباد الله امضوا على حقكم ، وصـــدقكم فـــإن معاوية وعمرو بن العاص ليسوا بأصحاب دين ولا قـــرآن ، أنـــا أعـــرف بهم منكم ، إنهم لا يرفعونها لكم إلا خديعة ، ودهاء، ومكيدة ، فقالوا : ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله [٣]، فأجبروا علياً على وقف القتال ، والنزول إلى حكم القرآن ، والجلوس على مائدة المفاوضات مع معاوية .

---

(١) ابن كثير :البداية ٧/ ٢٤٦ - ٢٥٨.

(٢) الفتنة على ص ٧٨ ، ٧٩.

(٣) ابن كثير :البداية ٧/٢٥٨ ، ٢٥٩ .

يقول الدنيورى [١] فى معرض حديثه عن نهاية معارك صفين برفع المصاحف : إن معاوية أدرك ليلة رفع المصاحف هزيمة قواته، فسـأل عمراً عما سيفعله من غده ، فقال له : إنى قد أعددت بحيلتى أمراً ، أخرته إلى هذا اليوم ، فإن قبلوه اختلفوا ، وإن ردوه تفرقوا ، قال معاوية : وما هو ؟ قال عمرو : ندعوهم إلى كتاب الله حكماً بينك وبينهم ، فإنك بالغ به حاجتك ، فعلم معاوية بعد رفعها أن الأمر كما قال عمرو ، وبه حدث الانقسام فى جيش على ".

ويدلـل طـه حسين [٢] على رجحان هذه الرواية بقوله : **"لو أراد أهل الشام أن يتقوا الفتنة والحرب حقاً ، لرفعوا المصاحف ودعوا إلى ما فيها قبل بدء القتال ، ولكنهم لم يفعلوا ، وما أكثر ما ذكروا بالقرآن فلم يذكروه ، ... فما كان رفعهم للمصاحف بعد أن اتصلت الحرب أياماً وأسابيع ، وبعد توادع الجيشان شهر المحرم كله ، إلا كيداً لا يتقون به الفتنة ، وإنما يتقون به الهزيمة "**.

وبلـغ من شدة قبول بعض أصحاب على لتحكيم القرآن أن قال بعض القراء لعلى : أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه ، وإلا أسلمناك للقوم ، فيقتلوك ، أو نفعل بك ما فعلناه بعثمان ، إنا علينا أن نعمل بما فـى كتاب الله عز وجل ، والله لتفعلنها ، أو لنفعلها بك ، وطلبوا من على أن يرسل للأشتر النخعى ، ليوقف القتال ، استجابة لكتاب الله ، فامتعض الأشترمن إصدار الأمر لـه بوقف القتال ، وأحدث جلبة فى قـتاله ، حـتى هم القراء بعلى ، وقالوا لـه : ما نراك إلا أمرته أن

---

(١) الأخبار الطوال ص ١٨٨، السيد سالم : تاريخ الدولة العربية ص ٣١٨.

(٢) الفتنة على ص ٨٠.

يقاتل، فابعث إليه ، فليأتك على الفور ، ففعل. وجاء الأشتر ، وترك ميدان المعركة ، وقد كان قاب قوسين أو أدنى من تحقيق النصر [١].

٧- الاتفاق على التحكيم وتعيين الحكمين :

أرسل على الأشعث[٢] بن قيس إلى معاوية ، ليسأله عما يريده من رفع المصاحف ، فقال له معاوية : نرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله فى كتابه ، فتبعثون منكم رجلاً ترضونه ، ونبعث منا رجلاً نرضاه ، ثم نأخذ عليهما العهد أن يعملا بما فى كتاب الله تعالى ، لا يعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقنا عليه ، فقال له الأشعث : هذا حق ، ثم رجع إلى على ، فأخبره بذلك ، فقال القوم : رضينا وقبلنا، وقال أهل الشام : رضينا واخترنا عمرو بن العاص ، فقال الأشعث : ونحن رضينا أبا موسى الأشعرى ، فقال على : عصيتمونى فى أول الأمر، فلا تعصونى الآن ، وبين لهم تخوفه من أبى موسى ، لأنه كان يدعو الناس لاعتزال الفتنة ، وعدم القتال ، فأبى القوم إلا أبى موسى ، فاضطر على للنزول على رغبتهم [٣].

ويقول الذهبى[٤] : إن ابن عباس توجس من اختيار أبى موسى حكما لعلى لأن عمرا بن العاص كان رجلاً حذراً داهية ، فطلب ابن

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٥٨ - ٢٦٠.

(٢) الأشعث ، بن قيس ، الكندى ، أسلم ووفد على الرسول ﷺ ، ثم ارتد ، وجئ به إلى الصديق ، فعفا عنه ، وزوجه أخته ، وكان من أمراء على يوم صفين ، وأبلى فيها بلاءاً حسناً ، وكان كريماً جواداً توفى بعد على سنة ٤٠هـ ، عن ثلاث وستين سنة . الذهبى : السير ٣/٣٧٢ - ٣٧٥ .

(٣) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٦٢ ، ابن الأثير : الكامل ٣/٣١٨ ، ٣١٩.

(٤) السير ٤/٥٣.

عباس من على أن يجعله مرافقاً لأبى موسى فى التحكيم، أو ليكن مع أبى موسى الأحنف [١]بن قيس ، حتى يكون حكم على كفؤاً لابن العاص مـــن جهة ، وخوفاً من تخاذل أبى موسى الأشعرى من جهة أخرى ، ولكـــن علـــياً ما كان باستطاعته تغيير الحكم ، لأن أصحابه قد اختاروهَ ، ورفضـــوا أن يكون الحكمان مضريان ، بل لابد أن يكون أحدهما يمنى ، والآخر مضرى ، وهذا يعطيك دليلاً على مدى تدخل قواد على معه فى إدارة شئون الحرب ، بخلاف معاوية ، الذى دان له أُتباعه بالطاعة التامة.

وبهذا الاتفاق انتهت معركة صفين ، التى قتل فيها من شجعان المســـلمين وأنجادهم تسعون ألفاً ، وهو عدد لم يذهب مثله ولا قريب منه فى جميع الوقائع الإسلامية ، من لدن الرسول ﷺ إلى تاريخها ، ولـــولا أن عضـــتهم الحرب ، ولفحتهم نيران السلاح ، لاستؤصلت البقية الباقية ، وضاعت الثغور ، ومما يزيد الأسف أن هذه الحرب لم يكـــن المراد منها الوصول إلى تقرير مبدأ دينى ، أو رفع حيف وقع بالأمـــة ، وإنمـــا كانـــت لنصرة شخص على شخص ، فشيعة على تنصـــره لأنـــه ابن عم رسول الله ﷺ ، وأحق بولاية الأمر وأنصار معاوية ينصرونه لأنه ولى عثمان ، وأحق الناس بطلب دمه المسفوك ظلماً ، ولا يرون أنه ينبغى لهم مبايعة من آوى إليه قتلته[٢] .

---

(١) الأحنف ، بن قيس ، بن معاوية ، التميمى ، أسلم فى حياة النبى ﷺ ولم يره، ودعـــا له الرسول ﷺ ، وكان سيداً شريفاً ، مطاعاً ، متعبداً ، يقوم الليل ، وكان مع على فى صفين ،وله وقائع مشهورة فى الجهاد فى خراسان ، وبلخ ، ومرو، وتقـــرب لمعاوية فى خلافته ، وتوفى الأحنف بالكوفة سنة ٧٢ هـ ، وصلى عليه مصعب بن الزبير ، ابن كثير : البداية ٣١١/٨ ، ٣١٢ .

(٢) الخضرى : تاريخ الأمم الإسلامية ص ٢٩٥.

ويــرى أحد الباحثين[١] أن مسألة التحكيم كانت سيفاً ذا حدين ، وان أى الجانبيــن اســتعمله كان قاطعاً ، فلو لم يقبل الإمام به لقال الناس : إنه يحب إراقة الدماء ، ولا يعمل على إزالة الخلاف الناشب بيــن صفوف المسلمين ، وحين قبل به على ، وأقر به ، قال الناس: إنه حكم أهواء الناس شرع الله ، والإمام على لم يقبل بالتحكيم إلا بعــد أن رأى جمهــرة جــنده قد عزفت عن القتال ، وأن الناس قد أحاطوا به ، وهددوه بالقتل ، إن لم يقبل به ، والذين خطأوه بإرسال أبــى موســى الأشــعرى حكماً عنه ، وعدم إرسال آخر أدهى منه كالأشــتر أو ابن عباس ، نسوا أن النتيجة كانت ستكون واحدة ، هى هــى ، ولو أرسل كائنا من كان حكما عنه ، لأن الحكمين قد يفترقان على تثبيت كل واحد منهما لصاحبه ، فتعود الأمور إلى مثل ما كانت علــيه ، وبــتلك الخطوة يدخل الصراع بين الصحابين الجليلين دوراً جديداً ألا وهو :

ثانياً : قضية التحكيم :

١- كتابة وثيقة التحكيم :

اجــتمع وفدا على ومعاوية ، وكتبا وثيقة التحكيم ، التى نصت على ما يلى : " **هذا ما تقاض عليه على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبــى سفيان ، قاضى على على أهل الكوفة ، ومن معهم ، وقاضى معاويــة علــىّ أهل الشام ، ومن معهم ، أننا ننزل على حكم الله ، وكتابه ، وألا يجمع بيننا غيره ، وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمــته ، نحــى ما أحيا ، ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان فى**

---

(١) محمد أسعد طلس : تاريخ العرب ٢٧٣/٣.

كتاب الله وهما : أبو موسى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص، عملا به ، وما لم يجداه فى كتاب الله ، فالسنة العادلة الجامعة غير المفـرقة ، وأخذ الحكمان من على ، ومعاوية ، ومن الجندين ، من العهــود والمواثيق ، أنهما آمنان على أنفسهما ، وأهليهما ، والأمة لهمـــا أنصار على الذى يتقاضيان عليه ، وعلى عبد الله بن قيس ، وعمــرو بن العاص عهد الله وميثاقه ، أن يحكما بين هذه الأمة لا يــرداها فـــى حـــرب ، ولا فرقة ، حتى يعصيا ، وأجل القضاء إلى رمضان ، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه ، وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام " ، وشهد الشهود من الطرفين على هذه الوثيقة، وما جاء فيها ، وما احتوته [١].

ولقد انتقد غير واحد من المحدثين هذه الوثيقة ، فقال أحدهم[٢]: إن الـــناظر إلى عقد التحكيم لا يجد فيه حدوداً مرسومة ، ولا أعلاماً بيـــنة يهـــتدى بها الحكمان ، فلم يبين فى الوثيقة الحكم إذا ما اختلفا الحكمان ، ولم يتفقا ، ولم يبين الشىء الذى يبحثان فيه من أمرهما ، وإنى لا أدرى كيف يكون هذا عقد تحكيم !

وأما طه حسين [٣] فقد حمل على هذا العقد حملة عنيفة ، حيث قال : اجتمع المفوضون من الطرفين ، فكتبوا صحيفة سجلوا فيها ما اتفق عليه الخصمان ، من وضع الحرب ، واختيار الحكمين، وتحديد الزمان ، والمكان لاجتماعهما ، وتأمينهما على أنفسهما ، وأموالهما ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٣٢٠ ، ٣٢١.

(٢)عبد الوهاب النجار : الخلفاء ص ٤٢٧ .

(٣) الفتنة على ص ٨٣-٨٥ .

مهمـــا يكن حكمهما ، واستنصار الأمة كلها على من خالف عما فى الصحيفة ، حددوا هذا كله تحديداً دقيقاً ، ولكن شيئاً واحداً لم يحددوه **وهـــو موضوع القضية** التى يجب أن يفصل فيها الحكمان ، وهى أن معاويـــة كـــان يطلب بدم عثمان ، ويريد أن يسلم إليه على قتلته ، وكـــان على لا يعرف لعثمان قاتلاً بعينه ، ولا يقدر أن يسلم لمعاوية جميع من ثاروا بعثمان حتى قتل.

ويتســـأل طـــه حسن [١] أفكان الفريقان يريدان من الحكمين أن يفصـــلا فى هذه القضية ؟ ، وإذن فما بالهما لم ينصا عليها ؟ بل لم يذكـــرا عثمان وقتلته فى الصحيفة أصلاً ، بل لم يذكرا الخلافة ، ولا الشورى فى الصحيفة أصلاً ، والغريب أن هذه الصحيفة التى رواها المؤرخـــون قـــد أرضـــت الفريقين المتخاصمين ، ولم يذكرا فيها غموضـــاً، ولا إيهامـــاً، مع أنها من أشد ما كتب المسلمون غموضاً وعمومـــاً ، فيما يتصل بموضوع القضية ، التى كان يجب أن يحدد تحديداً دقيقاً ، لا لبس فيه .

ويـــرى هـــذا الباحـــث [٢] أن السبب فى حدوث ذلك ، هو أن الفريقين لم يحفلا بدقة ، ولا بتحديد ، وإنما كرهوا الحرب ، وتعجلوا الســـلم ، وكـــان أصـــحاب معاوية يكفيهم أن تنحسر الحرب عنهم ، ويخـــتلف أهل العراق ، وكان أهل العراق يتوقون إلى السلم، وهذا كلـــه يفســـر ما كان بعد أن كتبت هذه الصحيفة ، من الاختلاف فى صفوف أهل العراق ، والائتلاف فى صفوف أهل الشام .

---

(١) الفتنة على ص ٨٥ .

(٢) طه حسين :الفتنة على ص ٨٥ ، ٨٦.

٢- اجتماع الحكمين :

حل أجل اجتماع الحكمين فى رمضان سنة ٣٧ هـ ، فبعث على أربعمائة رجل ، معهم ابن عباس يصلى بهم ، ويلى أمورهم ، وأبو موسى الأشعرى معهم ، وبعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة من أهل الشام ، فاجتمعوا بدومة الجندل بأذرح ، وشهد هذا الاجتماع رهط من الصحابة ، والتابعين ، كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، وغيرهم[١].

تحاور الحكمان فى شأن النزاع الدائر بين على ومعاوية ، وقال أبو موسى لعمرو : إن أهل الشام لا يحبون على ، وأهل العراق لا يحبون معاوية ، فلم لا نخلعهما معا ، ونستخلف عبد الله بن عمر ، فقال عمرو : ولم لا يكون سعد بن أبى وقاص ، وأبو موسى يصر على عن ابن عمر ، فقال عمرو : ولم لا يكون ابنى عبد الله بن عمرو ، فإنه يقاربه فى العلم والعمل والزهد ، فقال له أبو موسى : إنك قد غمسته فى الفتن معك ، ومع ذلك فهو رجل صدق ، ولما لم يتفقا على واحد بعينه انتهيا إلى الاتفاق على خلع على ومعاوية ، وترك الأمر شورى بين الناس ، ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم[٢].

تقدم الحكمان ليدليا على الحضور بما اتفقا عليه ، وكان عمرو بن العاص يقدم أبا موسى أدباً وإجلالاً ، فقال له : قم يا أبا موسى فأعلم الناس بما اتفقنا عليه ، فأعلن أبو موسى أنه اتفق هو وعمرو على أنه لا صلاح للأمة إلا بخلع الرجلين على ومعاوية ، وترك الأمر شورى للأمة ،

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٦٨.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٦٨ ، الذهبى : السير ٤/ ٦٥٣.

فتولى الأمة من تحب ، وأضاف أبو موسى إني خلعت علي ومعاوية ، ثم تـنحى أبـو موسـى ، وتقـدم عمرو بن العاص، فقال : إن هذا قد خلع صـاحبه، وإني قد خلعته كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه ولي عثمان ، والطالب بدمه ، وهو أحق الناس بمقامه (١).

غضب أبو موسى لمقالة عمرو ، ودار بينهما حوار حاد ، وكاد أنصارهما أن يشتبكا مع بعضهما ، لولا إسراع أبي موسى بالخروج مـن الاجتماع ، ودفعه الحياء مما حدث أن يتوجه لعلي في الكوفة ، فاتجـه إلـى مكة ، واعتزل الناس ، وأما أنصار معاوية فقد دخلوا عليه، وسلموا عليه بتحية الخلافة ، وأبلغ عبد الله بن عباس علياً بما حدث من أبي موسى الأشعري ، وأدرك الجميع أنهم كانوا محقين في عدم جدارة أبي موسى لمحاورة عمرو بن العاص (٢).

كان من الطبعي ألا يرضى عليٌّ بهذا الحكم ، الذي تأكد أنه مخالف للكـتاب والسـنة ، اللذين عهدا إلى الحكمين أن يحكما بهما ، ورضي به معاوية ، لأن أقل ما في الحكم أن ليس الأمر لعلي ، وصار الأمر للناس، يولون من شاءوا ، ومعاوية عنده من الجند الموالين لـه ، والمحبين ، ما يزيد من آماله في تبوء منصب الخلافة(٣).

٢- حقيقة ما دار بين الحكمين:

أثـار المؤرخون قدامى ومحدثون شبهات عديدة حول اجتماع الحكميـن ، ومـا درا بيـنهما ، وما أسفر عن اجتماعهما ، واتهموا الصـحابيين الجليليـن أحدهما بالغفلة ، وهو أبو موسى الأشعري ،

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٦٨، ٢٦٩ ،الذهبي : السير ٢/ ٦٥٣.
(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٦٩.
(٣) الخضري : تاريخ الأمم ص ٣٠٠.

والأخــر بالدهاء ، وهو عمرو بن العاص ، الذى نقض ما اتفق عليه مع أبى موسى ، حينما خرج الحكمان لإعلان نتيجة التحكيم ، ولقد انــبرى غير واحد من القدامى والمحدثين للذب عن هذين الصحابيين الجليلين ، وإجلاء الحقيقة .

فها هو ابن كثير[١] يلتمس لعمرو بن العاص عذراً فيما صنع حيــث قال: " **رأى عمرو بن العاص أن ترك الناس بلا إمام والحالة هــذه يــؤدى إلى مفسدة طويلة عريضة ، أربى مما الناس فيه من الاخــتلاف ، فأقر معاوية ، لما رأى ذلك من المصلحة ، والاجتهاد يخطئ ويصيب** " .

ويميل إلى هذا الرأى أحد المحدثين [٢] فيرى أن التحكيم لم يكن فيه خداع ولا مكر ، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة ، وكان يصح ذلك لو أن عمراً أعلن تولية معاوية خليفة على المسلمين ، وهذا ما لم يحدث، ولم يدعه معاوية ، الذى لم تبدأ خلافته إلا بعد عقد الصلح مع الحسن ســنة ٤١هـ ، إذن فعمرو لم يغالط أبا موسى ، ولم يخدعه ، لأنه لم يعــط معاويــة شــيئاً جديداً ، ولم يقرر التحكيم غير الذى قرره أبو موسى ، ولم يخرج عما اتفقا عليه ، من إقرار كل من معاوية وعلىّ علـــى ما تحت أيديهما ، ثم جعل الخلافة لجموع المسلمين ، ليختاروا من شاءوا من الصحابة .

ولــيس صـــحيحاً ما ذكره المؤرخون ، من أن أبا موسى كان ذلك

---

(١) البداية : ٧/ ٢٦٩.

(٢) محب الدين الخطيب :حاشية العواصم لابن العربى ص ١٧٥، ١٧٦.

الــرجل المغفل البسيط ، الذى يُلعَب به ، وهو الصحابى الجليل، والوالى لعمر بن الخطاب على الأمصار ، وعمر لا يمكن أن يولى عاملاً من هذا النوع ، الذى ينعت به المؤرخون أبا موسى ، كما أن عمرو بن العاص لم يكن ذلك الرجل ، من الغدر ، وقلة الدين ، وعدم الوفاء[١].

ويؤكــد ابن العربى [٢] حقيقة احترام الحكمين لبعضهما وعدم صدور ما يتجافى مع أخلاقهما ، وصحبتهما للنبى ﷺ ، وينفى عنهما ما تناقلته الألسنة من غفلة أبى موسى ، فيقول : " **والذى رواه الأئمة الثقات ، أنهما لما اجتمعا للنظر فى الأمر بحضور بعض الصحابة ، عزل عمرو معاوية ، كما عزل أبو موسى على ، ثم قال عمرو لأبى موسى : من ترى ليتولى الأمر، قال أبو موسى : ليختاروا واحداً من الــنفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، ثم قال عمرو : فأيــن تجعلــنى أنا ومعاوية ؟ ، قال أبو موسى: إن يستعن بكما ، ففيكما معونة ، وإن يستغنى عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما**" ، فهذا ما دار بين الطرفين من حوار .

ولــيس مــن مأخذ على نتيجة اجتماع الحكمين إلا ما رأه طه حســين [٣]من أن الحكمين خلعا عليا ومعاوية ، ولكن لم يحددا نظاماً لاختيار الخليفة من بعدهما ، ولم يضعا نظاماً للشورى ، ولم يقدرا أن الأمة ستختلف حين ينقضى الاجتماع .

---

(١) محمود شاكر : الخلفاء ص ٢٧٧، طه حسين : الفتنة على ص ٩٩ - ١٠٢.

(٢) العواصم ص ١٧٧ - ١٨٠.

(٣) الفتنة على ص ٩٩ - ١٠٢.

ثالثاً : العلاقة بين على ومعاوية بعد التحكيم :

١- تكاسل قوات على عن الخروج لقتال معاوية :

لم يحل التحكيم النزاع بين علىّ ومعاوية ، لأن الحكمين اختلفا، وفى الوقت الذى استفاد فيه معاوية من فكرة التحكيم ، ومن الصورة التى تم عليها ، فإنه قد أضر بعلى ضرراً بليغاً ، لأنه فرق أتباعه شيعاً ، وكان سبباً فى ظهور الخوارج ، مما أضعف من قوة على ، وكسر شوكته ، فلم يستطع حين أراد المسير لقتال معاوية أن يجد الأنصار ، الذين يستطيع الاعتماد عليهم(١).

حيث تكاسلت قوات على بعد النهروان عن الخروج لمعاوية ، وطالبوا علياً بدخول الكوفة للاستراحة ، ولإعداد قواتهم مرة أخرى، ولما نزل على بمعسكره فى النخيلة ، أقامت قواته معه أياماً ، ثم بدأوا فى الإنسلال عنه ، والدخول للمدينة ، حتى تُرك المعسكر خالياً، فلما رأى على ذلك انكسر عن الخروج ، ثم جمع رؤس قواته لحثهم على الخروج ، فتثاقلوا ، وتعللوا ، وركنوا إلى الدعة ، بعد أن ملوا الحروب والقتال (٢).

وكان معاوية من الدهاء بمكان ، إذ اهتبل ما حدث لعلى بعد النهروان ، فكاتب سراً زعماء جيش على ، ومنهم الأشعث بن قيس وغيره، ومناهم ، وبذل لهم الأموال ، حتى مالوا لمعاوية ، وتثاقلوا عن

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٣٧٣ ، ٢٧٤، على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى ص ٢٦٧ .

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ٣٧٣ ، ٢٧٤.

القتال، وقد قال معاوية : لقد حاربت عليا بعد صفين بغير جيش ولا عتاد ، وكان على يشعر بالمرارة والألم يعتصره ، كلما دعا أتباعه للخروج لقتال معاوية ، فيتثاقلوا عن ذلك ، ويثوروا عليه فى مسجد الكوفة ، فيقول ، إنا لله وإنـــا إليه راجعون ، ياعجباً ، أعُصى، ويطاع معاوية ، لقد ذهب بها ابن آكلة الأكباد ، حيث كان معاوية إذا مااستشار أعوانه فى مسجد دمشق فى قتال على ، لم ينطق واحد منهم إلا عن رأيه ، مما رجح كفته فى هــذا الصـــراع، وتاقت نفسه للاستحواذ على ما حوله من الأقطار ، استعداداً لتبوء منصب الخلافة فيما بعد [١].

٢- معاوية وضم مصر إليه :

استقرت الأحوال لمعاوية بعد ما حدث فى التحكيم ، واهتم بضم مصـــر لسلطانه ، لتأمين ظهره ، إذا ما حزبه أمر مع الإمام على ، وكـــان علـــى مصر محمد بن أبى حذيفة حين قتل عثمان ، ولما تم الأمر لعلى ولى عليها قيس بن سعد بن عبادة فى مستهل سنة ٣٦هـ ، وكان رجلاً داهية ذا خبرة بالأمور ، فاستقامت لـــه أحوالها ، وكانت فرقة من العثمانية اعتزلوا بقرية خربتا ، فهادنهم قيس بن سعد ، ولم يكـــن معاويـــة ليهنأ بالعيش فى بلاد الشام ، وقيس بن سعد خلفه فى مصـــر ، خوفاً من وثوبه عليه من الغرب ، وعلى بن أبى طالب من الشرق ، لذلك حاول استمالة قيس إليه فلم ينجح ، إذ كان وفياً لعلى ، فاستخدم معاوية معه سلاح المكر والدهاء ، وأشاع فى بلاطه أن قيساً مـــن مؤيديه ، وأنه تأتيه الرسائل منه ، فوصلت تلك الأخبار لعلى ، فاتهم قيساً ، وأمره بقتال المناوئين فى قرية خربتا ، وهم يومئذ عشرة آلاف ، فاعتذر قيس حتى لا يثوروا ضده ، وهم رءوس الناس ، فألح

---

(١) الذهبى : السير ٤/ ٣٠٠ـ٣٠٢.

عليٌّ على قيس فى قتالهم فأبى ، وكتب لعلى إن كنت تتهمنى فأعزلنى عن مصر ، وابعث إليها غيرى[١].

أرســل على بن أبى طالب ربيبه محمد بن أبى بكر واليا على مصــر سنة ٣٦هـ ، خلفاً لقيس ، فبدأ بقتاله للعثمانية فى خربتا ، ولم يظفر بهم ، خاصة بعد رجوع على من صفين من غير تحقيق نصر حاســم ، واضطربت أمور مصر من هؤلاء العثمانية ، فأرسل على بن أبى طالب الأشتر النخعى واليا على مصر ، **ولكنه صُرع بشربة عســل مسمومة بدس من معاوية قبل أن يدخلها ، واشتد معاوية فى** الاستيلاء على مصر بعد واقعة التحكيم ، فأمد العثمانية المحصورين فــيها ، ليثوروا ضد واليها محمد بن أبى بكر ، ثم أرسل جيشاً سنة ٣٨ هـ بقــيادة عمــرو بن العاص لانتزاعها من والى على ، ودارت الدائــرة علــى محمد بن أبى بكر ، وانهزمت قواته ، ففر ، وتعقبه عمرو بن العاص ، حتى قبض عليه ، وقتله شر قتله ، لمشاركته فى تســور الدار على الخليفة عثمان ، وكان على قد أسرع بإخراج مدد لمســاعدة والى مصر ، **ولكن أخبار سقوطها فى أيدى عمرو وصلته** قــبل وصول مدده لمصر ، فأمر بالمدد فرجع للكوفة [٢]،وبذلك ضم معاوية مصر إليه ، وأمن ظهره من جهتها ، واتجه نحو بلاد أخرى.

٣ - غارات معاوية على الحجاز واليمن والعراق :

لــم يكتف معاوية بالإستيلاء على مصر ، بل أخذ ينغص على علــىٍّ أمــوره فى قلب ولاية العراق ، فأرسل معاوية فى سنة ٣٩ هـ

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ - ٢٧٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٥٢ - ٣٥٩.

النعمان بن بشير إلى عين التمر ، فأغاروا عليها ، كما أرسل ابن عوف في ستة آلاف مقاتل ، فأغاروا على هيت ، والأنبار ، والمدائن، وعادوا بالغنائم ، ثم وجه معاوية عبد الله بن مسعدة إلى تيماء ، ثم مكة والمدينة ، فأرسل على جيشاً لقتاله ، بقيادة المسيب بن نجيه الفزارى ، فاقتتلا ، ثم عادا إلى بلادهما ، ثم وجه معاوية الضحاك بن قيس ، للإغارة على بوادى البصرة ، وأرسل فى سنة ٤٠ هـ بسر بن أرطأة فى ثلاثة آلاف نحو الحجاز ، ثم اليمن ، فاستولى على المدينة ، وبايعه أهلها ، وكذلك مكة ، ثم ولى وجه شطر اليمن ، حيث فر واليها من قبل على عبيد الله بن عباس إلى الكوفة ، فدخلها بسر ، وقتل ولدين صغيرين لعبيد الله ، ونكل بشيعة على فيها ، ثم عاد للشام [١].

ازدادت أمور علىٍّ فى العراق سوءاً على سوء ، حتى فارقه ابن عمه عبد الله بن عباس ، واتجه نحو مكة ، لخلاف مالى بينهما ، ولما ضاق على بأحواله ، وبإغارات معاوية المتتالية عليه ، وتثاقل قواته عن الخروج للقتال ، راسله ، واتفقا على إحلال السلام بينهما ، على أن تكون العراق لعلى ، والشام لمعاوية ، وألا يتدخل أحدهما فى شئون الآخر وذلك سنة ٣٩ هـ [٢].

٤- أسباب نجاح معاوية وفشل على:

هناك العديد من الأسباب التى مكنت معاوية من تحقيق طموحاته السياسية ، والسيطرة على معظم أنحاء الدولة الإسلامية ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣/ ٣٧٥ – ٣٧٧ ، ٣٨٣ – ٣٨٥ ، ابن كثير : البداية : ٧/ ٣٠٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٣/ ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ابن كثير : البداية : ٧/ ٣٠٦.

باستثناء العراق ، وهذه الأسباب ما يلى :

١- نجاح معاوية فى حكم بلاد الشام عشرين سنة واليا ، وملكه لقلوب أهله بالعطاء ، والإغداق عليهم ، ووجود بعض الصحابة وكثير من التابعين الموالين له فى بلاد الشام [١] ، مما قوى مركزه فى منأواة على ، ومصارعته على الخلافة.

٢ - استقطاب معاوية للعديد من قواد على ، وإغداقه عليهم بالأموال ، وخاصة بعد النهروان ، من أمثال الأشعث بن قيس وغيره [٢].

٣- انقسام اتباع على عليه ما بين مغالى محب له ، وكاره خارج عليه ، واستنفاذ قواته فى قتال الخوارج [٣].

٤- كثرة سؤال وجدال أتباع على له فى كل موقف ، والتزام أهل الشام الطاعة التامة لمعاوية فيما يأمرهم به [٤].

٥- اختلاف شخصية الرجلين ، فعلى جاد فى الحق ، لا يلين، ولا يهادن ، بينما معاوية داهية من دواهى العرب ، شديد الذكاء والمراوغة .

خلافة على فى الميزان :

إننا إذا نظرنا إلى على من جانب الدين ، وحب الحق ، والزهد

---

(١) الذهبى: السير٤/ ٢٩١.

(٢) الذهبى: السير٤/٣٠٢.

(٣) الذهبى: السير٤/٢٩١.

(٤) الذهبى: السير ٤/٣٠٠.

فـــى الدنـــيا ، والإعراض عن زخارفها وزينتها ، وجدناه يمشى فى صف أبى بكر وعمر ، لا يتخلف عنهما قيد خطوة ، وإذا نظرنا إليه مـــن جهـــة الفقة فى أحكام الدين ، والعلم بجزئيات فروع الشريعة ، وجدنـــاه يســـبقهما ، أمـــا من حيث تدبير الملك ، وسياسة الرعية ، ومقاربـــة العامـــة ، والتنـــبه لدقـــائق السياسة ، والأخذ على شكائم القوم والإحاطـــة بـــأحوالهم ، فإنه يتأخر عن الرجلين فى هذا المقام ، مع سعة درايـــته ، وقـــوة عارضـــته ، لأن الأقوال فى السياسة ، وحسن الملكة ، والإعـــراب عـــن دقائق ذلك شىء ، وإفاضة ذلك على الرعية ، وبسط النفوذ على الكافة وإخضاعهم للإدارة شىء آخر ، فلو صفا الوقت لعلى ، وواتته المقادير ، باستتباب الراحة ، واجتماع الكلمة ، لأذاق الأمة حلاوة العـــدل ، وحملهم على الجادة ، وسار بهم فى طريق الفتوح ، وبسط نفوذ الإسلام ، وإعزاز كلمته ، بما لا يدع مقالاً لقائل[1].

رابعاً : علاقة الإمام على بالخوارج ثم مقتله سنة ٤٠هـ :

١- سبب خروجهم :

يـــرجع ظهـــور الخوارج إلى معركة صفين ، حيث رفع جند معاويـــة المصـــاحف فى المعركة خوفاً من الهزيمة ، ورأى على أن هذه خديعة ومكر من معاوية ، وعمرو بن العاص ، لايقاف القتال ، ولكن طبقة من قوات على طالبته بقبول التحكيم ، وأجبرته عليه قائلة له: أجبِ إلى كتاب الله إذا دعيت إليه ، وعاد على بقواته من صفين نحـــو الكوفة ، وهم فى شر حال ، بسبب قبول التحكيم ، حيث انقلب بعض الجند على بعضهم فى الطريق ، وقالوا : أتحكمون فى أمر الله

---

(١) النجار : الخلفاء ص ٤٦٠.

الرجال ، لا حكم إلا لله ، فرد عليهم بقية جند على قائلين : فارقتم إمامنا، وفرقـتم جماعتنا ، ولما دخل على الكوفة لم يدخل هؤلاء الخوارج معه ، بل انحازوا نحو قرية حروراء ، فنزلوا بها ، لذا سموا بالحرورية ، وكان عددهم اثنى عشر ألف ، وتولى قيادتهم شبث[١] بن ربعى التميمى ، وأمّهم فى الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكرى [٢].

٢- مناظرة على للخوارج:

أرسـل علـى بـن أبى طالب عبد الله بن عباس إلى الخوارج ليناظرهم ، فيما يعتقدونه من رأى ، فقال لهم : لِمَ نقمتم من الحكمين، وقـد قـال الله تعالى : ﴿ **إِنْ يُرِيـدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** ﴾[٣]، فكـيف بأمـة محمد ﷺ وقال تعالى:﴿ **يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** ﴾[٤]، فقالوا لـه : أعدل عمرو بن العاص ، وكان بالأمس يستبيح دماءنا ؟ فـإن كان عدلاً فلسنا بعدول ، ونحن أهل حربه ، وقد حكمتم فى أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله حكمه فى معاوية وأتباعه أن يقتلوا ، أو يرجعوا ، وقد دعوناهم إلى كتاب الله ، فأبوا ، وقد كتبتم بينكم كتاباً ، وجعلتم بينكم موادعة ، وقد قطع الله ذلك بنزول سورة براءة [٥].

---

(١) شـبث بـن ربعى ، التميمى ، اليربوعى ، أحد الأشراف والفرسان ، كان ممـن خـرج على على ، وأنكر عليه التحكيم ، ثم تاب وأناب ، وكان سيد بنى تميم هو والأحنف بن قيس ، الذهبى : السير ١٦٦/٥ ، ١٦٧.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٦٩ - ٢٧١.

(٣) من الآية ٣٥ سورة النساء.

(٤) من الآية ٩٥ سورة المائدة .

(٥) ابن كثير : البداية ٢٦٩/٧ - ٢٧٢.

ثـم صـل علـى بـن أبى طالب ليناظر هؤلاء ، وقال لهم : ماأخرجكم علينا ؟ ، قالوا : تحكيمكم يوم صفين ، قال: ألم أنهكم عن قبولـه ، فأبيتم إلا هو ؟ ثم إنا شرطنا على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أماته القرآن ، فإن فعلا ، أخذنا به ، وأن أبيا فنحن من حكمهما براء ، قالوا لـه : أتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء ؟ قال: نحن لا نحكم الرجال ، بل حكمنا القرآن ، الذى هو مسطور بين دفتيـن ، لا ينطق إنما يتكلم به الرجال ثم دعاهم للدخول إلى الكوفة، فقـالوا : إن التحكـيم كان منا كفراً ، وتبنا إلى الله ، فتب كما تبنا ، نبايعك ، وإلا فنحن مخالفون ، فبايعهم على ، وقال : ادخلوا فلنمكث سـتة أشـهر حـتى يجـبى المال ، ويسمن الكراع ، ثم نخرج إلى عدونا[١].

كـان الخوارج يرون عليا بويع بيعة صحيحة ، فمن امتنع عن بيعـته فهو مرتكب جريمة العصيان والبغى ، وهم يرون أن مرتكب الكبـيرة كافر ، ومعاوية بغى على الإمام وحاربه ، فله ولأتباعه حد مقرر فى القرآن ، والحدود لا معنى للتحكيم فيها ، لأنه تغيير للشرع إن قضـى بخلافه ، ولما كان معاوية مستحقاً للعقوبة ، فاللين معه ، ومهادنـته إدهان فى دين الله ، وتحكيم للرجال فيما لا حكم فيه إلا لله وهـذا فى نظرهم جريمة ، وفاعلها ضال ، والضال لا يصلح لخلافة المسلمين ، فلا خلافة لعلى ، ولا حرمة لمن اتبعه ، فلهم أن يقاتلوهم، وهم فى نظرهم كجند معاوية ،سواء بسواء[٢].

---

(١) ابن كثير : البداية ٢٦٩/٧ - ٢٧٢.

(٢) الخضرى : تاريخ الأمم الإسلامية ص ٢٩٨.

٣- معركة النهروان :

ترقـب على نتيجة التحكيم ، ولما حدث ما حدث ، رأى أنه لا مـناص مـن الخـروج لقـتال معاوية ، ولكن عليا رأى نفوراً من الخـوارج عليه ، فما كاد يقف فيهم خطيباً ، ويأمرهم بالخروج معه، حتى وقف أحدهم وقال : لا حكم إلا لله ، فقال علي : كلمة حق أريد بهـا بـاطل ، والـتف الخوارج حول عبد الله بن وهب الراسبي ، وخرجوا من الكوفة نحو النهروان ، وذلك في شوال سنة ٣٧ هـ ، ثم كاتبوا إخوانهم من أهل البصرة للإنضمام إليهم ، وأما شيعة على فقد الـتفوا حوله ، فكتب للخوارج كتاباً يأمرهم فيه بالانضمام إليه لقتال معاويـة ، فقالوا له : إنما لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك ، فـإن شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وإلا فقد نابذناك على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين ، فاستيأس على منهم ، وهم بالخروج للنخيلة ثم منها إلى الشام[١].

اجـتمع علـى عليٍّ نحو سبعين ألفاً وعزم على التحرك بهم صوب معاوية ، ولكنه سمع من أتباعه رغبة في قتال هؤلاء الخوارج أولاً، حـتى لا يكونـوا شوكة في ظهره ، وسرعان ماوصلته الأنباء بقـتل الخوارج لبعض المسلمين ظلماً ، فأرسل رسولاً إليهم ، فقتلوه، فـأدرك أنه لابد من استئصال هذا الداء الذى استفحل أمره ، فتحرك صـوبهم حتى اقترب منهم ، فطلب منهم أن يسلموه قتلة المسلمين ، ليقـتص منهم ، ثم يفارقهم ، فقالوا لـه : كلنا قتلتهم ، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم ، ولم ينصاعوا لطلبه ، فرفع على رأية ، ونادى أن مـن جاء إليها ممن لم يقتل أحداً فهو آمن ، ومن انصرف للكوفة أو

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٧٢ ، ٢٧٣.

المدائـــن فهو كذلك ، حتى انخذل عنهم معظمهم ، ولم يبق تحت لواء الخـــوارج إلا ثلاثـــة آلاف ، فانقض عليهم على بقواته ، حتى أفنى معظمهـــم ، ثـــم أمر برد الجرحى إلى ذويهم ، ليداووهم ، ثم تأهب لقتال معاوية ، ولكن قواته تخاذلت وعادت للكوفة ، ولم يخرجوا معه أبداً لقتال غريمه معاوية [١].

٤- حجة على فى قتال الخوارج :

كان على بن أبى طالب محقاً فى قتاله **لهؤلاء الخوارج** ، **لورود** غـــير حديث عن الرسول ﷺ ، يخبر بخروجهم ، وصفتهم ، ووصف الفـــئة الـــتى ســـتقاتلهم ، حيث قال : " **تمرق مارقة على فرقة من المسلمين فتقاتلها أولى الطائفتين لأجل الحق**" ،كما وصف النبى ﷺ، هؤلاء الخوارج بأنهم : " **يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مـــع صـــيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية** "[٢] .

وقـــد سُئل على بن أبى طالب بعد النهروان عن هؤلاء الخوارج، أمشـــركون ؟ قـــال مـــن الشرك هم فروا ، قيل : أفمنافقون؟، قال : إن المنافقيـــن لا يذكرون الله إلا قليلاً ، فقيل له : فما هم يا أمير المؤمنين؟ قـــال : إخوانـــنا بغـــوا علينا ، فقاتلناهم ببغيهم علينا [٣]،وروى على أن رسول الله ﷺ أمره " **بقتال الناكثين** ، والمارقين ، **والقاسطين**" فالناكثون هـــم أهـــل الجمل ، والمارقون هم الخوارج ، لأنهم مرقوا من الدين ،

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٧٣ ، ٢٧٤.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/٢٧٣ ،٢٧٤.

(٣) ابن تيمية :سؤال معاوية ص ٢٩ ، ٣٠ ، ابن كثير: البداية٧/ ٢٧٣ ، ٢٧٤.

والقاسـطون هم أهل الشام ، أتباع معاوية [١]، فكل ما سبق من أدلة يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن علياً كان محقاً فى قتاله للخوارج.

٥- مقتل الامام على :

لم ينس الخوارج ما أنزله بهم على فى النهروان ، فاجتمع ثلاثة مـنهم يتذاكرون ما حدث لهم ، وهم :عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى ، فتذكروا مقتل إخوانهم ، وظلم ولاتهم ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ، فلنشرى أنفسنا من الله ، بقتل أئمة الكفر والضلال ، فنريح البلاد والعباد منهم ،فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً ، وقال البرك : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو: وأنا عمـرو بـن العاص ، واتفقوا على تنفيذ ما أجمعوا عليه يوم السابع عشـر من رمضان سنة ٤٠هـ ، فوصل ابن ملجم للكوفة ، ولم يخبر أحداً بما عزم عليه ، حتى التقى بقطام ابنة الشجنة ، التى كانت تحمل لعلـى مـن الغل والحقد ما لا يوصف ، لقتل ذويها فى النهروان ، وكانـت ذات جمال باهر، فذهبت بلب ابن ملجم ، حتى عرض عليها الـزواج ، فأبت إلا أن يكون مهرها ثلاثة آلاف ، وعبد ، وقتل على بن أبى طالب، فأخبرها بخبره ، فساعدته لتنفيذ ما دبره[٢].

وفى ليلة الجمعة الخامس عشر من رمضان ، تسلل ابن ملجم لمسـجد الكوفـة ، وتربص للإمام على ، ولما خرج لصلاة الصبح عاجلـه ابن ملجم بسيفه المسموم ، فضربه على عاتقه ، ونال منه ، وهو ينادى لا حكم إلا لله ، ففزع من كان بالمسجد لما حدث ، وعلى يقول لهم : لا يفوتكم الرجل ، حتى قبض عليه ، فأمر على بقتله إن

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٢) ابن سعد: الطبقات ٣٣/٣ – ٤٠ ، ابن كثير : البداية ٣٠٩/٧ ، ٣١٠ .

مـــات مـــن ضـــربته ، وحذرهم من المثلة به ، ثم أوصى أولاده ، ورفـــض أن يعهد لأحدهم بالخلافة ، وقال : لا آمركم ، ولا أنهاكم ، أنـــتم أبصر بشؤنكم ، ثم فاضت روحه إلى بارئها يوم الأحد السابع عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ ،عن ثلاث وستين سنة ، ودفن بالكوفة، وأمـــا أصـــحاب ابن ملجم اللذان خرجا معه لتنفيذ ما اتفقوا عليه فقد ضـــرب البرك معاوية ، وأصابه ، ولكنه شفى منها ، وأما عمرو بن بكر فقد انقض بسيفه على خارجه بن حذافة ، الذى صلى بالمسلمين بـــدلاً من عمرو بن العاص لمرضه فى تلك الليلة ، وهو يظنه عمرو بـــن العاص[1]، وقتل معاوية وعمرو بن العاص من أرادا قتلهما من أعوان عبد الرحمن بن ملجم .

ثـــم بويع الحسن بن على بالخلافة بعد موت أبيه ، ولكنه كره الفتنة ، والحروب ، فتنازل لمعاوية عن الخلافة فى ربيع الأول سنة ٤١هـ ، وصدق فيه حديث الرسول ﷺ الذى قال فيه : " **إن ابـــنى هذا سيداً، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين** "، وهدأت أحوال المســـلمين إثـــر ذلك ، حتى سمى هذا العام بعام الجماعة"[2] . وبذلك الحـــدث انتهت فترة حكم الخلافة الراشدة ، وتحول المسلمون بعدها للملـــك العضوض ، حيث قال ﷺ : "**الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكـــون ملكاً** " [3] ، فرحمة الله على الخلفاء الراشدين ، لما أسدوه للأمة من جهد القيام على أمورها ، واقتفائهم أثر النبى ﷺ فى حياتهم ، فكانوا خير خلف ، لخير سلف ، فجزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

---

(١) ابن كثير : البداية ٧/ ٣١٠ - ٣١٢.
(٢) ابن كثير : البداية ٨/ ١٥ ، ١٦ .
(٣) ابن كثير : البداية ٨/ ١٦ .

الفصل الرابع

وقفة متأنية من أحداث الفتنة .

أولاً : من كان على الحق فى الصراع على أم معاوية :

لابــد أن نقــف قليلاً مع هذا الصراع ، الذى دار بين الرجلين علــى ، ومعاوية ، وما استتبعه من معارك ، ومن كان على صواب ومن جانبه الأمر .

يقول المقدسى [١]: اتفق أهل الحق على أن المصيب فى جميع ذلك هو الإمام على ، لثبوت إمامته ببيعة أهل الحل والعقد له، وظهر من تفاوت ما بينه وبين معاوية وأحزابه ، وما تكاثر من الأخبار فى كــون الحق معه ، وما وقع عليه الاتفاق حتى من الأعداء ، إلى أنه أفضل أهل زمانه ، وإنه لاحق بالإمامة منه ، ودليل آخر على أحقية على فى هذا الصراع حديث الرسول ﷺ الذى قال فيه لعلى : " **تقاتل الناكثيــن والمارقين ، والقاسطين**" فالناكثون هم طلحة والزبير ، والمارقون هم الخوارج ، والقاسطون هم معاوية وأتباعه .

وروى عــن النبى ﷺ أنه قال : " **تفــترق أمتى فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها أولى الطائفتين بالحق** " فهذا الحديث من دلائل النبوة ، إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به ﷺ ، فخرجت الخوارج على علــىٍّ ومعاوية ، فقاتلهم على، فأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق، وهــو وفــرقة معاويــة على الإسلام ، إلا أن عليا هو المصيب، فله أجران ، ومعاوية جانبه الصواب فله أجر واحد [٢].

---

(١) الرد على الرافضة ص ١٣٩ ،١٤٠.

(٢) ابن كثير : البداية ٧/ ٢٦٤ ، ٢٦٥.

ويؤكـد مـا سـبق طه حسين [١] إذ يقول : " **كان الحق على معاويـة لو أنصف ، وأخلص نفسه للحق أن يُبايع كما بايع الناس، ثـم يـأتى إلى على مع غيره من أولياء عثمان ، فيطلبون بالإقادة ممن قتله ، ولكن معاوية لم يكن يريد الثأر لعثمان ، بمقدار ما كان يـريد أن يصرف الأمر عن على ، وآية ذلك أن الأمر استقام له بعد وفاة على ، ومصالحة الحسن إياه ، فتناسى ثأر عثمان ، ولم يتتبع قتلته ، إيثاراً للعافية ، وحقناً للدماء ، وجمعاً للكلمة** ".

ونـزيد الأمـر إيضـاحاً ، بذكـر بعض الأدلة من المصادر التاريخية ، التى تثبت تباطوء معاوية عن نصرة عثمان حين حصر، أو تركه لهذا الأمر بعد توليه الخلافة ، فدونك إياها :

١- روى الذهـبى[٢] أن عمرو بن العاص اتهم عبد الله بن عباس ، وبنى هاشم بقتل الخليفة عثمان ، وإيواء قتلته ، فقال ابن عباس : " **إن أحق الـناس ألا يـتكلم فى أمر عثمان لأنتما ، وأنت يا معاوية ، فزينت ما كان يصنع ، حتى إذا حصر ، طلب نصرك فأبطأت ، وتربصت به ، .. فقال معاوية: حسبك عرضنى لك عمرو، وعرض نفسه** ".

٢- روى الذهـبى[٣] أن عـبد الله بن سعد بن أبى السرح أقام بعسقلان بعد مقتل عثمان ، وكره أن ينضم لمعاوية ، وقال :" **لم أكن لأجامع رجلاً قد عرفته أن كان يهوى قتل عثمان**" .

٣- روى ابـن قتيـبة [٤]أن معاويـة بعد مبايعته بالخلافة قدم

---

(١) الفتنة على ص ٣١ .

(٢) السير ٤/ ٢٥٢ ، ٢٥٣.

(٣) السير ٤/ ٢٢٧.

(٤) عيون الأخبار ١/ ١٤.

المديـنة ، ودخـل دار عثمان ، فقالت عائشة ابنة عثمان : واأبتاه ، وبكـت ، فقـال معاويـة : يـا ابنة أخى إن الناس أعطونا طاعة ، وأعطـيانهم أمانـا ، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعـة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه ، وهو يرى مكان أنصاره، فإن نكثنا نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا .

ويعلـق أحـد الباحثين [١] على هذه الرواية بقوله : ومنذ ذلك الوقـت ترك معاوية الطلب بدم عثمان ، وسكنت الضوضاء ، وهذا يـدل على أن الطلب بدم عثمان كان حجة داحضة من معاوية ، وأن الغرض الحقيقى لمعاوية ومن معه إنما هو الملك ، لا طلب الثأر.

٤ - يقـول ابن العربى [٢]:إن معاوية لما صار إليه الأمر لم يمكـنه أن يقتل من قتلة عثمان أحد ، فلم يفعل فى خلافته ، ما كان ينادى به فى صراعه مع على من ضرورة الثأر من قتلة عثمان .

٥- ذكر الزبيرى [٣] أن مروان بن عبد الحكم اجتمع هو وعمرو بن عثمان بن عفان فى خلافة معاوية فقال مروان : ما أخذ بنو أمية الخلافة إلا باسم أبيك، فما يمنعك ، تنهض بحقك ، فلنحن أكثر منهم رجالاً.

فكل هذه الأدلة تشير إلى أن الحق كان مع على بن أبى طالب ، وأن معاويـة جانـبه الصواب فى هذا الصراع ، ولكن كلا الرجلين استمات على ما يزعمه حقاً له .

ثانياً : الموقف من صراع الصحابة وتقاتلهم :

يجـب الاحتياط دائماً فيما يتعلق بمشاجرات الصحابة وتقاتلهم،

---

(١) عبد الوهاب النجار ص ٤٦٨ .

(٢) العواصم ص ١٦٨.

(٣) نسب قريش ص ١٠٩ .

فهم ليسوا بمعصومين ، فصدور الخطأ منهم ليس بالمستحيل ، بل هو ضرورة من ضرورات البشر ، ولكن لا يوجد لديهم – وخاصة كبار الصحابة – سوء نية ، أو سواد الباطن ، لهذا فما قاموا به قاموا به بكل إيمان [١] ، وعقيدة خالصة ، واقتناع .

ويؤكد هذه الحقيقة ابن تيمية [٢] فيقول : " **وسائر أهل السنة والجماعة ، وأئمة الدين ، لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ، ولا القرابة ، ولا السابقين ، ولا غيرهم ، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم ، والله تعالى يغفر لهم بالتوبة ، ويرفع بهم درجاتهم، ويغفر لهم بحسنات ماحيه ، أو بغير ذلك من الأسباب ، قال الله تعالى: ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** "[٣].

ويضيف المقدسي[٤] قائلاً : " **إن القدح فى أكابر الصحابة ، هو تكذيب للرسول ﷺ ، حيث أثنى عليهم ، وعظمهم ... والإجماع منعقد من الأمة على عدم تكفير عظماء الصحابة ، وأى واحد يكفرهم يكون كافراً** " ، ويضيف محذراً المسلمين من التعرض للصحابة قائلاً : " **وكيف يتسع قلب المؤمن أن يقدح فى أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم معه كالجسد الواحد ، بذلوا الأرواح، والأموال، وهجروا الأوطان ، وقاطعوا الأقارب ، والأقران فى محبته ..** "[٥].

---

(١) محمد ياسين : الهجمات المغرضة ص ١٤٢.
(٢) سؤال فى معاوية ص ٢٨.
(٣) آية ٣٥ سورة الزمر .
(٤) الرد على الرافضة ص ٧٤ ، ٧٥.
(٥) المقدسي : الرد على الرافضة ص ١٤٦ .

وينهى المقدسى[١] القضية بقوله : ولا معنى لبسط اللسان فيهم إلا للمتهاون بنقلة الدين ، الباذلين أنفسهم ، وأموالهم ، فى نصرته المكرمين بصحبة خير البشر .

إذاً فالذين يخوضون فى أعراض الصحابة ، ويطعنون فيما قاموا به ، ويشككون فى أغراضهم ، ويلمزونهم فى كل كبيرة وصغيرة ، لا هم لهم إلا تشويه صورتهم أمام المسلمين حتى يقولوا لهم ؛ هؤلاء لهم نقلة القرآن ، ورواة أحاديث رسولكم ، فإذا كانوا قد تقاتلوا ، وتحاربوا على حطام فانى فى الدنيا ، فهل تصدقونهم فى نقل الدين لكم ؟ فيسقط المسلم فى حبائل المستشرفين، والمشوهين للصحابة ، لذا علينا أن نكون على درجة من اليقظة ، لمواجهة ذلك بالأدلة ، والمنطق ، والعقل .

إذن كيف نفسر ما وقع بين الصحابة من حروب وفتن كتلك التى عرضنا لها آنفاً ، والتى يدل ظاهرها على أن بعضهم حاد عم طريق الحق، وبلغ حد الظلم والفسق ، وكان الباعث له على ذلك الحقد ، والحسد ، وطلب الملك ، والرئاسة ، والميل إلى اللذات والشهوات [٢].

أجاب ابن تيمية عن ذلك فقال : والذى تثلج به صدوركم ، أن النبى ﷺ ذكر الفتن ، وأشار وبين وأنذر بالخوارج ، وقال : **"تفترق أمتى فرقتين ، تمرق بينهما مارقة ، فيقتلها أولى الطائفتين إلى الحق"** ، فبين ﷺ أن كل طائفة منهما تتعلق بالحق ، ولكن طائفة على أقرب إليه – لأنها هى التى قاتلت الخوارج – وقال تعالى : ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى**

-(١)الرد على الرافضة ص ١٤٣ .

(٢) المقدسى : الرد على الرافضة ص ١٤٢ ، ١٤٣.

فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [١] ، فسمى المولى عز وجل الطائفتين مؤمنين ، ولم يخرجهم عن الإيمان لقتالهم بالتأويل ، وجعلهم إخوة مع وجود القتال بقوله : **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾** [٢] ، كما قال ﷺ فى عمار : "**تقتله الفئة الباغية** " وقال فى الحسن : "**إن ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** " [٣].

وبناءً على ما سبق ، فإن قتلى المسلمين فى الجمل وصفين لم يكونوا بمنزلة الخوارج المارقين ، الذين أمر الرسول بقتالهم ، فهؤلاء " **أصحاب الجمل وصفين**" كان كل منهم فئتين ، أمر الله بالصلح بينهما ، وجعلهما إخوة ، ووصفهما بالإيمان ، وإن كانت فئة على أقرب للحق ، لقتالها الخوارج ، فكان على مصيباً فى اجتهاده فله أجران ، وما سواه مخطئ فى اجتهاده فله أجر [٤].

ويوجز الذهبى[٥] القضية بقوله : "**معاذ الله أن نشهد على أتباع الزبير ، أو جند معاوية ، أو على ، أنهم فى النار ، بل نفوض أمرهم إلى الله ، ونستغفر لهم**".

ولما سئل عمر بن عبد العزيز عما جرى بين الصحابة من الفتن ،

---

(١) الآية ٩ سورة الحجرات.

(٢) الآية ١٠ سورة الحجرات.

(٣) ابن العربى : العواصم ص ١٦٨ – ١٧٠ ، ابن تيمية : سؤال فى معاوية ص ٣١ ، ٣٢ ، ابن كثير : البداية ٧/ ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٨/ ١٦.

(٤) ابن تيمية : سؤال فى معاوية ص ٢٩ ، ٣١ .

(٥) السير ٣/ ٤٠.

قـــال : **"تلك دماء طهر الله تعالى منها أيدينا ، فلا نلوث بها ألسنتنا"**[١]، وقال الشعبى:**"هم أهل الجنة ، لقى بعضهم بعضاً فلم يفر أحد من أحد "**[٢].

بقيت نقطة أخيرة فى حق معاوية وعمرو بن العاص – رضى الله عــنهما – حيــث اتهمهما البعض بالنفاق ، والدخول فى الإسلام كــرها ، وهذه دعوة مكذوبة ، إذ أسلما ، وحسن إسلامهما ، ودعى الرســول ﷺ لمعاويـــة فقـــال : **" اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه الـــنار"**، وقـــال ﷺ عـــن عمـــرو : **"أســـلم الناس ، وآمن عمرو"** ، والمهاجرون بصفة عامة لم يكن فيهم نفاق ، وإنما كان ذلك فى بعض من تظاهر بالإسلام في المدينة ، إذ أظهروا الإسلام ، وأبطنوا الكفر نفاقاً للمسلمين ، وخوفاً منهم لعز الإسلام آنذاك ، ومعاوية كان كاتباً للوحى، وتقلد جليل الأعمال هو وعمرو فى حياة الرسول ﷺ، ثم فى خلافـــة أبـــى بكر وعمر ، وتوليا المهام ، فهل كان أبو بكر وعمر يوليان على المسلمين منافقين!! كلا وحاشا [٣].

ثالثاً : الصحابة فى القرآن والسنة :

يحـــاول المستشرقون دائماً الطعن فى صحابة رسول الله ﷺ ، وإظهارهم أمام المسلمين بما لا يتفق مع مكانتهم ، ولا مع ما جاء فى حقهم ، من قبل المولى عز وجل ، ففى القرآن نصوص واضحة تدل على تعديل الله تعالى إياهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره إياهم، ووعـــده لهـــم بالاســـتخلاف فى الأرض ، والتمكين فى الدين ، كما وعدهـــم جمـــيعاً بالجنة ، وذلك فى سبع عشرة آية منها قوله: ﴿ لَقَدْ

---

(١) المقدسى : الرد على الرافضة ص ١٤٨.

(٢) محب الدين : حاشية العواصم ص ١٦٩.

(٣) ابن تيمية : سؤال فى معاوية ص ٢٠ – ٢٥.

رَضِــيَ اللَّـــهُ عَــنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [١]،وقال سبحانه: **﴿ وَالسَّـــابِقُونَ الأَوَّلُـــونَ مِـــنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه ﴾** [٢].

وهــذا قلــيل مـــن كثير ، من حديث القرآن فى شأن الصحابة جمـــيعاً، رضـــى الله عـــنهم ، وشهادة من الله سبحانه لهم ، قبل أن يتناولهم الكتاب والمؤرخون – وخاصة المغرضين – بالحديث عنهم فى الفتنة الكبرى ، حديثاً قد يحط من شأنهم ، ويجعلهم جميعاً عرضة للنقد والتجريح ، وإذا تحدث القرآن بهذا الوضوح فلا مجال بعد ذلك لحديـــث يخالف قول الله فيهم ، وإذا وقع منهم ما يبدو فى نظر الناس أنـــه مخـــالف للعرف ، فلابد أن يكون ذلك فى حدود الصفات التى وصفهم بها المولى عز وجل [٣].

وأمـــا ما ورد من أحاديث عن عدالة الصحابة ،فمنها قوله ﷺ: **"خير أمتى قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجئ قوم تســـبق أيمانهم شهادتهم ، ويشهدون قبل أن يستشهدوا "**،وقال ﷺ: **"لا تســـبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده ، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه "**، وقال ﷺ : **"سألت ربى فيما اخـــتلف فـــيه أصـــحابى من بعدى ، فأوحى إلىَّ : يا محمد إن أصحابك عـــندى بمنزلة النجوم فى السماء ، بعضها أضوأ من بعض ، فمن أخذ بشـــىء مما هم عليه من اختلافهم ، فهو عندى على هدى "**، ويقول ﷺ فـــى شـــأن مـــن يخـــرج لينتقص الصحابة : **"إن الله اختارنى ، واختار**

---

(١) آية ١٨ سورة الفتح .

(٢) من الآية ١٠٠ سورة التوبة.

(٣) ابن العربى : العواصم ص ٣١ ، ٣٢ ، شعوط : أباطيل ص ٢٢١- ٢٢٤.

أصحابى ، فجعلهم أصهارى ، وجعلهم أنصارى ، وإنه سيجئ فى آخر الـزمان قـوم ينتقصونهم ، ألا فلا تناكحوهم ، ألا فلا تنكحوا إليهم ، ألا فلا تصلوا معهم ، ألا فلا تصلوا عليهم ، حلت عليهم اللعنة "[١].

فهذه أحاديث الرسول ﷺ فى شأنهم ، وهو الذى رباهم على عينيه ، وباشر أعمالهم بنفسه ، واطمأن على أخلاقهم من بعده ، فلم يكن يغيب عنه أمرهم ، وهو الخبير بحاضرهم ، والذى أطلعه الله على مستقبلهم [٢].

وليكـن مسـك ختامنا عن الصحابة باقتطاف هذا النص لابن العربى[٣] فى حقهم حيث قال : **"وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ، ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم – مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم – إلى تعديل أحد من الخلق له ، ... علـى أنـه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شىء مما ذكـرناه ، لأوجبت الحال التى كانوا عليها ، من الهجرة ، والجهاد ، والنصـرة ، وبـذل المهـج ، والأموال ، وقتل الآباء ، والأولاد ، والمناصحة فى الدين ، وقوة الإيمان واليقين ، القطع على عدالتهم، والاعـتقاد لنزاهـتهم ، وأنهم أفضل مع جميع المعدلين والمزكين ، الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين "** .

وبعـد هـذا لا يمكن أن نقول ، إلا كما أمرنا الله تعالى : **﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾** [٤] وبذلك نكون قد انتهينا من عرض تاريخ الخلفاء الراشدين ، ولله الحمد والمنة ، وصلى اللهم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

---

(١) ابن العربى : العواصم ص ٣٣ ، ٣٤.
(٢) شعوط : أباطيل ص ٢٢٤.
(٣) العواصم ص ٣٤.
(٤) من الآية ٢٨٥ سورة البقرة .

ثبت المصادر والمراجع

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على ت ٦٣٠ هـ .
١- الكامل فى التاريخ ، ١٣ جزء .
دار صادر ، بيروت ، د ط ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
٢- أسد الغابة فى معرفة الصحابة .
المكتبة الشاملة ، الإصدار الثانى .
الأسدى : سيف بن عمر الضبى ت ٢٠٠ هـ .
٣- الفتنة ووقعة الجمل
جمع وتصنيف / أحمد راتب عرموش .
دار النفائس ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
الأصفهانى : أبو الفرج ت ٣٥٦ هـ .
٤- مقاتل الطالبين ، جزءان .
شرح وتحقيق السيد أحمد صقر .
الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر، العددان ٩٧،٩٨ ، ٢٠٠٣ م.
إمام : إمام عبد الفتاح (دكتور) .
٥- الطاغية دراسة فلسفية لصور من الإستبداد السياسى .
عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٨٣ ، مارس ١٩٩٤م .
البلاذرى : أحمد بن يحيى ت ٢٧٩ هـ
٦- أنساب الأشراف ، الجزء الأول .
تحقيق د/ محمد حميد الله ، سلسلة ذخائر العرب العدد ٢٧ .
دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٨٧م .
ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨ هـ .
٧- سؤال فى معاوية بن أبى سفيان
تحقيق صلاح الدين المنجد .
دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩م.

ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ت ٨٥٢ هـ .
٨- الإصابة فى معرفة الصحابة .
المكتبة الشاملة ، الإصدار الثانى .
حسن : على إبراهيم : (دكتور)
٩- التاريخ الإسلامى العام .
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د ط ت .
حسين : طه (دكتور)
١٠ – الشيخان .
دار المعارف ، مصر ، ط ٦ ، ١٩٧٨م.
١١- الصديقة بنت الصديق .
دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٦١م .
١٢- الفتنة الكبرى ، عثمان .
دار المعارف ، مصر ، د ط ، ١٩٥٩م .
١٣ - الفتنة الكبرى ، على وبنوه
دار المعارف ، مصر ، د ط ، ١٩٦١م .
الحموى : القاضى شهاب الدين إبراهيم ت ٦٤٢ هـ .
١٤- التاريخ الإسلامى المعروف باسم التاريخ المظفرى .
قام بتحقيقة ، وقدم له ، ووضع حواشيه د/ حامد زيدان .
دار الثقافة ، القاهرة ، د ط ، ١٩٨٩م .
الخضرى : الشيخ محمد .
١٥- محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ، الدولة الأموية .
راجعه واعتنى به الأستاذة / نجوى عباس
مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة بد ط ،١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م .
خطاب : محمود شيت .
١٦- بين العقيدة والقيادة .
دار الفكر ، بيروت ، د ط ت .

١٧- الفاروق عمر .
دار الفكر ، بيروت ، ط ٤ ،١٣٩١ هـ / ١٩٧١م .
الخطيب : محمد محمد عبد القادر (دكتور) .
١٨- دراســات تحليلــية فى تاريخ الدويلات الإسلامية الجزء الأول، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥م .
ابن خياط : خليفة ت ٢٤٠ هـ .
١٩- تاريخ خليفة بن خياط .
تحقيق د/ أكرم ضياء العمرى
دار القلم ، بيروت ، ط ٢ ، د ت .
الدينورى : أبو حنيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢ هـ .
٢٠ – الأخبار الطوال .
تحقيق / عبد المنعم عامر ، مراجعة د/ جمال الدين الشيال .
مكتبة المثنى ، بغداد ، د ط ت .
الذهبى : شمس الدين محمد أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ .
٢١- سير أعلام النبلاء ، ١٧ جزء .
تحقيق محب الدين أبى سعيد عمر بن غرامة العمروى.
دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
الزبيرى : أبو عبيد الله المصعب بن عبد الله ت ٢٣٦هـ .
٢٢- نسب قريش .
اعتنى بنشره لأول مرة وتصحيحه وتحقيقه إ. ليفى بروفنيسال
دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٨٢م .
سالم : السيد عبد العزيز (دكتور)
٢٣- تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثانى
مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د ط ت .
٢٤- التاريخ والمؤرخون العرب .
مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د ط ، ١٩٨١م .

ابن سعد : محمد أبو عبد الله محمد ت ٢٣٠ هـ .
٢٥- الطبقات الكبرى ، تسعة أجزاء .
دار صادر بيروت ، د ط ت .
السنهورى : عبد الرازق أحمد (دكتور) .
٢٦- فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية .
ترجمة نظرية الخلافة الجديدة د/ نادية عبد الرازق السنهورى
مراجعة وتعليقات وتقديم د/ توفيق محمد الشاوى .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢، ١٩٩٣م .
السيوطى : الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ .
٢٧- تاريخ الخلفاء .
دار الجيل ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.
٢٨- الغرر فى فضائل عمر .
المكتبة الشاملة ، الإصدار الثانى .
شاكر : محمود .
٢٩- التاريخ الإسلامى أو الخلفاء الراشدون
المكتب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.
الشريف : أحمد إبراهيم (دكتور)
٣٠ – دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنيين الأول والثانى للهجرة
دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط ٢ / ١٩٧٧م .
شعوط : إبراهيم (دكتور) .
٣١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ .
دار الشروق ، جدة ، ط ٦، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .
شلبى : أبو زيد (دكتور)
٣٢ – تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى
مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٧، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م .

صديقى : محمد ياسين مظهر (دكتور)
٣٣- الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى .
ترجمة د/ سمير عبد الحميد إبراهيم .
رابطة الجامعات الإسلامية ، هجر للطباعة .
الجيزة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م .
الطبرى : أبو جعفر محمد بن حرير ت ٣١٠ هـ .
٣٤- تاريخ الرسل والملوك ،١١جزء تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ ، د ت .
طلس : محمد أسعد .
٣٥- تاريخ العرب ، المجلد الأول ، الجزء الثالث ، الخلفاء الراشدون .
دار الأندلس ، بيروت ، د ط ت .
ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣هـ .
٣٦- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب .
المكتبة الشاملة ، الإصدار الثانى .
ابن العربى: القاضى أبو بكر ت ٥٤٣ هـ .
٣٧- العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ.
حققه وعلق حواشيه / محب الدين الخطيب .
المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط ٤، ١٣٩٦هـ .
العقاد : عباس محمود
٣٨- عبقرية الصديق .
دار المعارف ، مصر ، د ط ١٩٦١م .
٣٩- عبقرية على

دار الهلال ، القاهرة ، د ط ت .
٤٠- عبقرية عمر .
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٣٧٩ هـ /١٩٦٠م.
العلى : صالح أحمد (دكتور) .
٤١ – امتداد العرب فى صدر الإسلام .
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ /١٩٨٣م .
ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ .
٤٢ – المعارف .
حققه وقدم له د / ثروت عكاشة .
دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩م .
٤٣ – عيون الأخبار .
قدم له د/ عبد الحكيم راضى .
الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الزخائر ، العدد ١٠١ .
كاشف : سيدة إسماعيل (دكتوره) .
٤٤- مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط ، ١٩٩٤م .
الكاندهلوى : محمد يوسف .
٤٥- حياة الصحابة ، ثلاثة أجزاء .
دار أسامة ، د ط ت .
ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت ٧٧٤ هـ .
٤٦- البداية والنهاية ، ١٦ جزء .
تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م .

ماجد : عبد المنعم (دكتور)
٤٧- التاريخ السياسى للدولة العربية ، الجزء الأول
عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٨٢م .
الماوردى : أبو الحسن على بن محمد ت ٤٥٠ هـ .
٤٨- الأحكام السلطانية والولايات الدينية
شركة ومطبعـــــة مصطفى البابى الحلبى،القاهرة ، ط ١٣٩٣،٣هـ / ١٩٧٣م .
مؤنس : حسين (دكتور) .
٤٩ – تاريخ قريش .
الدار السعودية للنشر والتوزيـــــع ، جـــدة ، ط ١، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م
المحب الطبرى : أبو جعفر أحمد
٥٠ – الرياض النضرة فى مناقب العشرة
المكتبة الشاملة ، الإصدار الثانى .
المقدسى : الإمام ت ٨٨٨ هـ .
٥٢- الرد على الرافضة .
تحقيق د/ أحمد حجازى السقا .
المكتب الثقافى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٩م.
النجار : عبد الوهاب (دكتور)
٥٢ – الخلفاء الراشدون .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ط ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩م .
ابن هشام : أبو محمد عبد الملك ت ٢١٣ هـ .
٥٣- السيرة النبوية ، أربعة أجزاء .
دار المنار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ت .

هيكل : محمد حسين .
٥٤ – عثمان بن عفان .
دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ ، د ت .
٥٥- الصديق أبو بكر .
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.
٥٦- الفاروق عمر ، جزءان .
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د ط ، ١٩٦٣م .
اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر ت ٢٩٢ هـ .
٥٧- تاريخ اليعقوبى ، جزءان .
دار صادر ، بيروت ، د ط ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م .

فهرست الموضوعات

تم بحمد الله

* * *

رقم الإيداع

بدار الكتب والوثائق القومية

٢٦١٧٤ لسنة٢٠٠٧م

مطبعة الشروق بالراهبين